الأعمال الشعرية

قاسم حدّاد

1

الجزء الأول





الأعمال الشعرية

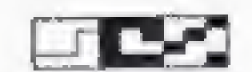
قاسم حدّاد



الأعمال الشعرية (الجزء الأول) / شعر عربي معاصر
، قاسم حداد / مؤلف من البحرين
الطبعة العربية الأولى ، ٢٠٠٠



المؤسسة العربية للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، ٥٤٦٠ - ١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،
هاتفاكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف والإشراف الفني :
لوحة الغلاف :
عبد العزيز الهلال / البحرين
الصف الضوئي :
مطبعة الجامعة الأردنية ، عمّان



الأعمال الشعريّة

قاسم حدّاد



الجزء الأول



مقدمة:

قاسم حداد، نهرٌ جنحَ ضدّ عادة الماء

صبحي حديدي

I

لا يُذكر اسم الشاعر البحريني قاسم حدّاد إلا وتقفز إلى الذهن قضيّتان : ريادة وتجديد وتحديث النصّ الشعري الخليجي ، وترسيخ القصيدة المنشقّة عن الخطاب المألوف في تمثيل هواجس الشخصية العربية في الخليج . وإذا كان من الصحيح أن يفترض المرء توفّر سلسلة من الوشائج العميقة التي تربط بين المسألتين على نحو منطقي ومتبادَل ، فإنّ ما هو أكثر صحّة ـ وإدهاشاً في الواقع ـ إنما يكمن في تلك المقاربة التركيبية الخاصّة التي تحلّى بها حدّاد على الدوام ـ أو منذ مرحلة مبكّرة من نضج تجربته الشعرية ـ وأتاحت له صناعة وتطوير سلسلة أخرى من الوشائج العميقة بين جماليات الهواجس الإبداعية من جهة ، وأبجديات الهواجس الإنسانية (على اختلاف أنماطها : السياسية والمعرفية والشعورية والميتافيزيقية) التي تكتنف برهة الإبداع ، أو تحيط بها إحاطة تامّة ، من جهة ثانية .

ففي القضيّة الأولى ، لا نزاع ـ البتّة ، كما أعتقد ـ حول الدور الريادي الذي لعبه شعر قاسم حدّاد في منطقة الخليج العربي ، سواء بمعنى الخروج عن أعراف الكتابة الشعرية التي كانت سائدة هناك (في

الشكل ، واللغة ، والموضوعات) ، أو بمعنى ربط التجارب الشعرية الخليجية بحركة/ حركات التجديد الشعري التي كانت تعصف بـ «المراكز» الشعرية العربية في بلاد الشام والعراق ومصر . ولست ، هنا ، أغفل تجارب شعراء من أمثال عبد الرحمن رفيع وعلي عبد الله خليفة وعلوي الهاشمي ، ممّن أسهموا مباشرة في صياغة النصّ الشعري الحديث (أو «الشعر الحرّ» كما ينبغي القول) في البحرين . غير أنّ تجربة حدّاد كانت نسيج وحدها في مستوى ما حقّقته من تفاعل دائب وعميق مع تجارب التحديث العربية في «المراكز» ، وفي اعتماده على شكل قصيدة التفعيلة منذ البدء ، واستمراره في تطوير خياره هذا في الأعمال اللاحقة ، ومقارباته المَزْجية بين قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر في أعماله اللاحقة .

المدهش ، مع ذلك ، أنّ تفاعل التجارب الشعرية الخليجية الشابّة مع شعر قاسم حدّاد اتخذ على الفور ـ وفي نسبة عالية ـ شكل قصيدة النثر أكثر من قصيدة التفعيلة . كأنّ بذور التغيير والتغيّر التي زرعها هذا الشاعر السبّاق إلى التجديد كانت ، في الأساس ، لا تفترض شكلاً محدّداً سلفاً من استنبات البذرة ؛ أو كأنّ الأصوات الشابة المتميّزة التي قرأنا تجاربها ببهجة وإعجاب منذ أواسط الثمانينيات ومطلع التسعينيات (قادمة من السعودية وعُمان والإمارات وقطر والبحرين) كانت قد أزمعت الانشقاق مبكّراً عن نماذج التجديد تلك ، لا لشيء إلا لأنّ نزوع الانشقاق كان بين أبرز الدروس الجمالية التي بشّر بها الرائد نفسه .

وبذلك فإنّ من الإنصاف الحديث هنا عن دور ريادي مزدوج : الأول

جمالي - إبداعي يتّصل بضرب المثال الشعري كتابةً وخيارات ، والثاني ثقافي - سوسيولوجي يتّصل بضرب المثال الانشقاقي سلوكاً وإيديولوجية . ولعلّ النبرة «الكفاحية» العالية في قصائد قاسم حدّاد الأولى (مجموعاته : «البشارة» (1970) ، «خروج رأس الحسين من المدن الخائنة» (1972) ، و«الدم الثاني» (1975)بصفة خاصة) ؛ وحقيقة كتابته لعدد كبير من القصائد وهو في المعتقل ؛ وتنقّله المَرِن بين شكل التفعيلة وشكل قصيدة النثر ؛ كانت بمثابة أمثولات بادية للعيان تماماً ، حاضرة في مشروعات التحديث المحليّة الشابّة (الخليجية) ومتواصلة مع مشروعات التحديث العربية (الناجزة بهذا القدر أو ذاك في «المراكز» الشعرية) ، وقادرة أبداً على المساهمة والإغناء والاغتناء ، محليّاً وعربياً في آن معاً .

هذه ، في عبارة أخرى ، هي «سياسة» التجديد التي تتجاوز مهامّ تكريس التيّار الأدبي ، وتكتسب وظيفة ثقافية - سوسيولوجية عميقة الأثر حين تعبر حدود تطوير الأساليب والأشكال والأغراض ، وحين تحضّ على المقاومة في النصّ الأدبي مثل المقاومة في السلوك الإنساني ، وتدافع عن مقترحات جمالية وأخرى فكرية ، وترسل جوهرياً رسالة الانشقاق البنّاء : عن السائد في الكتابة (مبنى ومعنى ، شكلاً ولغة وموضوعات) ، وعن السائد خارج الكتابة (النظام والمؤسسة ، السياسة والأخلاق) .

وفي مقالة طويلة بعنوان «سيرة النصّ» ، كُتبت في فترات متباعدة تمتدّ من منتصف الثمانينيات حتى منتصف التسعينيات وأعاد قاسم

حداد ضمّها إلى مجموعة مقالات أخرى صدرت في كتاب بعنوان «ليس بهذا الشكل .. ولا بشكل آخر» (1997) ، نقرأ هذه الفقرة الدالة :

ففي معظم تلك الكتابات التي تناقش قضية الأنواع الأدبية وحدودها الشكلانية ، والأوهام المتصلة بالتراث الذي تصدر عنه تلك الأنواع؛ يبدو التعاطي النقدي مع أشكال التعبير كما لو أنه مَسٌ بارسخ المعتقدات الدينية لدى الإنسان ، موحياً بأنّ ثمة منطقة محرّمة ليس للكاتب أن يتجاوزها وهو يحاول صياغة منظوره الجديد . حتى يكاد المرء أحياناً يشعر بأنّ مجرّد اختراق شروط القول الموروث من شأنه أن يخلخل نظام الكون ، ويهدم كيان البشر . قد لا يصرّح البعض بهذه العقيدة ، لكنّ حقيقة الأمر تشفّ عن نزوع لاواع لعدم المساس بالأصول الموروثة ، وبالتالي الخضوع لوهم محاكمة كلّ خروج عن تلك الأصول باعتباره خروجاً شاذاً عن منظومة أكثر شمولاً ، بحيث تطال بنية المعرفة الدينية التي تأسّس عليها العقل الإنساني . وفي هذا السلوك دليل جديد على الصعوبة التي يمكن أن تواجهها التحوّلات الثقافية عندما تستجيب لشروط المنظور المقدّس في الحقل الأدبي . غير أنّ السلوك لن يمنع التحوّل الحضاري الذي يحدث بصورة بطيئة ، وجوهرية ، ولكنها شديدة الفعالية والعمق .ص 13 .

ولقد تقصّدتُ اقتباس هذه الفقرة مطوّلاً لأنها تسعى إلى تشخيص «سياسة» التجديد دون سواها ، ولأنها نموذج تمثيلي بليغ على ما كان يحتمل في المشهد الأدبي الخليجي من شدّ وجذب حول «سياسة»

قبول أو رفض الجديد . والفقرة لا تخطىء أبداً حين تقيم التشبيه بين المسّ بأشكال التعبير الراسخة والمسّ بالمعتقدات الدينية الراسخة ، وهي بالتالي تلمّح إلى الصعوبات البالغة التي لا بدّ أنها واجهت شاعراً تجديدياً مثل قاسم حدّاد ، في بيئة أدبية محافظة لم تكن مستعدّة لإلقاء السلاح بسهولة ، الأمر الذي استدعى المقاومة على الجانب الآخر أيضاً .

ذلك يقودني إلى القضيّة الثانية التي تقفز إلى الذهن كلما ذُكر اسم قاسم حدّاد ، وأعني ترسيخ القصيدة المنشقّة عن الخطاب المألوف في تمثيل هواجس الشخصية العربية في الخليج . فمن المعروف أنّ مفهوم «ثقافة الصحراء» تسيّد العديد من المنظورات النقدية التي قاربت النصّ الأدبي الخليجي ، بحيث بات هذا المفهوم أقرب إلى مفتاح نظري لا مناص من حمله قبل الدخول إلى أيّة تجربة شعرية خليجية . ويحدث ، غالباً ، أن يخضع هذا المفهوم إلى سيرورة تصعيد كونية شبه صوفيّة ، كما حين يقول ناقد سعودي جادّ مثل الدكتور سعد البازعي إنّ ثقافة الصحراء توجز تفاعل كثير من مبدعي الخليج «*مع ذلك العالم السديمي الممتد بغموضه ورهبته وتقلباته ، عالم الرمل الراحل أبداً ، والصحراء الجرداء ، والمطر الشحيح الذي لا يعرف جدولاً ثابتاً ، المطر الذي يأتي ولا يأتي*» (في كتاب «ثقافة الصحراء» الصادر في الرياض سنة 1991) .

أكثر من ذلك يذهب البازعي ، في استرسال غنائي مفاجىء ، إلى حدّ افتراض ولادة الثقافة ذاتها من ذلك التفاعل بين المبدع و«العالم

السديميّ» ذاك ، فيقول : «والثقافة هنا هي نتاج ذلك التفاعل وتاريخه وإعلان الإنسان المتواصل عن بقائه في عالم الريح والرمل والمطر الشحيح ، وعن حبّه لذلك البقاء وقبوله لتحدياته . والثقافة أيضاً هي محصلة الرغبة الإنسانية الدفينة في أنسنة الطبيعة ، وملء فضاء اختلافها بألفة الوجود ، وهي التفاصيل التي يرسمها الإنسان على جسد الأشياء الخارجية ، وجماع أحلامه ورؤاه . إنها ذلك الزجل الذي ملأ به البدويّ فضاء المهامه ورهبتها منذ الفجر الجاهلي الأوّل ، هي تلك الدعوات والتطلعات التي سقى بملامحها الإنسانية عطش الصحراء ، واستسقى بإيقاعاتها المطر والخصوبة .ص 32-33 .

والحال أنّ شعر قاسم حدّاد عكف ، مبكّراً ، على أنسنة الإنسان ذاته بدل ــ وقبل ــ أنسنة الطبيعة ؛ وواصل إعلان بقاء الإنسان (في القيد ، وفي المعتقل ، وفي المدن الخائنة ، وفي المنفى) قبل ــ وربما دون حاجة إلى ــ إعلان بقاء الإنسان في عالم الريح والرمل والمطر الشحيح ؛ وصاغ ذلك الحضور الإنساني على نحو إنساني أوسع بكثير من صورة البدوي التائه في مَهْمَه مقفر ، وأشدّ مضاضة وغربة وعذاباً . ولم يكن عجيباً ، والحال هذه ، أن تكون عوالم قاسم حدّاد تمّوزية ، إذا جاز القول ، أكثر منها صحراوية ؛ وأن يكون المطر في قصائده ليس ذاك الذي يسقي عطش الصحراء فحسب ، بل ذاك المطر الآخر (السيّابي ربما) الذي يغسل أدران الأرض قبل أن يسبغ الألفة على الوجود :

غُصتُ في الأرض إلى أطول شمرة
وشربتُ المطر المخزون في الأرض إلى آخر قطرة

فرأيتُ القمر الميّت من مليون عامْ
ذلك الغائب عن عالمنا الممدود في عين الظلامْ
قمر الدرب الطويلْ
مثلنا كان غريباً ذلك الطفل الجميلْ
تحت جلد الأرض مصلوباً على أبواب قبره
مجموعة «البشارة» ، 1970

وليس الأمر أنّ المحمول الدلالي في قصائد قاسم حدّاد كان يجُبّ تراث المنطقة وشخصياتها الصحراويّة الكبرى ، هذه التي تمثّل مخزوناً رمزياً وأسطورياً ليس من السهل على الشاعر الخليجي أن يضرب صفحاً عنه وعن مغريات توظيفه . بل الأمر ببساطة أنّه نفر مبكّراً من التنميطات المعتادة الشائعة ، ومن ألعاب استلهام الشخصية البدوية أو الصحراوية على نحو مباشر أو مسطّح لا يقوم بما هو أكثر من إعادة إنتاجها ضمن أقصيّين متناقضين : إثقال الشخصية بما ليس فيها ، أو تشويهها عن طريق الإسقاطات الركيكة .

وهكذا فإننا نعثر عنده على تمثيلات مركّبة ، متعدّدة الأبعاد والدلالات ، لشخصيات مثل الجاحظ ، والحجّاج ، وامرىء القيس ، والخنساء ، وأسماء بنت أبي بكر وشهرزاد . ولكنّنا نعثر أيضاً على شخصيات وأساطير مثل سيزيف وبنلوب وغيفارا . وإذا كان قاسم حدّاد يبيح لشخصية تاريخية مثل عبد الله بن الزبير أن تلتحم (في الرمز والمعنى والحكاية أيضاً) مع شخصية أدبية مثل فدريكو غارسيا لوركا ، فلأنّ شخصية الحجّاج أوسع من دلالاتها المحليّة ، ويمكن

لتوسيعاتها تلك أن تصل بين غرناطة والخليج . وبالقدر ذاته يمكن لـ «طفول» ، الاسم المعرّف والشخصية والرمز والأسطورة ، أن تكون المناضلة الظفارية الشهيدة ، وطفلة الشاعر ، وطفلة جبال الأوراس أو مخيّم اللاجئين الفلسطينيين :

أخبرونا ، هل وراء الشجر اليابس عصفورٌ
وهل قبرٌ يصلّي؟
لو قرأتم سورة الحجّاج ، لو نافذة مثل بلادي
ثم آه
حين نامت طفلةٌ في دم لوركا
واستفاق الزنبق الوحشيُّ فينا
كُسرت قافية السلطان بالورد الجميلْ
آه يا لوركا ، أغانيك تصير الآن دفئاً
لتراب الحبِّ في غرناطة أو في الخليجْ .
مجموعة «خروج رأس الحسين من المدن الخائنة» ، 1972

ثمة ، أيضاً ، شخصية «طرفة بن الوردة» التي ابتكرها قاسم حداد لتكون اسمه الأدبي المستعار تارة ، أو قناعه الشعري الذي يتيح هامشاً تراجيدياً في التعليق على عذابات الشخصية الخليجية من داخل الموقف أو من خارجه ، أو في منزلة مركّبة تجمع المنزلتين معاً . وطرفة ابن الوردة هذا كائن العقد الإنساني ، ورَجْع الرثاء ، وقيثارة الشجن الروحي العميق ؛ ولكنه ، في الآن ذاته ، بيان المقاومة الثقافية والجمالية والأخلاقية ، وفنّانها الذي يحفر عميقاً في الجسد والروح .

وحين نتذكّر، كما يقتضي الإنصاف أن نفعل دائماً، حقيقة استقرار قاسم حدّاد في الوجدان الخليجي (المعاصر والشابّ تحديداً) على هيئة ترتقي بصفة الشاعر التحديثي الرائد إلى صفة «العلامة» الثقافية المقاومِة، فإننا عندئذ ندرك عمق الحَفْر الجمالي والمعرفي والسيكولوجي والسوسيولوجي الذي مثّلته تجربته الشعرية والسلوكية. وما امتلاك طرفة بن الوردة لتلك المساحة الكريمة من قرائن اللقاء بين الحريّة الفردية للفنّان والحريّة الجَمْعية للأمّة؛ وما تمثيله البارع لحالة التماهي الوثيق بين الفنّان والمعذّب والرائي والثائر، سوى خلاصة كبرى للموقع الفريد الذي شغله صانع القناع ـ قاسم حدّاد ـ في وجدان أهله: وجدان الكارثة مثل وجدان الأمل.

II

واليوم يعقد قاسم حدّاد العزم على إصدار أعماله الشعرية الكاملة. وفي نظر معظم دارسي الشعر، أو في يقين دارس مثلي على الأقلّ، تعدّ هذه الخطوة تسليماً علنياً من الشاعر بأنّ تجربته بلغت طور الكهولة، وأنّ لتاريخها الأسلوبي أن يُكتب. كذلك تعني هذه الخطوة استعداد الشاعر لوضع تجربته على محكّ «الحصيلة»، أي حين يكون منطق تصنيف التجربة إلى محطّات أسلوبية فاصلة هو استراتيجية التحليل المثلى، وليس دون أسباب وجيهة في الواقع.

وإذا كانت الحكمة النقدية المجرّبة تقتضي عدم إشراك الشاعر في عمليات التصنيف تلك، لأنّ أواليات «مغالطة القصد» الشهيرة يمكن

أن تسوق الحكم النقدي إلى حيث يشاء الشاعر لا إلى حيث تهدي الدراسة التحليلية ، فإنّ الحكمة ذاتها قد تقتضي منح الشاعر «فضيلة الشكّ» ، في أمر واحد على الأقلّ : التعريف بالنفس وبالتجربة . وفي المادّة التي كتبها بنفسه لموسوعة «أعلام الأدب العربي المعاصر» ، التي أعدّها روبرت ب . كامبل وصدرت سنة 1996 عن جامعة القديس يوسف في بيروت ، يقول قاسم حدّاد ما يلي :

«في تجاربه الشعرية الأولى كانت بصمات شعراء المدرسة الحديثة واضحة بين قصيدة وأخرى (. . .) منذ ديوانه الثاني انحاز إلى التجديد الشعري ، وحمل همّ التجريب الإبداعي ، مؤكداً على الحرّيات اللامحدودة التي ينبغي على الشاعر أن يستمتع بها ويتشبث بها بعيداً عن كافة السلطات . وهو بالرغم من تجربته السياسية في الحياة ، إلا أنه لم يخضع تجربته الشعرية لسلطة السياسة . وظلت قصيدته بعيدة عن المحاذير الخطابية المباشرة التي تستدعيها السياسة السائدة» .ص 481 .

وهذا التعريف صحيح تماماً ، إلا في جانب واحد هو نفي خضوع التجربة الشعرية لـ «سلطة السياسة» .ذلك لأنّ السياسة كانت ــ وما تزال في الواقع ــ حاضرة في تسعة أعشار قصائد قاسم حدّاد . و«السياسة» هنا ليست تسلّل بيان الحزب السياسي إلى القصيدة ، وليست خيار التغنّي بفلسفة العقيدة ، كما أنها ليست متابعة الحدث اليومي ، أو حتى تلك الأحداث الكبرى التي قد تكون فاصلة في حياة الأمم ، ولكنها لا تترك في الوجدان الجَمْعي ما هو أعمق من العواقب السياسية المباشرة . ما أعنيه بـ «السياسة» هنا هو خيار التحديث

التعبيري دون سواه ، وما يترتّب على تطوير ذلك الخيار من ضرورات اعتماد «أبجدية» محدّدة لا تستطيع مجانبة السياسة . والأمر قد يبدأ من تفضيل شكل التفعيلة على عمود الخليل ؛ أو تفضيل الاتكاء الاستعاري على شخصيات بعينها (سيزيف أو طرفة بن الوردة ، مقابل البدوي أو ابن ماجد على سبيل المثال) ؛ أو إبراز رموز كونية دون أخرى (الشمس ، والأطفال ، والنسر ، والطوفان) .

هذه ، مثلاً ، هي المفردات الكبرى في مجموعة قاسم حدّاد الأولى «البشارة» ، بل إنّ غطاً من السياسة التامّة (والصريحة في الواقع) يهيمن على معظم قصائد المجموعة ، ويبدو مباشراً تارة ومبطّناً طوراً ، ولكنه في الحالتين لا يخضع لاعتبارات أخرى قدر خضوعه لـ «السياسة» .ففي قصيدة «من أبجدية القرن العشرين العربي» ، والعنوان دالّ في ذاته ، يقول حدّاد :

زاء
الموت في زيورخ يا شهيد
والقبر في بيسان
والنعش يأتي حاملاً بطاقة البريد
حرّية الإنسان
يمرّ فوق أعين العمّال في الجنوب
ويصبغ الجبال في الشمال
ويمسح الخوف عن الأطفال
ويرفع القلوب

فنقرأ العنوان في بطاقة البريد
حرّية الإنسان
يمرّ فوق قاعة الإعدام
وفوق سرحان الذي يمثّل الحرمان
من غصن زيتون ومن أمان
يجلس فوق الحكم والحكّام
يصرخ في وجوههم :
قتلته لأنني حقيقة ، لأنه أوهام
عقوبتي أعرفها يا أيها الحكّام
لكنني حقيقةٌ
والحقّ لا يموت بالإعدامْ
مجموعة «البشارة» ، 1970

ومن الواضح أنّ هذا المقطع يتناول ظاهرة الفدائي الفلسطيني عموماً ، وواقعة سرحان بشارة سرحان خصوصاً . المقاطع الأخرى في القصيدة تتحدّث عن بركان الثورة ، والطريق الثوري إلى القدس والجليل ، و«عالم الحريم ، في كهف شهريار» ، والحرب في فييتنام وفلسطين ، ونشيج الخيام في الخليج ، والوالد الذي قهر البحار ولم يخلّف لأولاده سوى الحرمان ، والسلطان والأميرات الحسان ، والفلاّح وتعب الحصاد ، وصوت غيفارا الساخن مثل الحبّ ، والرجال من شاربي الخمور في موائد الأنذال . . .

غير أنّ المقطع الأوّل في القصيدة يتحدّث عن «الشاعر الجديد

في زمـاننا الجـديد» ، ذاك الذي «يغـمس الريشـة في الجـراح» و«يصرع الرياح» . وبصرف النظر عن مقدار الحماسة البطولية في القصيدة ، ونبرة الاحتجاج العالية ، واعتناق عشرات القضايا شرقاً وغرباً ، فإنّ ما يرسب في القرار العميق من القصيدة هو حسّ الانشقاق العميق عن السائد الفاسد والفاسق ، وهو ليس سوى السياسة في واحد من أعمق مظاهرها . وليس في خيار كهذا ما يعيب قصيدة قاسم حدّاد ، في تلك البرهة بالذات من صعود تجربته أوّلاً ، وفي ذلك الطور بالذات من ممارسته لدور الرائد الذي لا يكذب أهله ذلك ، ببساطة ، كان خياره الوحيد في ظلّ الشرط الإبداعي والثقافي والسياسي المعقّد الذي كان يعيش فيه ، ويعيش في إساره أيضاً .

لكنّ القوى الجمالية والفكرية والأسلوبية العارمة ، الكامنة عميقاً في شعريّة قاسم حدّاد ، كانت أشدّ تعقيداً وتنوّعاً من أن تكتفي بهذا المستوى المباشر من التعاطي مع السياسة (الأمر الذي يفسّر نفوره اللاحق من إقرار خضوع تجربته الشعرية لسلطة السياسة) ، ولهذا فإنّ مجموعته الثانية «خروج رأس الحسين من المدن الخائنة» أنجزت نقلة سريعة ــ بل وخاطفة مباغتة ــ بعيداً عن «السياسة» الأولى تلك ، وبعيداً أيضاً عن أسلوبية الكتابة تلك . لكننا ، مع ذلك ، ما نزال نلحظ «بصمات شعراء المدرسة الحديثة واضحة بين قصيدة وأخرى» كما أقرّ قاسم حدّاد ، ونهتدي بسهولة إلى أصوات بدر شاكر السيّاب (في المنحى الغنائي والأسطوري) ، وعبد الوهاب البيّاتي (في المنحى الواقعي التبشيري) ، وصلاح عبد الصبور (في الميل إلى التفاصيل واللغة اليومية) ، وأدونيس (في اللغة الصوفية واللقطة الذهنية) وشعراء المقاومة الفلسطينية (في التمثيل الملحمي والعمارات

الإيقاعية المتينة) .

غير أننا نهتدي ، بسهولة أكبر ربما ، إلى شخصيّة الشاعر التي أخذت تستقلّ تدريجياً ، وإلى أولى السمات الأسلوبية التي سترافقه زمناً طويلاً ، وستغتني من مجموعة شعرية إلى أخرى . لقد أخذ يدير شبكات سردية تمنح القصيدة حركة دوّامية ونموّاً عضوياً هادئاً ؛ ويقيم حوارات بين ضمائر المتكلّم والغائب والمخاطَب ، بالمفرد وبالجمع ؛ ويبدّل التفاعيل داخل القصيدة الواحدة على نحو سلس متّسق أحياناً ، ومتقطّع خشن الوقع أحياناً أخرى ؛ ويضمّن الكتلة التفعيلية مقاطع نثرية مفاجئة ؛ ويترك للغة أن تسترسل في ما يشبه الطواف اللفظي الحرّ ؛ ويمزج في القصيدة الواحدة بين التركيب الدراميّ – الحواري والتركيب الغنائي ذي الضمير المتفرد . أمّا موضوعات قصائده فقد خرجت ، مرّة وإلى الأبد في الواقع ، عن تلك النبرة الخطابية الحارّة التي طبعت مجموعته الأولى ، ومالت أكثر فأكثر إلى التمحور حول الرؤى الحلمية والصوفية التي تتشكّل استناداً إليها عوالم طرفة ابن الوردة ، ومنظورات رثائه لعصره ، وتحولاته الميتافيزيقية في الزمان والمكان :

في طرف القبر حلمٌ : أنا الطرف الثالث للحلم
ماء يسير ويختصر الموتَ والمهرجانْ
سأنفصل ما بين عصر الوقوف وبيني
ليَ الآن حرّية في الرحيلْ
لغاتي ذائبة وحدها في الهواءْ
إذا شئتُ أدخلُ من فجوة الليل أو أستقيلْ

حوانيتُ توزّع مرض الحزن والنومْ . ومصحّاتٌ
بحجم السأم المرابط تنشر سلالة الشرطيّ
والصلاة والشفق واحتقان الأمل في الوريد .
وتحتلّ الغفلة جيلاً بلا أسئلة .
أنا خندقٌ عمّقته السؤالات والشكّ أن الطفولة ماءٌ
وأنّ النخيل طريقٌ إلى الماءْ .
مجموعة «الدم الثاني» ، 1975

ومن الواضح أنّ السطور (7-10) تخرج عن الكتلة التفعيلية إلى النثر دون سابق إنذار ، كما أنّ مخطط التواتر المخفّف للقافية لا يشبه في شيء تلك المخططات السابقة حين كان قاسم حدّاد يلجأ إلى التسكين أو التضحية بالتشكيل الصحيح لأواخر الكلمات في سبيل تحقيق القافية . كذلك من الواضح أنّ هذا الحسّ العالي بالشكّ والأسى والشجن (وبعض الذنب الشخصي أيضاً) ليست سوى إرهاصات الطور القادم من اشتغال قاسم حدّاد على موضوعة الفقد ، المركزية في تجربته الشعرية . وفي مجموعاته اللاحقة سوف تتطوّر هذه الموضوعة في منحيَيْن : عاطفيّ تعبّر عنه علاقات القصيدة الشكلية والموسيقية والتصويرية (التشكيلية بصفة خاصّة) ، وعقلاني تعبّر عنه شبكة العلاقات الدلالية وجملة الرموز والشخصيات .

ولعلّ إلحاح هاجس/ موضوعة الفقد على قاسم حدّاد هو الذي شدّه إلى توسيع تجربته في كتابة القصيدة الطويلة المنقسمة إلى أجزاء أساسية ومقاطع فرعية قصيرة نسبياً ، وذلك في مجموعة «القيامة»

(1980) . واستعارة المرآة ، التي تتكرّر في الجزء الثاني من القصيدة ، هي عين الضمير الشخصي للشاعر إذا جاز القول . إنه ، هنا ، لا يلقي على عاتقه أثقال حياته الفعلية والمجازية فحسب ، بل يحمل أيضاً أثقال (وآثام) الحقبة بأسرها . وهو يبرع حقاً في تحقيق توازن مدهش في التعبير عن حرّية داخلية قصوى وسط هذا القدر من القيود التي استجمعها بنفسه . وثمّة ارتقاء رؤيوي بليغ بالزمان والمكان ، واندماج تركيبي رفيع بين حياة الشاعر وحياة الأمّة ، ووحدة شعورية عالية تكتنف الحصيلة المزجية هذه ، وتقودها إلى ما يشبه النشيد الملحمي الكوني .

III

قبل هذه المجموعة وبعدها شهدت تجربة الشاعر منعطفها الحاسم التالي ، حين استقرّ على تكريس مجموعتَين كاملتَين لشكل قصيدة النثر : «قلب الحبّ» (1980) ، و«شظايا» (1983). ويمكن الركون ، دون أدنى مساءلة ، إلى ما يقوله حدّاد عن هذا الطور ، الذي يدشّن مراحل تململه الفنّي في المجموعات الأولى ، ويتبلور في «**خروج مباشر وشامل عن التفعيلة**» .غير أنّ الاعتراف الأكثر أهميّة ، حول هذه المرحلة ، هو ذاك الذي يتعلّق بإدراك الشاعر للمسؤوليات المترتبة على حيازة الحريّة التعبيرية هذه ، وخطورة أداتها الكبرى ' اللغة . وهو يقول ، في «**سيرة النصّ**»:

الاحتفاء باللغة ، إذن ، هو الشرط الأوّل لتخلّق الحالة الشعرية ، حيث الصورة الفنّية لا تتحقق بغير طاقة الجمال الكامنة في اللغة . هذا الاحتفاء يشكّل ، في اعتقادي ، طبيعة أساسية عند الكاتب

وضرورية ، لكي يجعل إنتاجه الأدبي مبرراً بتميّزه التعبيري عن أشكال التعبير الإنسانية الأخرى .

تبلور ذلك في تعاظم الحساسية تجاه الإيقاع اللامتناهي في اللغة العربية : الكلمات ، الجمل ، المفردات ، الحروف ، الصور ، الاستعارات ، الدلالات ، العلاقات . كنت أجد في اللغة طاقة هائلة من الإيقاع ، الذي كانت الأوزان والتفاعيل تسحقه أو تَعبر عليه بضجيجها الخارجي والعام ، ورأيت في ذلك كبتاً لحرّية الحرف ، كوحدة وذات ، في مواجهة القانون الموضوعي العام ، الذي لا يرى في الحرف سوى جرس يمكن أن يصخب مثل طبل في نهاية كلّ كلمة وعند خاتمة كلّ قافية . . في ذيل الشطر أو التفعيلة» . ص 19-20

لماذا ـ بين مجموعة قصائد نثر وأخرى ، وبعدهما أيضاً ، وبعد هذا الكلام المتشدّد ضد ضجيج التفاعيل وجرس الحروف التي تصخب مثل طبل ـ عاد قاسم حدّاد إلى كتابة قصيدة التفعيلة في «القيامة» ، بل واستخدم القافية في «انتماءات»؟ ألا تبدو مقاطع قصيدته الفاتنة «أوراق الجاحظ الصغيرة» وكأنها تذكرة بليغة بأفضل ما في تقاليد قصيدة التفعيلة من صياغات موسيقية باهرة؟ هنا ، على سبيل المثال ، مقطع يصعب أن تكون حروف قوافيه صاخبة مثل طبل :

أرّختُ للدماء في سرادق العروسْ

وقلت للطاووسْ :

تصير غرباناً على الذبيحةْ

أرّختُ . كنت الكتب الجريحةْ

مصابة بالكتب المؤوسْ

بعثتُ أوراقي إلى رفاقي
أرّختُ . صارت جنّتي بغداد
آه على بغدادْ
محزومة بالماء والزنازن الفسيحةْ
أرّختُ للعروس
لو أرّخت غير الكتب الكسيحةْ
مجموعة «انتماءاتنا» ، 1982

وفي يقيني أنّ الإجابة على التساؤلات السابقة تكمن في حقيقة أنّ الانعطافة الأسلوبية الفاصلة التي شهدتها تجربة قاسم حدّاد منذ مطلع الثمانينيات وحتى أواسطها لم تكن تدور حول قلق الشكل (التفعيلة ، أو قصيدة النثر) ، بل حول قلق اللغة الشعرية أولاً ، وقلق الموضوعات ثانياً . وليس بغير مغزى تعبيري عميق أنّ مجموعتيّ «قلب الحبّ» و«شظايا» تشتركان في سمات محدّدة طارئة على أسلوبية حدّاد : القصيدة القصيرة ، أو تلك التي لا تتجاوز السطرين ؛ قصيدة الحب ؛ وموضوعة محاورات العاشق ؛ المسحة الغنائية الممتزجة برومانسيّة شفيفة ؛ والاشتغال التشكيلي على علاقات التجاور الدلالي بين الألفاظ (كما حين يقول : «حين أرسم كلمات مثل :/ حنين حارس/ حُلم حجر/ ليل لهفة/ لذّة لبن/ أكون قد لوّنتها بكِ») ؛ أو حتى في خيار التصوير التشكيلي عن طريق توظيف التجاورات الصوتية بين الحروف (كما في المثال التالي الذي يوظّف حرف الخاء : «قلت للسيف/ أيها المهيمن/ سليل الخواضع والخواشع/ مستبطن الخنوع والخوف والخديعة/ خليل الخوارج

والدواخل») .

هذا القلق الأسلوبي (الذي يدور جوهرياً حول الأدوات التعبيرية ، وليس حول الخيار بين شكل التفعيلة وقصيدة النثر) هو الذي سوف يعطينا دفعة من أصفى مجموعات قاسم حدّاد الشعرية ، بدءاً من «انتماءات» ، وصولاً إلى «عزلة الملكات» (1992) ، ومروراً بالمجموعة المتميّزة «يمشي مخفوراً بالوعول» (1990) . وفي هذه المجموعة الأخيرة تحديداً ندرك مقدار الاضطرام التعبيري الذي قاد الشاعر إلى هذا المستوى المستقرّ من القدرة على المصالحة بين الشكلَين ، والمستوى القَلِق (المتحرّك أبداً) من أنساق تجريب الأدوات ، واللغة الشعرية بخاصة .

وإذا كانت هذه المجموعة قد صدرت في مطلع التسعينيات ، فإننا من جانب آخر نعرف أنها كُتبت في العام ١٩٨٢ : عام انخراط قاسم حدّاد في دورة معمّقة من البحث الجمالي والاستكشاف التعبيري . وممّا يرتدي أهميّة خاصة في هذا السياق أنّ الشاعر هنا كان قد استقرّ كثيراً في علاقته النقدية مع خياراته الشعرية السابقة ، ولكنه استقرّ أكثر في استقلاله عن تأثيرات «شعراء المدرسة الحديثة» ، كما كان يحلو له تسمية شعراء التحديث العرب في «المراكز»

ومجموعة «قبر قاسم» (1997) هي ذروة اكتمال دورة البحث والاستكشاف تلك ، والأرجح أن قاسم حدّاد قرّر ـ بعد هذه المجموعة بالذات ـ أنّ تاريخه الأسلوبي قد شهد الكثير من التصارع والتطاحن والقلق والاستقرار ، وأنّ الأوان قد آن لإصدار الأعمال الشعرية الكاملة . وليس من المدهش ، والحال هذه ، أن يكون هاجس تطوير

اللغة الشعرية هو القاسم المشترك الأعظم في المعادلات الجمالية والتعبيرية التي نهضت عليها هذه المجموعة، الأضخم حجماً والأكثر أهمية في تراث الشاعر. وليس من المدهش، أيضاً، أن تسير سطور القصيدة الفاتحة هكذا: «ذاهب لترجمة الليل/ هل النصّ شهوة اللغة/ هل المعنى شكل يفيض بالأبجدية».

موضوعة الرثاء الكوني، الأثيرة لديه، تكتسب هنا بُعداً صوفياً عميقاً دون أن تتحلّى عن مقتضيات التغطية الملحمية الكثيفة لفلسفة ارتطام الكينونة الوجودية بالكينونة الإبداعية. وإذا كان الناطق الواحد في هذه القصيدة (الواحدة، رغم انقسامها إلى «كُتُب») يرثي فقدان الروح لشرط حرّيتها الأصلية، الحرّية التي فُقدت ساعة الولادة ربما، فإنه في الآن ذاته يحتفي بحيازة الكائن لمخيّلة حرّة قادرة على «ترجمة الليل» وتحويل قبر الشاعر إلى كينونة أبدية، مخلوقة ـ خالقة:

جالس هناك،
يفرك حرّيته ببلّور الصحراء، فتستيقظ حواسّه كلّها،
وكلّما سمع عن عبيد ينالون أحلامهم،
يشغف بمَن يضع يديه على حجر ويشعل به بركان الرفض.
جالس هناك،
يرى المستقبل، كما يلمح ضوءاً تحت عقب الليل،
فيتحصّن بنصٍّ يخذل الكلام.

وفي هذه المجموعة يستجمع قاسم حدّاد محطات تاريخه الأسلوبي

دفعة واحدة ، ولكن على نحو تركيبي بديع وبارع وذكيّ : إنه يستخدم شكل التفعيلة وشكل قصيدة النثر ؛ يلجأ إلى القافية أو يمتنع عنها ؛ يكتب المقطع القصير أو القصيدة الطويلة ؛ يوظّف الألعاب الطباعية ، والفراغات ، والبياضات ، والتوزيع الهندسيّ للسطور ؛ ويقول حرفياً . «قدحي تفيض/ ولي احتمالات من النزوات/ تاريخ الشراك وجنّة الأخطاء لي/ ولي النقيض» . أو يقول : «أنّ للشخص أن يمنح النصّ / ما يشتهي/ آنّ للروح أن تنتهي .»

وقاسم حدّاد يمنح النصّ ، ويمنحنا ، تلك المعادلة الفريدة في امتزاج الفضاءين الطبيعي والتشكيلي في لغة القصيدة . والفضاء الطبيعي هو ذلك الحيّز الذي يُدرك بدءاً من الجسد الإنساني وإلى الخارج المقابل ، سواء أكانت عناصر ذلك الحيّز مشهداً متعدّد الأجزاء (كما في الإطلالة على منظر طبيعي) أو مشهداً وحيد الجزء (كما في النظر إلى شجرة عزلاء) ، أو مشهداً مركّباً قائماً على الفراغ المادّي والامتلاء الرمزي (كما في الوقوف أمام بيداء صحراوية) . والشاعر في مواجهته لهذا الفضاء الطبيعي يقيم توازناً من نوع ما بين مخيّلة ترشقه خارج نفسه ، وذاكرة بصرية تشدّه إلى داخل نفسه ، ومكان يغلّف المخيّلة والذاكرة فيُبقي الشاعر خارج نفسه وداخلها في آن معاً .

أمّا الفضاء التشكيلي فهو الفضاء الطبيعي وقد انقلب إلى رؤيا إبصارية خارقة لوسائل الإدراك المعتادة ، وانهارت فيه علاقات التراتب الوظيفي الثلاثي بين المخيّلة والذاكرة البصرية والمكان ، وتكوّنت عناصره من مزيج تركيبي لا يسمح بتبادل أو إعادة توزيع أو قلب الأدوار بين

عناصر التوازن الثلاثة هذه فحسب ، بل يسمح بتحويل الالتقاط الشعري لتلك الفضاء الطبيعي إلى التقاط بصري تشكيلي على الصفحة المطبوعة ذاتها : اختيار شكل هندسي لتوزيع النصّ ، تدوير أو قطع السطور الشعرية وفق عمارة غير مألوفة ، إفساد القواعد المعتادة لعلامات الوقف ، استخدام قياسات أو ألوان مختلفة للحرف الطباعي ، وما إلى ذلك .

وفي قصيدة بعنوان «زفير الأحجار» ، من المجموعة ذاتها ، يقول قاسم حداد :

يحضُنُكَ الفَكُّ كأنّه رأفةُ الفَصل .
يحتازكَ نصلٌ وهو يجهشُ
تحسبُ أنّه الأمّ تنتخبُ لكَ المهدَ ، فيما هو لحدُكَ المحتوم .
فالحبُّ قبرٌ أحياناً ،
ويفتحون لكَ الأفقَ . . لتضيعَ
يرصدكَ رصاصٌ يطيش في خطواتك ،
تظنّ أنها بهجة الطبيعة تبعث لكَ أجنحة الولوع ،
وهو هلعٌ يرصدُ لك الخطوة والطريق ،
فالقدح يغلب الماء أحياناً .
وأحيانا تبرد أطرافكَ بفعل الوحشة ،
وحدكَ في كهف ،
تقرأ كي تخدعَ النّومَ لئلا يستفرد كابوسُ الوحي برأسكَ ،
فالماء يحايد أحياناً .

يتركُكَ الرفقة في الدار، وزفير الأحجار يتصاعد طيوراً .
يختلج قنديلُ المعنى ليشيَ نصفُ النّصِّ بنصف آخر .
لماذا تنام وتتيح لأشباحكَ حريّة المخيّلة وسلطة اللّيل
لماذا كلّما انتابكَ الذُعرُ
هفوتَ بأحلامكَ إلى حُبٍّ يسبق الموت ويليه .
هل لديكَ أسماءٌ واضحةٌ لشمس أيّامكَ .
هل لديكَ أيّامٌ لا ينال منها الوقت ولا يطالها المكان .
ذاهبٌ في وطأة الغياب وعذاب القميص وجنّة الذئب ،
ما كان لكَ أن تبذلَ جسدَكَ لمهبّ الحُبِّ الصارم ،
مثلما يضعُ الفارس شغافه في شفرة السيف . .
ويحلمُ بالنجاة .

وفي هذا النصّ يمارس الشاعر الحرّيات التخييلية التي تقتضيها أبجديته الخاصة في تحويل الفضاء الطبيعي إلى فضاء تشكيلي ، لكنه يقف قاب قوسين أو أدنى من تنبيه القارىء إلى بعض هذه الحرّيات ، أو «الاتفاق» معه حول ممارستها إذا صحّ القول . وحداد يشير صراحة إلى «قنديل المعنى» و«نصف النّصّ» الذي يشي بنصف آخر ، و«أشباح المخيّلة» التي تنشط في «سلطة الليل» ، وكأنه يطالب القارىء بالتعاقد مع صوت الشاعر الباحث عن المعنى ، من أجل التوليد المشترك للمعنى (ونتذكّر ثانية قوله : «هل المعنى شكل يفيض بالأبجدية» .) أو كأنه يقلب الآية فيسعى إلى ردم الهوّة بين شروط إنتاج الفضاء التشكيلي وشروط تقويض الفضاء الطبيعي ، بين النّصّ كما يسجّل ذلك الإنتاج ، وبين الاستقبال كما يوافق على ذلك

التقويض .

والشاعر مضطر ، هنا بالذات ، إلى تقديم عدد من التنازلات للقارىء ، ربما انطلاقاً من قاعدة منطقية صحيحة تقول إنّ أيّة قراءة مرهونة بالتوافق البنّاء بين القارىء والنصّ الأدبي . إنه ، على سبيل المثال ، يهادن الذاكرة البصرية حين يشير إلى نصل يحتزّ ، ورصاص يطيش ، وقدح يغلب الماء ، وأطراف تبرد ، وقنديل يختلج . . . هذه العلاقات ليست طارئة ، بل إنّ بعضها يدغدغ مخزون القارىء حتى في المستوى الاتفاقي للاستخدام اللغوي ، كما في التقابل بين المهد واللحد ، أو في اقتران الفعل «يتيح» بمفردة «حرّية» ، والفعل «ينتاب» بمفردة «ذعر» . لكنّ قاسم حدّاد يتحدث أيضاً عن نصل يجهش ، وحُبَ قبر ، وأجنحة الولوع ، وزفير الأحجار ، وقنديل المعنى ، وجنّة الذئب . كذلك يكتسب المكان من الأبعاد الرؤيوية ما يكفي لكي تنقلب صُوَره الطبيعية إلى أخرى تشكيلية طارئة ، غير مألوفة ، وغير مدوّنة في الذاكرة البصرية التي قد يسارع القارىء إلى التمسّك بها ، ربما بوحي من إحساسه بأنّ المصالحة مع مخيّلة الشاعر تسري على هذا الحقل أيضاً .

IV

لقد بدأ قاسم حدّاد تجربته الشعرية بالتحالف التامّ مع الذاكرة البصرية للقارىء ، وهو ـ في هذه المجموعة التي تتوّج أنضج أطوار تجربته ـ ينتهي إلى انتهاك تلك الذاكرة واقتياد القارىء ، الراضي والسعيد ،

إلى ذاكرة شعرية تشكيلية طازجة وطازنة . . . تسعى إلى ترجمة الليل . وفي قصيدة نثر ذات عنوان دالّ ، «صوت ينتسب للخارج» ، كان الشاعر قد قال :

صوتي لنهر
يجنح ضدّ عادة الماء
للحرف ضدّ القواميس
والنحو والصرف
للشعر في النثر
أعني الشريد في صرخة الليل
أعنيه
مستقبلاً سوف يمضي .

وهذه الأعمال الشعرية الكاملة تزوّد دارس الشعر العربي المعاصر بوثائق إبداع استثنائية حول تاريخ أسلوبي فريد وحالة نادرة من تقدّم النصّ الشعري الرائد عكس التيّار : ضدّ عادة الماء ، ولكن ليس بعيداً عن ائتلاف لجّة النهر الدافق .

باريس ، أواخر العام 1999

البشارة

(1970)

إلى الأطفال

بشارة الفجر الآتي

والحديد ساخن لا توقف الطرق

(1) نأتي لكم

نأتي لكم كلامنا محمّل بالشوق والفرح
محمّل برعشة العصفور..
بانتفاضة القلوب

نأتي لكم جراحنا تلوب
ورأسنا يشكو من الوجع
يا أيها الباكون في نوافذ البيوت
بكاؤنا أغنية حزينة الإيقاع
باردة .. ساخنة الإيقاع
بكاؤنا يغرق في بكائكم..
ويرفض الوداع

يا أيها الباكون من أفراحكم ..
هل تفتحون الباب ؟
هل تمسحون دمعة جارحة الأوتار ؟
هل توقدون النار ؟
وتكتبون الشمس والإنسان والجواب ؟

نأتي لكم لأننا نعرفكم أكثر من حياتنا
نعرف أن نبضة القلب التي ترقص
في صدوركم ..
ترقص في صدورنا
هل تفتحون الباب ؟
نفرغ كلّ حزننا في جلسة واحدة ..
ونكسر الأكواب
ندوس كل يأسنا في ساعة
في لحظة
نخط في الكتاب .
نعرف أن بيتنا الصغير
محاصر بالحزن والأخطار
نعرف أن النار
طريقنا .. هل تفتحون الباب ؟

هل نزرع القلوب في تربها
يا أيها الأطفال ؟

نأتي لكم في الليل والنهار
نأتي لكم في الصمت أو في كتب الصغار
نأتي لكم . .
في موعد لا يعرف الصبر والانتظار .
نعرف أن البطل القابع في دمائنا
يأتي مع الجواب .

(2) مع الأطفال

الشمس حين نلتقي . .
تجلس في كلامنا الطويل
وتغسل الجراح والأحزان والعويل

الشمس و النجوم في مائدة اللقاء
وزهرة حمراء
مغروسة في الكتف اليسار
وشعلة من نار
تعزف في أغنية النخيل .

الشمس يا أحبابي البشر

تعرف كيف تمسح الكآبة
عن وجهنا وتطرد السحابة
تعرف أن لحظة اللقاء
عالية كالله في السماء
لذا تجيء شمسنا في الليل والنهار
تجلس في أحضاننا
تلاعب الصغار .

الشمس يا أحبتي حكاية يجهلها الكبار
لأنها تأتي على أصابع الأطفال
تأتي لنا في لحظة اللقاء
صافية ، بريئة
قوية .. تأتي مع الأطفال .

(3) من عين الشمس

يا طفل الشمس الآتي من عين الشمس
ابعث ساعدك الأسمر يحضن فجر الغد
ارفع هامتك المزروعة بالورد
والمس أوتار الأغنية

ما عادت في الدنيا أوتار تخشى اللمس .

يا طفل اليوم الآتي
اليوم المولود يجرح الأمس
احمل مطرقة الوالد
حطم أسوار التاريخ الفاسد
ما دمت جريحاً في الشارع
ما دامت أقلامك صامدة
ترفض أن تمشي في درب
تأخذها للخطو الراجع
ما دام حديدك محمياً
اضرب بالمطرقة الكبرى
واصنع من قيدك سكيناً
واغرسها – يا طفل الآتي –
في عين الخائف من شمسك .

فبراير 1970

النصر

..و من الجنوب إلى الخليج
يأتي على ريح الجنوب
نسر كبير
من خلف جدران الليالي الحالكات
من الجنوب
يأتي يرفرف فوق مئذنة البلاد

نسر كبير

ويقول قد مات الغروب
والفجر يخلق في شواطئنا الحياة
بعد السنين البائيات
من فوق مئذنة البلاد
من الجنوب
صوت على نغماته ضحكت وهاد

كسرت قيود
فوق الصخور القاسيات بلا حدود
ها قد سمعنا صوت قرقعة القيود
مكسورة صوب الجنوب
والشمس تشرق في الصباح وفي المساء
الشمس تشرق لا تميل إلى الغروب
يكفي غروب
يكفي ظلاماً فوق نهر من دماء
الشمس تشرق حينما تلد النساء
فجراً جديد
من داخل الكهف الذي كسر الصخور

نسر كبير
من فوق مئذنة البلاد
يشدو بأغنية الخلود
بلا قيود
كالنور حين يثور نار
يأتي على ريح الجنوب
من الجنوب
حيث العيون العاشقات سنى النهار
حيث انهيار الليل والدم والجدار .
يا نسر رفرف فوق صحراء القلوب
ضمّخ شوارعنا بأزهار الجنوب

انثر طيوب
وانشر جناحك فالعصافير الصغار
في بيتنا الواهي الصغير
تبغي دماء النار والقبل الكبار
مطيورنا مطر الشتاء أذاقها برد الطريق
على الطريق تعيش شوق الانتظار
ومن الجنوب
يأتي على ريح الجنوب

نسر كبير
يقول أن لا تتركوا حبَّ التراب
ويقول إن حقيقة الإنسان تحيا في التراب
فدعوا السكوت .
ومن التراب إلى التراب
نسر كبير
يقول قد مات الغروب
طار الجراد عن الجنوب

يا دورة الحجر الكبير على القلوب
يا نجمة بيضاء في الثوب الممزق كالشراع
حيث الرياح تهب إعصاراً كبير
نفس الصراع
فوق الخليج .

وتحط أرتال الجراد

ومن البلاد إلى البلاد

تأتي الرياح من الجنوب

لتحط في عين الخليج

على القلوب

واحمل سلام الأهل يا ريح الجنوب

إلى الرجال

وإلى النساء الصانعات دم المحال

بلّغ سلام المجهدين الناعسين

للساهرات من العيون

على الحدود

الصابغات دم الشهيد على الخدود

إياك أن تنسى السّلام

قل للجباه السمر أن تهدي سلام .

قل للتراب بأن في شط الخليج

رملاً يتوق إلى الحياه

وعيون أطفال تعيش بلا جباه

ولسوف يرتاد الجميع ذرى الجبال

بلغ سلاماً للرجال

واصرخ بهم :

نسر جديد

سيهب من عين الخليج
نسر كبير
ومن الخليج إلى الجنوب .

ديسمبر 1967

البشارة

يا ثوب والدتي المرفرف فوق هامة بيتنا
يعطي البشارة
إن سيزيف الذي قد غاب عاد
عاد يحمل صخرة الإنسان يا بحر الرماد
سيزيف عاد
والحر تكفيه الإشارة
في وجنتيه علامة الشوق الجريح
وفي يديه
تبكي شرايين على ماض كسيح .

لحن طويل
سيزيف عاد
آه عليه

قد عاد يسحب عمره الوهن الطويل
من فوق هامة بيتنا ومن المنارة
يا ثوب والدتي المزركش
هل ترى كانت خسارة ؟!

ليتني رافقته في رحلة
الربح فيها أن تكون بلا خسارة .

من سعفة تهتز من موجات سيف
من طفلة بالحبل ترقص
من صدى نغم لطيف
تأتي تباشير الطريق
تأتي لتغتال الكآبة والخريف
فبألف سيزيف هنا تكتظ دار
قهروا بحار الليل
دكّوا حصن قرصان الجدار

شبعت جزيرتنا بكاء
شبعت شقاء
فلتسكت الأنشودة الثكلى
وتشرع في الغناء

أنشودة الإنسان والغد والبناء ،

□□□

أبداً يموت
الليل في أعماقنا أبداً يموت
والفجر يصطخب اصطخاباً ،
في يديه
نور يمزق ثوبنا القذر البليد
نور جديد .

□□□

يا ثوب والدتي المرفرف في السحاب
مزّق ستار الصمت و اكتسح الضباب
دوّ بصوتك واخبر السامين أن «البوم»* عاد
واكسر جليد صقيعنا
ولك البشارة .

يا ثوب والدتي ،
ولن تُطفى الشموع
فالصخرة السوداء قد لانت
ولان أسى الضلوع

وراح الحب في الإنسان يضحك في ثناياتا
فخاف خريف دنيانا
وظلت شمعة الإنسان ترعانا
أتى سيزيف ينشر ثوب والدتي
ويكمل لحن مغنانا
فبشّر شمسنا يا ثوب
أن الغيمة السوداء قد ماتت
وقد ماتت خطايانا

□□□

سيأتي موعد آخر
لنكمل رحلة الإنسان
لنغزل فجرنا الأخضر
وننسى عمرنا الأسيان
بعيد دربنا يا بحر لكنّا سنقطعه
صدى سيزيف يدعونا
سنبحر رغم ما علقت بأرجلنا وأيدينا .

□□□

سيزيف ، مثلك ، سوف نذهب للنهار
سنغوص في قلب البحار

تجتاح قلب الليل ، قلب المستحيل
وتحمل الإنسان
تحرق في شواطئنا كلاب البحر والأحزان .

غداً نرحل غداً نرحل
غداً يا حبّنا الأوّل
غداً نرتاد بحر الليل فوق «البوم» و «المحمل» *.
غداً نرحل
نعيد حكاية البحار يا أمي من الأوّل .

مايو 1967

(*) (البوم) و (المحمل) نوعان من سفن الغوص في الخليج .

مواويل الغد الآتي

يا رفيقي ما الذي تفعله بالكلمات
ما الذي تحفره في كبد الأرض
بحد الكلمات

يا رفيقي .. والحياة
زهرة حمراء تطلع
من دماء الكلمات
ما الذي تفعله يا أيها الإنسان يا ابن الفقراء
أنت يا حرفاً بعين الشمس يا حزن السماء
يا رفيقي في الشقاء
سوف نكتب
فوق شمس البشر الخضراء نكتب
كل حزن الفقراء

ذلك الحزن الذي يزهر في الأعماق
يخضر ، يرجّ الحجر الميّت
يجتاح الحدود
يهجر اليأس المدمي ويعود
حاملاً في مقلتيه
أمل الطفل وقلب الرجل الصامد
والحبّ الجديد .

يا رفيقي . .
صار طفل الأمس في لحم الزمان
خنجراً يحفر في كل مكان
يرسم الإنسان ، يعطينا البشارة
صار أن يأتي لنا طفل جميل
يمسك الشمس بكفيه ويعطينا انتصاره
يا رفيقي
صار أن نقفز من قبر الجليد
يدنا مطرقة ، فأس ومعول
يدنا ممسكة كفّ البنادق
صار أن نحفر في الأرض الخنادق
وضياء الفجر في الأكواخ يغزل .

ونغني
نتبع الإيقاع والتاريخ يكتب

يا رفيقي سوف تكتب

فوق جذع النخلة الخضراء تكتب

أحرفاً حمراء تخضرّ إذا جاء الصباح

ما الذي تفعله فينا الرياح .

وأياديَنا على مفتاح باب العالم الآتي

وشلاّل الجراح

يغسل الشمس ، وعين الطفل

قلب الرجل الصامد

والحب الجديد

تقفز الآن مع الفجر الوليد .

آه يا حزن الحروف الخضر يا سرّ الحياة

كيف لا تعرف ما تصنعه بالكلمات

يا رفيقي ، والحياة

زهرة طالعة للشمس من قلب الصغار

زهرة تكبر في كل نهار

والغزاة

حلم مات مع الليل وفات

فحساب الأرض صعب

وحساب البشر الأطفال نار يا غزاة

يا رفيقي ما الذي أعمله بالكلمات؟

في يدي طوفان أشعار وفي قلبي الحياة . .

مثل شلال الجراح الداميات
وعيوني سوف تنهار إذا ما الليل طال
آه ، لكنّ العيون
في قلوب الفقراء
تبصر الطفل الذي يركض في عين النهار
آه لكنّ السؤال ،
سوف يبقى كالجنون
ويظل الطفل شيطاناً خطير
يرهب الليل برايات النهار
ويحطّ الشمس في الفجر ، وأشعاري تصير
بذرة الأرض الجديدة .
فانتظرني
زمنُ الإعصار جاء
ومواويل الغد الراكض نحو النور
في الدرب ، وحرفُ الأصدقاء
ودمُ الأعداء
سِفْرُ البشر الأحياء
والقيد الحديد
تفقز الآن من القبر البليد

يا رفيقي
ما الذي تفعله بالكلمات؟
هل عرفت الآن جدوى الكلمات؟

باختصار

نكتب الشعر البشارة

كي يكون الحب ناراً . . باختصار .

نوفمبر 1969

ثورة من الداخل

.. ويا أماه
أين حنانُك المعطار
أين يداك تنشغلان بالتجديف في شعري
وكيف نسيت صوت فُتاتكِ المختار ،
همس الشوق يا أمي كهمس النار
في صدري .

ويا أماه
كيف أعيش في قبر بلا أبواب
كالمنفي في موت بلا سرداب .
ظلام في عيون الشمس
ظلام في جبين الأمس

وتعشيم تغلغل في جروح الدهر
وأبقى ، وحدة حمقاء تسقيني بكأس عذاب
وذاك (البخنق) * المحفور فوق الصدر
كأوراق على بركان

يثور الحب في قلبي . . من الداخل
ويهتز الصدى في الصدر يا أمي
بلا حسبان
وأشعر نشوة الإنسان
حين يعيش
حين يثور
حين الرعشة الأولى .
أحس حقيقة الإنسان .

يا أماه ،
شعور في شراييني كدفق دماي
أحس به سيحييني
أحس بأنه معناي
فليس لثورتي حدٌّ ، إذا انفجرت
فأين يداك تحرسني وعيناك لتحميني
لقد جاء الذي ما جاء لولاه انطلاق هواي
ومات (البخنق) الملعون في صدري

كموتٍ مات

أيا أمي أريد حياة
سئمت تحجّر الكلمات فوق جدارنا الصخري
سئمت للموت عبر حياتنا يسري
أريد حياتيَ الكبرى – أيا أمي –
بلا سجّان
. بلا قبر جميع جهاته جدران
بلا سور يحزُّ حقيقة الإنسان
أريد الحلم أصنعه بلا قضبان
أريد الحب أشعره كما الإنسان

أنا إنسانٌ . يا أميَّ أنا إنسان .

يا أمّاه
بصيح بكاهلي المتعب
حنينَ الشوق يسكب أنهر الأحزان
ويكسر خاطري المكسورَ فقرُ الحب
أتوق إليه
أتوق لعالمي الموعود
أبغي كسر هذا الطوق
أحنُّ لِفَوْق

حيث يداه تشلني لسقف الحب

ألقاه ،

ونحيا الحب دون حدود .

ثار الحب في قلبي من الداخل

يا أماه . .

في قلبي من الداخل .

يناير 1968

• البخنق : زي شعبي تلبسه الفتاة الى ما قبل الزواج ، وهو يغطي الرأس وينسكب على الصدر .

يا أيها الإنسان

يا أيها الإنســان
نحن أمام صفحة جديدة
في دفتر الأحزان
في عالم
الصدقُ فيه يسكن الأشجار والأشياء والجدران
لكنه لا يعرف الإنسان
يا أيها المصلوب فوق الباب
هل تعرف العذاب ؟
وكيف يسّاقط كل الحب في التراب
حين يموت حسرة في دمنا الحنان ؟

يا أيها الإنســان

نحن نموت في الصباح مرّة
وفي المساء مرّة
لأننا نبحث عن أمان
لأننا نبحث عن أسطورة الوفاء
فنكسر الجدار في طريقنا
نعانق الوفاء في خيالنا
لكنه يصفعنا بالحجر الصوّان
يخذلنا جميعُ أصدقائنا

وا ضيعة الإنسان
تسحقنا حقيقة مريرة ،
جميع أصدقائنا الأحباب
يرمون في وجوهنا أقنعة التراب
ويبدأ العذاب
بدمعة كبيرة في الزمن المهان
ونكتب المأساة فوق دفتر الأحزان

هنا أنا يا أيها الإنسان
معذّبٌ قلبي على أحبتي
من سالف الأزمان
أحبهم لكنهم بالحقد يضحكون
والزيف يضحكون
معلّقون هكذا بين حدود العقل والجنون

يمارسون الحب كالعادة في حياتهم
كالتبغ ، كالدخان
تعرق في ضميرهم سفينة الحنان

يا أيها الإنسان
نحن نعيش عالماً مزيّف الإحساس
الحبُّ في ضميره المثلوم مستعار
والصدق مستعار
والألم العميق مستعار
العالم الذي نعيش يا أحبتي
يعيش الانتحار .
وفوق وجه الصفحة الجديدة
من دفتر الأحزان
نكتب هذا الزيف والتزوير
وجرمنا الكبير
نكتب ما نعيش في دوامة النفاق
نبحث عن نهاية تمسح كلّ عارنا
فيصرخ الفراق
لأننا نخلق من لقائنا بداية لقصة الإنسان

يا أيها الإنسان

نحن نعيش عالماً سخيف

الصدق – وا ضيعتنا – ينام في الرصيف

الصدق – وا حسرتنا – لا يعرف الإنسان

نحن نعيش عالماً سكران

خمرته دماؤنا ، وتسقط العقول

فيبحث المقتول عن قاتله

ليمسك الإنسان .

يا دفتر الأحزان

فلتفتح السطور والأوراق

ولترتو من دمنا المراق

فالحب والوفاء

والصدق والحنان والصفاء

وكلُّ من كانوا لنا – يا قلبُ – أصدقاء

ترفقوا ، وانفجر البكاء

تراجعوا ، وانهارت الأشياء

تساقطوا ، وسافر الوفاء

يا أيها الإنسان

نحن أمام صفحة جديدة من دفتر الأحزان

فلنكتب التاريخ من ضميرنا

وليسقط الجبان

وليصمد الإنسان في معركةٍ

يحاربُ الإنسان

ليس أمام الدفتر الحزين

سوى انتظار الجولة التي بها

ينتصر الإنسان

ويسقط الجبان .

يونيو 1969

قولي لنا يا شهرزاد

نهر الدموع على خدود الليل سال
وشهرزاد
تطوي عباءتها الممزقةَ السواد
لتقول في عين النهار
قصص الحقيقة حين ينتحر الخيال :

كانت بحار
في عين بنلوبَ الحزينة
تسقي الدمع البحار .

من ألف عام
والمغزل المسكين يسبح في الظلام
في لبله المصلوب يسجد في خشوع

من ألف عام

والفارس العبسيُّ في شوق إلى برّ الأمان

يرنو إلى القمر الذي خلف الزمان

ويمدُّ ساعده الذي أَلِفَ الصراع

أبداً يمدُّ ، يمدُّ ساعده الشراع

ليطول خيط الغَزْل يا بعد المزار

طال الغياب ،

وتظل بنلوبُ المضيَّعة الشباب

تشدو بأغنية المنازل والعذاب

لتزيد خيط العمر ، يا بعد المزار .

كانت ذئاب

من خلف جدران الظلام

تعوي : نريدك يا قمر

نبغي الوصول إلى المرام

والفارس العبسيّ يكتسح الصعاب

في كل يوم ينتهي عمر ..

ويحتضر المطر

في كل ناحية ، ليغرقه التراب

والريح كالسكين في قلب الصخر

الفارس العبسيُّ في المنفى تغيِّبه البحار

في القاع ، في الأصداف

في الدرر الكبار .

(بنلوب) في الشطآن تنتظر الخبر

وتريد أغنية البحر
تشتاق للهولو* الكبيرة من على ظهر الجواد
من قلب فارسها المغامر ظافراً يطوي الوهاد
كانت ليال
بنلوب فيها تغزل الوهم الذي خدع الليال
لتمد جسراً للوصال
ليجيء فارسها الذي تخشى الرجال
- طال الغياب
أواه قد طال الغياب
فمتى يعود ، يعود قد كلت يداي
ومغزلي واهي العيون
والخيط مات
وفارسي لمَّا يَعُدْ
يا فارسي سأرش من دمي الطريق
والثوب من شعري سأغزله
وألتهم الحريق
يا فارسي لمَّا تَعُدْ
فمتى تعود . . ؟
وتظل بنلوب الحزينة تطعم الليل النهار
في قلبها حب وشوق وانفجار ،
وتظل تروي قصة المبسيّ لليل الجريح

والمقعد المنكوب ترويه الدموع

وظل فارسها على قمم البحار
يقتات من رمل الصحارى
والعظام من الضلوع
وتظل فوق الترب نار ،
بنلوب قد ذهب النهار
والفارس العبسيّ لم يأت إلى قمر النهار
سيظل يرتاد الصحارى
والبحار والانتظار
ويظل ..)
قد جاء المساء ، وشهرزاد
تطوي عباءتها المسودة السواد
يا شهرزاد
قولي لنا ،
قولي لنا يا شهرزاد .

مارس 1967

● الهولو : لحن الغوص المشهور

رسالة إلى المنفى

أخط إليك يا أحمد

بقايا نبضي المجهد

وعبر البحر والجدران والذكرى

تشد بأضلعي الخضراء

تلك الهمسة الحرّى

وذاك الخاطر المتّقدْ

أخط إليك يا أحمد

إليك إليك في التشريد والتغريب يا مبعد

شراع الشوق يطوي في بحار النار

يضرب في ظلام الليل

أعواماً بلا مقود

يجد إليك يا أحمد

ويحمل من تراب الأرض شلالا

وغصناً أخضرا مالا
ليعطي النور أرض طريقنا الأبعد

أخط إليك يا أحمد
كتاب الشوق من أمي
ومن أصحابيَ التعساء
من قوّارة الآلام
من جيراني البؤساء
كتاب الشوق تكتبه دماء الخافق المسهد .
ذكرتكَ غنوة خضرا
ذكرتكَ ثورة كبرى
ذكرتكَ يا قوي البأس في دوامة الذكرى
يزلزل صوتك الهادر
صروحا ليلها كفر
وستر نفاقنا الأسود
تغص طيورنا حسرى على لحن بعيد الدار
تغص تغص لا وتر يعد اللحن في القيثار
طيور سمائنا جرحى
تظل تموت لا يوم ولا موعد
عيون صغارنا تدمع
قلوب صغارنا تلمع
بيوت الثلج تسقط فوق هامتنا

وتكسر صفحة الجمع
عيون صغارنا تبكي
تصيح تصيح أن ترجع
فهلا عدت يا أحمد
بقايا من حديث النفس فوق السيف لم تكمل
وأشعار غزلت بها ثياب الناس لم تكمل
مشاوير مشينا بعضها عمراً
تركت الأرض والمشوار لم يكمل
وأحلام بنينا دارنا فيها ،
هدمت الحلم والأسوار لم تكمل .
إليك إليك يا أحمد
أقول بكل ما في الشعر من قوة
ستبقى ما بقي حرفي
ستبقى نار أشعاري
تحز خرافة الخوف
ستبقى في الدم الواري
عظيم الموت والمولد .

أخط إليك يا أحمد
وأخشى أن أدوق الموت
أريد لقاك يشلني بعيداً عن بحار الصمت
تريدك يا بهيّ الصمت

عملاقاً عظيم الرفش والحراث
قوي القرع والأجراس
نريدك يا بهي السمت تحرث عالم الأحزان
تحفر قبر آلامك
نريدك شعلة الإنسان تغسل بؤس جيرانك .

أخط إليك يا أحمد
تحية شوق إنسانك
بعيد الدار يا أحمد
قريبا في عيون القلب يا أحمد .

اكتوبر 1967

الطوفان

آه على القمر الذي يشتاقه ليل البشر
بجناحه التشريد ، يضنيه القدر
قمري المخضب بالدماء
قمري الذي يشتاقه قلب السماء
آه على ضوء القمر
فدم تسوخ تسوخ في ليل الضجر
في تيه عالمنا الكئيب
في نار دواماتنا السكرى الملونة النحيب
يغتالنا جوع رهيب
جوع إلى النور الذي يعطي الحياة
أملا حبيب
ولصرخة الطوفان خلاّق البشر
شوق يؤرقنا وصخب في النفوس

نبغي الولادة من جديد
يا ويلنا ، بشر تسير بلا رؤوس
آه على القمر الذي ألف القيود
بالليل من سجن إلى سجن يهان .
قمري الحزين
حطِّمْ جدارَ الموت يا طوفانَ نوح
واغسل تراب الأرض واكتسح الحدود
واكسر حديد السجن للقمر الحزين
واقلب جذور العالمين .

المجد لك
المجد يا طوفانُ لك
المجد للإنسان يا طوفانَ نوح
لكننا من غير فجر لا نعيش
فعلى المصاطب فوق أكتاف الطريق
ناس تنوح
من ثقل أحزان الظلام
من قسوة الإنسان ، تحتاج البريق .
بارك تراب الأرض يا طوفان نوح
واغسل شرور الناس والدم والجروح
وازرع بعالمنا سلام
فالحب في الإنسان يحتاج السلام
من عهد عاد

والناس تخشى الماء والريح العظيم
من بعد أن صرخ الرجال
بأننا خوف عظيم
لكننا نبغي الرياح
فالريح تخلق من ضحايانا رجال
وكذا الجراح
آه على القمر الذي ألف العذاب
من طول ما ذاق العذاب
آه على القلب المضمخ بالغياب
قلب يعيش الانتظار
في غزل آمالٍ وأحلام كبار
يا ليل لا تبخل علينا بالجواب .

قمري الحزين
لا بد أن تأتي الرياح مع المياه
لا بد أن يجتاحنا الطوفان في هذي الحياة
فأبشروا يا أصدقاء
في آخر الليل الجريح يعيش مصباح جديد
وفي الختام ،
من بعد صمت الموت قيثار جديد
يهدي إلى درب الحقيقة والسلام
إن الحقيقة لا تعيش على السحاب
لكنها مخبوءة تحت التراب

تأتي مع القمر الذي في السجن غاب .

يا كل أقمار البشر

يا قوة الإنسان يا موت القدر

طوبى لكم

طوبى لكم

طوبى لصناع المحبة والأمل

ولكل إنسان يثور على الملل

قد جاءنا الطوفان يصطحب النهار

ويصيح قد جاء المخاض

يجتاح عالمنا ، وإنسان عتيد

يأتي ..

لقد جاء المخاض

آه على القمر الذي يجتاح جدران الحديد

قد جاءنا طوفان نوح ..

نوحاً جديد .

سبتمبر 1967

غربة .. من الداخل

أشتاق حتى للموت يا صحبي الى وطني
أشتاق لو ناطورُنا المأمونُ يمنعني
القيد في بيتي على طفلي
وفوق الرأس في رجلي
وعبر حشاشة الزمن
أشتاق يا وطني
لو نخلة خوصاتُها الخضراء في بدني
لو تستحيل دماً
في أعرقي الصفراء كالأنهار
لو فارسي للنهار
لا يشكو من الوهَن
لو في جوادي نبضة إنسانة ترقى
كالنجمة الزرقا

في قلب ربي
ما انثنى عَلَمي .

□□□

يا مبحراً بالقارب النشوان عبر دمي
عد بي إلى وطني
يم شواطي القلب في أرضي
يحيا هناك الحب والإنسان في نبضي
واضرب صخور البحر والرفض
وتطهري بالنور يا سفني .

ماذا لو الزيف الذي يقتات أوردتي
في النار أحرقه دفئاً لأشرعتي
ماذا لو الشعراء في وطني
يستيقظون على
عيد من الألم
عرس من السقم .

ماذا . . على وطني
ظلم . . سحاب دونما نجمة

ليل من المقهر الذي يفضي إلى النقمة
وحقيقة . .
أشتاق حتى الموت للوطن .

مايو 1968

عن الصليب والقمر

غصت في الأرض إلى أطول شعرة
وشربت المطر المخزون في الأرض إلى آخر قطرة
فرأيت القمر الميت من مليون عام
ذلك الغائب من عالمنا الممدود في عين الظلام
قمر الدرب الطويل
كان يشكو المرض المعموس في الطين ، وكان
يبصق القيء ، وتعلوه على الخدين صفرة
مثلما كان غريباً ذلك الطفل الجميل
تحت جلد الأرض مصلوباً على أبواب قبره .

ماتت الرغبة في الإبحار عني
ماتت الرغبة إلا في الرجوع
ذلك النور الذي يشكو الحياء

وصراع البشر الأموات من أجل البقاء
ليس لي إلا الرجوع
فسكبت المطر المخزون في قلبي على صدر القمر
وتلوت الآية الكبرى
تيمّمت وصلّيت لربّي ركعتين
عند أقدام القمر
وقرأت السور الكبرى مع الصغرى
وطوّلت الدعاء
عشت في التوراة مرة
وعلى صفحة وجه القمر المسكين فوارة ماء
عشت في الإنجيل والقرآن
- في رهبة قلبي - ألف مرة
ولبست الخرقة البيضاء
أفنيت ، تصوّفت ، ترجّيت الإله
أجل أن يعطي أمراً بالحياة
لدماء القمر الميت في أسفل صخرة
وتصبرت على السم الذي يأكل مني
وانتظرت الأمر يأتي مثل برق
مثل سرب من حمام
يحمل النور إلى أرضي ويعطيها السلام
آه .. لكني تحجرت على جبهتيّ الملقاة في الأرض
وحاكيت الجدار
كاد موت القمر الميت يسري في عروقي

مثل أحلام الشروقِ
في نهايات النهار

قمت ، حركت ذراعي ،
شلت ظهري
وشربت المطر المخزون في الأرض إلى آخر قطرة
وحملت الألم المخزون في قلبي
وأعددت الرحال .
ذلك الجرح الذي يضرب أحداقي وأحداق النهار
ذلك الجرح الذي ينبت نار
ليس تقيه الخرافات وأشباه الرجال
فنفضت الذل عن رأسي وأسقطت الخيال
ثم عانقت صليبي
وحملت القمر الميت من جوف التراب
وتقدمت بحملي
أضرب الأرض بإصراري وثقلي
وتجرعت العذابات الغزيرة
وتصارعت مع الموت - الذي مات على دربيَ -
مرات كثيرة
وقتلت الألم المزروع في ملح البحار
فتخطيت البراكين التي تقذف نار
والمفازات المريرة
وإذا الجدران في دربيَ تنهار

ويحيا ألف باب

فعرفت الحب في خطوي وصمت السحاب

فرأيت القمر المحمول يرتج على صدريّ

يجري في فضاء الكون

يغتال السراب

وإذا النور الذي غاب عن الأرض يعود

مثلما يرجع إنسان إلى عهد الطفولة

عاد نور القمر الغائب في حب وثورة

يا رفاقي ، فاسمعوا مني

اشربوا مثليّ ماء المطر المخزون في الأرض

إلى آخر قطرة

يا رفاق العمر

غوصوا في عيون الأرض

وارتادوا إلى أطول شعرة .

يناير 1969

حروف النار

لأن حروفنا نار
لأن جميع من وقفوا ومن ساروا
ومن قتلوا بعين الشمس
أحسوا النبض طوفانا وإعصارا
لأن حروفنا الخضراء والحمراء
ملء مخاضها ثورة
فتخرج في دم المسلول والمصدور
تصبغ دربنا ثورة
لأن حروفنا صخرة
تدق الباب
تطلب ، يا ربيع الأرض
يا شمسُ ويا زهرة .
وتقتل كلمة الكذاب بالصخرة

لأن حروفنا يا صاح
تأبى ذل من خسروا ومن داروا
على بوابة الدنيا
فما دخلوا وما ساروا
رفاقي في طريق الشمس
جيراني .. أحبائي
لأن حروفنا نار
ستحرق في أصابعنا
وتأكل من كواهلنا
إلى أن ينتهي العار .

لأن جميع من صرخوا ومن ثاروا
ومن حملوا شعار الحب للإنسان
أحسوا ضيعة الإنسان
ما انخذلوا وما انهاروا .

سنبقى عاشقين الحرف
سنبقى .. لا يكل العزف
فإن ماتت قصائدهم وإن ماتوا
تظل حروفنا ناراً .

مارس 1968

الموت وقوفاً

يا سفر الإنسان المقهور
دعني أكتب حرفاً أحمر
يزرع فيه حزناً أخضر
يثمر أفراحاً من بلور
دعني أحفر فيك الخندق
لتطل علينا أغنيّة
ترقص في ثوب الجنيّة
رقصا كالطوفان الأزرق
قل لي يا شيئاً يجهلني
هل تعرف ما معنى الإنسان
يعيش بلا طير يصدح
هل تعرف ما معنى الإنسان
يعيش العرس ولا يفرح

من غير سماء تعرفه

مجهول القصة والعنوان

يا سفراً للزمن الآتي

سجّل تاريخ محبتنا

للأرض وللحرف الفاعل

للحبر الأحمر تسكبه

نهراً في البحر المتفائل

سجّل قمراً

سجّل طفلاً

سجّل غصناً ينبت من أحداق مقاتل .

يا سفر الإنسان الواقف

الجذوة في النبض القادم

الثورة في القلب المدحور

العودة في الجرح النازف

مرحى لك يا سيفي المكسور

كقلب العذراء المهدور

ما جف الحبر على الأوراق .

رسائلنا

ما زالت نهراً من أقمار

وما يبست في الليل دماه في الأحداق .

الحب الناضب في الشريان

تقول النار :

يا سفراً للجيل الآتي
سجّل ما يلقيه الإنسان
اكتب ، اكتب بدم الأحزان
النور يقول
الأرض تقول
الكف تقول
تموت هنا الريح العاقر
ومخاض في قلب التربة
في عين الدمعة والحبة
تأتي من مليون مسافر
نحو الشمس الطفلة تأتي
عبر الدرب الأخضر تأتي
تأتي كالبركان الهادر
يا سفر الإنسان الصابر
هل تشعر ما يحدث في الطين
حين يهان ، يجن ، ويقتل
يحرق في قلب التنور
وبعد سنين

تُزرعُ في أعماق الطين
نار من آثار النور
تصحو ، تلمع . .
تبرق كالأفكار . . تثور .

هل تعرف يا سفر الإنسان
ما معنى أن يهوى إنسان
الرملة في عين تدمع
في أرض كالجرح الأحمر
في حب كالطير الأخضر
في القلب حروف طينية
تمرح بالدمع ولا تبكي
تركض في شباك بلادي
لعيون الشمس على الشوك .

حرف كالشوق بقريتنا
لربيع يطلع فيه النور
يا مطرا يعشق نخلتنا
يا فرحة قلب لم تكتب
في سفر الإنسان المقهور
دعني أكتب حرفاً واحد
حرفاً شاهد
حرفاً واقف
حرفاً . . وأموت .

يونيو 1967

أسى شبّاك جارتنا

أسى يبكي على شبّاك جارتنا
يغنّي الليل في دوامة البيت
وجارتنا . .
تطيل الصمت كالموت
تعمّق في صدى الأحزان أحزاناً بلا صوت
أسى يا ليل لا يمحوه دمع العمر
أسى يا ليل يقذف في مسامعنا
كليمات كنار العمر :

(أموت . . أموت)

يصرخ في مسامعنا
فكيف يموت في دمنا

ونحن قد خلقناه .

أسى يا صمت جارتنا
كنورمات في أحشاء خافقنا
وأنت هناك في شبّاكها الورديّ
تبكي الليل والزمنا
وتقتل همسة الآمال والأحلام في دمنا
جدار ، يا ظلام الصمت ، من خوف
على آماق كاهلنا
فيثقل ربقة الإنسان في الدنيا
ويفصلنا .

ويا شبّاك جارتنا
أقبّل وجه أخشابك
وأسجد في خشوع الليل
فارحمْ قلب أحبابك
أروّي عطمك المورق
أعطي من دمي خمراً لأعصابك
فيا شبّاك جارتنا
دع الأحلام ترقص في عواطفنا
فكم من طفلة ترنو إلى شوط بلعبتنا
فترقص رقصة السكنة(١)
على حُلْم يخالجنا

فتعثر في منازلها ..
وتسقط في خواطرنا
وطفل يعشق العسكير (٢)
لا ينسى زواياه
تفرّقَ صحبُه عنه وراح يجر شكواه
وعذراء تعيش الحب
تبغي سيف فارسها
تذوق مناعة الأحلام في أشعار عاشقها
تنال عبير عينيه وذكراه
وتكمل حلمها دمعا يزيد جحيم موقدنا
ويمحو ما كتبناه .

سلاما يقطر الأحزان يجري في مدامعنا
متى ترحل
متى يا لعبة الإنسان ترحل عن مصائرنا
متى ترتاح من ليلٍ عوالمنا ؟
نريد نهاية الأشجان
نبغي الحب يسمو في ضمائرنا .

□□□

بريق من وراء الليل أشعره يناديني
بعيد عن مسامعنا ويسكن في شراييني

بريق زاحف للشرق يجرح جبهة الطين
بلى يا صمت جارتنا
سيأتي النور ، يأتي النور .. يحييني ،
فيا شبّاك جارتنا تنسّمْ نور آمالك
ستأتي الشمس تغسل كل أحوالي وأحوالك
غدا أبكي على حزني
أساي يموت ، تذهب جارتي عني
ويبقى في تراب الأرض ظلُّ سوادنا الحالك
أيا وهماً خلقناه
ويا تمثال خيبتنا
نعيش ، نعيش كالحشرات في حلم يخدرنا
ولا ندري
أكانت رحلة خضراء أم صفراء تقتلنا
ولن نبقى كما تبغي الظروف لنا .
سلاما جارتي البلهاء سلاما يشبه الكفنا .

أبريل 1967

---

(١) السكة أو السكية ، لعبة تلعبها البنات وهي عبارة عن قفزات بين مربعات مرسومة على الأرض تمثل منازل متفرقة .
(٢) العسكير : لعبة يمارسها الأولاد وهي عبارة عن جماعتين إحداهما تبحث عن الأخرى التي تكون مختبئة .

لأن العيون

لأن الغرام
دليل على الصدق في كوننا
يصير حراما على قلبنا
يصير حرام .

□□□

وابقى وحيداً أمام الجدار
وتبقى معي
وتبكي لأن الغرام
يموت بطيئاً قبيل النهار
فامسح دمعة حزن كبيرة
وابقى وحيداً .. وحيد

أغازل نفسي على الماء مرّة
وأضحك مرة
وأبكي كثيراً
لأن الصغار ، بدون عشاء
ينامون دوماً بدون عشاء
لأن الشتاء يعود سريعاً ونحن عرايا
بدون طعام
بدون لحاف
بدون غرام .
وأبكي لأن الفؤاد الصغير
يظل حبيساً وراء الجدار
لأن الجدار يظل ثقيلاً على كاهلي
فلا تسألي
لأن السؤال يلح ، يلح بدون انفجار .

وأبقى وحيداً
وتبقى معي
أحملق في مقلتيها
تحملق في مقلتي
ويبقى السؤال
فتصرخ بي : يا أبي
ويا نصف عمري
وأختي وأمي
ويا .. يا حبيبي

أليس لديك الجواب
أليس لديك بداية عمري ؟

فتبكي العيون
ويزرع فوق لساني السكون
ويبقى لدي التراب
ويبقى الضباب
تظل العيون تقول الذي لا يقال .

□□□

تظل المحبة في خافقينا كنهر كبير
يريد المصب ولا يلتقيه
فيبكي علينا لأن الغرام
يصير حراماً إذا كان صدقاً
يصير حرام
ولو كان فوق الجبين القناع
لكان اللقاء سلاماً وأمنا
وكان الحرام حلالاً
بزيف القناع .
وأبقى وحيداً
وتبقى البطاقات عبر البريد
طريقاً وحيد

كشيء خطير
كصوت السؤال
وصوت الجواب الذي في العيون
لأن العيون
تظل تقول الذي لا يقال .

□□□

فكيف ترى نلتقي
أحتى اللقاء الصغير
أحتى اللقاء البريء
يكون جريمة
أحتى النوايا السليمة
تظل تهان
أحتى وريقة حب صغيرة
تكون خطيرة
أحتى ؟!! . . .

ويسقط كل الكلام
بلون كلام .

ترى كيف نبقى وحيدين لحظة
وكيف نكون

بعيدين عن جارحات العيون
وكيف يكون الغرام غراما
إذا كان جرماً بغير جريمة
إذا كان جرحاً عميقاً بقلبي
إذا كان حبي
عميقاً كجرحي يضم البشر
لماذا البشر
يدوسون قلبي بكل ضغينة ؟!

أحقاً تريدين مني الجواب ؟
أحقاً تريدين نزف جراحي بهذا السؤال ؟
فأشعر نصلاً يحز الوريد
وأبقى وحيد
وأنت بقربي جواب الجواب
لأن العيون . .
تظل تقول الذي لا يقال .

□□□

وحين تكون الجريمة حلاً
نكون التقينا

فتغضب كل العيون علينا

وترتجُّ أحجار ذاك الجدار
ونبقى بلحظة خوف طويلة
ويبدو الذهول علينا
أظل أحملق في مقلتيها
تظل تحملق في مقلتي
كأنا قتلنا ونحن وقوفٌ
كأنا نسينا الجدار

فألقي حروفي على كتفيها
وأكتب شعراً غريباً
وأقرأ شعراً غريب
فيبدو كأن التعجب
يسير إلى وجنتيها
تصرخ بي كانفجار النهار :
(أحقاً أكون حبيبة ؟
أحقاً تكون حبيب ؟
لماذا أظل غريبة ،
وقل لي لماذا
لماذا تظل غريب ؟)

ويبقى السؤال
يصرخ ، يصرخ كأحلام نار
وتبقى العيون

تقول الذي لا يقال .

□□□

وحين يكون لزاماً علينا السكوت
لأن (القضا والقدر)
يريد الجراح لكل قلوب البشر
تظل الأماني تموت .
كموت القمر
ونحن عرايا بدون لحاف
لأن القدر
ونحن عطاشى بدون غرام
لأن القدر
أحقاً لأن القدر ؟
فتقفز قطعة شمس تلوب بجرح البشر
لأن السؤال الذي في القلوب كنزف الجراح
يظل يميت القضا والقدر .

□□□

وتبقى عيون الصباح
لترفض قول الجواب الصموت
لأن السكوت

- وجرح كبير بقلب الحبيب -
محال يدوم
محال يظل الغرام جريمة
ومقتل طفل بريء محال
لأن الرجال
سترفض تلك الوصايا القديمة .

□□□

ويا أيها الشيء الذي لا يقال
أقول تعال
فلا بد هذا الجدار اللئيم
سيسقط يوماً بيأس الرجال .
أقول تعال
لأن اللقاء يكون قريباً على الأوفياء
ويبقى النفاق تراباً يداس مع الأولياء
وتبقى السماء .. سماء جديده .
أقول تعال ..
لأن القصيدة
محال تظل بدون ختام
ولما يجيء إلينا الغرام
يكون أماناً
يكون لحاناً

يكون طعام
فيا أيها الشيء الذي لا يقال
أقول تعال .

□□□

ولما يصير اللقاء لقاء
بعيداً عن الأعين الجارحات
تكون الحياة بدون جدار
لأن الجدار انهدم
لأن الألم
سيحرق كل نفاق الحياة
بدون ندم .
ومن دون خوف
تكون الحياة حياة .
فأبقى أحملق في مقلتيها
وتبقى تحملق في مقلتي
كأنا ولدنا ونحن وقوفا
كأنا خلقنا لكي لا نموت
ويمضي السؤال
نظل نقول الذي لا يقال .

أغسطس 1969

حنين الفارس الأسبان

أحـــب أني أموت .. أموت
بدون يديك تشد يدي
أحـــب أني فقير .. فقير
بلا عطر صوتك يهمي عليّ
أريد أنام على راحتيك
أريد أقول كلامي إليك
وأترك راسـي
وأبكي .. وأبكي
إلى أن تجف بعيني الدموع
وأحرق نفـسي ..
وأحكي .. وأحكي
إلى أن تذوب بصدري الضلوع
أحن إليك حبيبة حبي وزهرة قلبي

أريد أسافر في مقلتيك
أسافر وحدي بدون رجوع
أريد أضيع
وإن سأل الناس عني مرارا
تقولين مات
تقولين فات
تقولين - يا قبلة في الفؤاد -
أحب التراب أحب البشر
وكان يحب انهمار المطر
إلى أن تجرع كأس العذاب بدون خبر ،
أحب ومات -
أظل أسافر في مقلتيك
وقلبي عليك
ورأسي ينام على راحتيك
وأبكي . . وأبكي
إلى أن تجف بعيني الدموع
وحبي إليك . .
كعطر المزارع في وجنتيك
يضوع . . يضوع .
واحمل في رحلتي يا حبيبة
فؤادا جريح
فؤادا يحب ولا يستريح
وعند وصول البلاد الغريبة

أموت شهيداً
لأني عشقتك قبل رحيلي
فهل تكتبين إلي
وهل ترحلين وراء رحيلي ؟
أموت شهيداً
لأني عشقتك يوم ولدت
لأني عشقتك حتى الممات .

□□□

تغربت وحدي بقلبي الجريح
فحين تمرين فوق طريقي
على أرض تلك البلاد الغريبة
فيا . . يا حبيبة
تعالي إلي ، وزوري الضريح .

أبريل 1969

ملصقات على جدار الحب الصعب

(1)

أهلاً من القلب
والحيرة التي لديك في دمي
تسري إلى قلبي
كيف أناديك أنا ؟
ماذا أقول للتي تسكنني ؟
أختي !
أقول هكذا ؟
أقول يا صديقتي
أهمس يا غاليتي
أصرخ يا . .
وأرتمي في واحة البكاء .

يا أنت يا واحدة النساء
أعرف أن في دمي حكاية إليك
أود لو أقولها لكنها .. إليك
تجيء في الحروف والعيون واللقاء
يا أنت .. يا بكاء
يملؤني بقوة أحتاجها
يملؤني وفاء .

(2)

ما أصعب الحب الذي يأتي من السماء
ما أصعب اللقاء
الحب صعب هكذا .. لأننا أيتام
لأننا .. ما أصعب الغرام .

(3)

لو بيدي أغيّر التاريخ
لو بيدي أعيده ، لكان
أغنية رائعة لا تعرف الحرمان
لو بيدي يا أنت يا ..
لما أكلت آخر الكلام
لو بيدي الكلام

لكنه (المقدّر المكتوب)
نقرأه الآن بكل حسرة
يا قلبنا المصلوب .

(4)

أقول يا . .
أشتاق لو أكون في عينيك
أشتاق لو أغنيتي عصفورة تنام في كفيك
أشتاق لو إليك . .
يأخذني مسافر إليك .

(5)

نغمس رأس الريشة المسنونة الخضراء
في بركة الدماء
ونطفئ الظلام في دفترنا
و(نكتب الكتاب)
وتنتهي أسطورة السماء .

(6)

وحينما يجيء بعد غيبة خطاب

مضمّخاً بالدم والغربة والغياب
أكون عند الباب
فوق صليب الصبر والغضب
وأفتح القلب الذي في داخل الكلام
و دونما تحية ، و دونما سلام
نبدأ في العتاب :

(يا أنت . . يا كاتبة الكتاب
لا تفتحي بوابة الدموع
لا تندبي على غناء الوتر المقطوع
لا تنشري أشرعة الغياب)
فيهجم البكاء
وتمسح الدموع آخر الكلام
(أعرف أن قمة البكاء
لقاؤنا ، لكنه سواء
البعد واللقاء يا واحدة النساء
في عصرنا سواء
لأننا نحتاج أن نكتب ما نريد
لأننا نعشق بالبريد) .

(7)

لكم أود لو ينام دفتري الحزين

بين يديك ساعة خضراء
لكي أراك لحظة بالحب تقرأين
أحرفيَ الحزينة الخضراء .

(8)

و ها أنا مازلت في القاموس
أبحث عن هدية إليك
عن بيت شعر رائع جديد
أريد أن أكتبه إليك
يا قلبي البعيد
فيسقط القاموس في أقدامنا
ويبدأ الحوار .

(9)

يا أنت يا حزينة العينين
يا غريبة العينين
حزني الذي ترين
أنت التي كتبته في دفتري الحزين
أنت التي أهديته إلي
أنت التي .. إلي
أهديت كل الحب والأحزان .

(10)

من قبل أن يجيء طائر اللقاء
كنت تعيشين هنا
وتسكنين دائماً في الذاكرة
وتولدين دائماً في الذاكرة
من قبل أن تأتي لنا عواصف المساء
كان لنا لقاء
في الأرض والأشجار والسماء
في الصوت والتاريخ والحمامة المسافرة
كان لنا لقاء
من قبل أن يقوم في طريقنا جدار
كانت لنا حكاية ، كان لنا حوار
لكنه ،لكنه الجدار
أصرخ يا . .
لا بد من تعبير .

(11)

توقفوا على حدود قرية محروقة الأشجار
توقفوا يا عاشقي النهار
هذا زمان العشق في القبور
هذا زمان الخطأ المغفور

هذا زمان النور
توقفوا على حدود قرية تجهل معنى النور
وحاربوا الحريق بالحريق ، والظلام بالنهار
يا عاشقي النهار
هذا زمان العالم المنهار .

(12)

اصرخ يا . . نهار
فتسقط الحيرة عن جباهنا
وتنطق العقول
هذا هو القاتل في جراحنا
فلينهض المقتول .

يناير 1970

من أبجدية القرن العشرين العربي

ألف

الأمر يختلف

فالأبجدية التي نعيشها جديدة

فنحن لا نكتب فوق الماء

لكننا نخط بالدماء

في مقاطع القصيدة

فالشاعر الشجاع يعترف

ويغمس الريشة في الجراح

ويصرع الرياح

ويركب العذاب عبر الرحلة البعيدة

فالشاعر الجديد في زماننا الجديد يختلف

والأمر يا رفاق يختلف

الأمر يا رفاق يختلف .

تماء

تمزقت أقنعة الورق
تقدّم الفداء
لا شيء في الطريق سوف يوقف النداء
لن ينقذ التاريخ من يموت بالغرق
تنفس الطوفان
وانفجر البركان
وكل شيء في طريق النار يحترق .

يا أيها الإنسان
حين تكون الثورة المنتصرة
طريقنا للقدس والجليل
حين يكون خنجر في ظهرنا
والشرف النبيل
ليس أمام القدم المقتدرة
ودربنا الطويل
غير طريق النار والإنسان
يا أيها الإنسان
تمزقت أقنعة الورق

والهيكل القديم يحترق
فلنركب الطوفان . . يا أيها الإنسان .

جيم

وعالم الحريم
نحن هنا في عالم الحريم
في كهف شهريار في بغداد
فنلبس الأبيض في المساء
وعندما يبتسم الصبح لنا
نموت في السواد
لأن في شارعنا التعيس
سيصرخ العريس
ويسرق الفتاة رغم رفضها
من حبها العظيم
لأن والد الفتاة قال :
(ليس لديّ طفلة تعاند الرجال)
هذا هو القانون في حضارة الحريم
ونلبس السواد
لأن في شارعنا أربع زوجات على الرصيف
يبحثن عن رغيف
أو أي موت جاهز للشرف المخيف
جريمة أن تنطق الأنثى هنا

في عالم الحريم .

حماه

والحرب في فيتنام
وفي فلسطين قتيل مدمع يركض للسلام
الحرب في روما وأفريقيا . .
وباكستان

الحرب في الخليج
والسلاح في إيران

الحرب في زماننا تزعزع الأركان
وتهدم العرش على ساحته
وتسحق السلطان
الحرب في الكتاب والأقلام
الحرب في حمامة السلام
الحرب في الطلاب والعمال والجدران
الحرب في عمان
الحرب تأتي هكذا بدونما عنوان
الحرب مثل الحب في الإنسان
الحرب تأتي عندما ينعدم السلام
فتزرع السلام .

خاء

تمزقت خيامنا وانتحب الخليج
فانكسرت أعمدة الزجاج
وارتمع احتجاج
فكان أن يضيع في الضجيج
فأخطبوط البحر لا يخاف
من صرخة الأطفال والنساء
وهمسة المساء
خيامنا تمزقت وانهارت السماء
على رؤوس البشر الأحياء
ولم يعد أمامنا في آخر الضفاف
سوى انفجار حقدنا
والغضب المحبوس في انتظار
لننقذ الخليج
ليصبح الخليج
لؤلؤة في قلبنا لا تسمع النشيج
والنار لا تخاف
كالموت .. لا يخاف .

دال

ويصرخ الأطفال في أوال

وتدمع العيون

فالشمس لا تغيب يا رجال

ما دام في أطفالنا جنون

الحب في أوال

ينام في الشوارع

يضحك في المزارع

ويخصب البيوت

الحب في أوال لا يموت

عندما يستيقظ الأطفال

ويصرخ السؤال :

(من أين يا بشر؟)

تفتح السماء بابها

ويهطل المطر

فتنتشي أوال

لتمسح الأحزان عن جباهنا

وتحضن الأطفال

إليك يا حبيبتي

إليك يا أوال

محبة الرجال .

ذال

والذل يكسو جبهة الرجال

وتنتهي قافية الذل هنا

ويقفز السؤال :

(من أين يا مشر)

لابد من عاتنا

إن كان ما تكتبه عبارة ابتذال

الطين في الهامات

والهامات من حجر

والكل في زوال .

و تبتدي قافية النور هنا

ويصرخ الجواب :

(طريقنا إلى الضياء اخوتي

من أسفل التراب

فنزرع الأطفال في شارعنا

والحب في الأبواب

ويذهب الأغراب)

قافية النار هنا

تشتعل اشتعال

تشرب من دمائنا

وتكتب الكتاب .

زاء

الموت في زيورخ يا شهيد

والقبر في بيسان

والنعش يأتي حاملا بطاقة البريد

حرية الإنسان

يمر فوق أعين العمال في الجنوب

ويصبغ الجبال في الشمال

ويمسح الخوف عن الأطفال

ويرفع القلوب

فنقرأ العنوان في بطاقة البريد

حرية الإنسان .

يمر فوق قاعة الإعدام

وفوق سرحان الذي يمثل المحرمات

من غصن زيتون ومن أمان

يجلس فوق الحكم والحكام

يصرخ في وجوههم :

قتله لأنني حقيقة ، لأنه أوهام

عقوبتي أعرفها يا أيها الحكام

لكنني حقيقة

والحق لا يموت بالإعدام .

سين

والعالم المسكين

نحن هنا في العالم المسكين

حيث انفتاح الجرح في الضلوع
حيث الرغيف الأحمر الممنوع
في العالم المسكين

الماء فوق النار مثل الجوع
في قلب أطفال القرى
والجرح والسكين
في بيتنا
والموت في قلب الصغار
وقلبنا المحزون
تظل رغم الجوع والتشريد
والمرض الشديد
بالطين والهواء تستعين
وخيبة العمر التي تستهلك السنين .

يا والدي المصدور يا إنسان
يا قاهر البحر الذي أعطى لنا الحرمان
نحن هنا في العالم المسكين
يا والدي المسكين
الموت يأتي مثلما تأتي لنا الأحلام
تأتي به الأيام
لكنه نصر لنا
في العالم المسكين .

شين

كل شيء كالعجين
قاعة السلطان والحراس
والسور الحصين
والجواري وملايين العبيد
وجدار السجن والقيد الحديد
كل شيء كالعجين
الأميرات الحسان
وصناديق اللآلي والجواهر
وجماعات المصلين على الديباج
في قاع المنائر
وصخور المسجد الأبيض والنوق السمان
وصفوف الجيش من مليون عام
وعواميد الكلام
كل شيء . . كل شيء كالعجين
ضربة واحدة من كف ثائر
تسقط الأشياء فوق الأرض كالعز المسافر
كل شيء كالعجين .

صاد

وساعة الحصاد

تأتي سريعاً في بلادنا ويتعب الفلاّح
ونحن في السهول والحقول
ننتظر الطعام والأفراح
في عالم الحصاد .

فبعد أن نسقيَ أرض القمح بالعرق
وبعد أن نسهر ليل العمر في الشتاء
بدونما أرق
نشرب البرد مع التراب
ويسأل الأطفال عن طعامهم
فيجمد الجواب
ويركض الجوع إلى بيوتنا
ويكسر الأبواب
ويصرخ الرضيع بالكلام
يبحث عن حليبه
يحلم بالسلام

في عالم الحصاد يا أولاد
تحتكر الثمار
ويتخم التجار

ونحن في عالمنا نحلم بالحصاد
في عالم الحصاد .

طاء

طرقنا بابكم مرات نبغي الحب والقوة
كما الفقراء يا أحباب
تبغي اللحظة الحلوة
جرحنا في شغاف القلب
عدنا ، في مآقينا دموع الذل والحسرة
وقيد في أيادينا
طرقنا بابكم مرات
عشقنا حبكم مرة
وسرنا في طريق الشمس
في فمنا نشيد الأمس
مثل حرارة الجمرة
فمن ذا يكسر الفولاذ والأسوار والصخرة
عن الكهف الذي في القلب
من يقوى على كسره؟
طرقنا بابكم مرات
تبغي حبكم مرة .

صين

عشرون ليلاً بارداً ونحن في العراء
أكفنا جامدة على حدود الشوك والإنواء

ننتظر الأمر الذي يأتي من السماء
تخشبت أعصابنا
والأمر لا يجيء
فنشرب الخرافة المعلبة
وموتنا البطيء
عشرون ليلاً بارداً ونحن في الرياح
نغوص في الجراح
على حدود أرضنا الخضراء في الشتاء
الليل في عيوننا محجّر الجناح
ونحن في أعماقنا نحلم بالصباح
عشرون ليلاً بارداً طويل
نرحل ألف مرة من غير ما رحيل .

غين

صوت غيفارا يجيء
صوته الساخن مثل الحب يأتي
عبر غابات الجنوب
مثل نسر يقطع الأبعاد في الليل المسافر
صوت غيفارا
هدير الريح ثائر
يا رصاصات تجوب
يا جراح الأرض في جلد الرجال

أي ليل لا يموت
تحت وقع القدم الخضراء
يا ليلا يموت
صوت غيفارا كصوت المستحيل
يقطع الأبعاد من كوبا
إلى غابات بوليفيا
إلى أرض الجليل
صوته يأتي ليجتاح الموات
ويخض الحجر المرصوص في جرح الحياة
صوت غيفارا
و غيفارا يجيء .

قناع

وعالم ينقصه الوفا
فبعد أن كنا على الطريق أصدقاء
نفترش التراب في بساطة
ونلبس السماء
وبعد أن جمعنا إلى الطعام
والحب في القلوب ،
نعيش في سلام
تفرقت قلوبنا بدونما سبب
تحول الترام في قلوبنا كقطعة الخشب

واجتاحنا النسيان
تحول الزمان في دقيقة كنسمة الهواء
فبعد أن كنا على الطريق أصدقاء
تحول الحب إلى عداء
وسافر الوفاء .

هـاء

وانهارت الأشياء
بعد حزيران الذي يكتب بالدماء
حكاية النصر على الهزيمة
وقصة النار التي تأكل من أوراقنا القديمة
وتسقط الأسماء
جاء حزيران لنا   وانهارت الأشياء
وانفجر الفداء .

ياء

استيقظوا يا أيها الرجال
يا شاربي الخمور في موائد الأنذال
الحب لا ينفع حين يحقد الإنسان
تعلموا الحقد ولو للحظة
لتنقذوا الأوطان

فباطلٌ شعورنا بالعفو والإيمان

وباطلٌ (سامحه الرحمن)

فكلُّ ما يقوله الكتاب

خرافة إن بقي الإنسان في التراب .

أبريل 1969

خروج رأس الحسين من المدن الخائنة

(1972)

صدأ السيوف في الغمد المألوف

تجاسرتُ

ألغيت كل مواعيد قتلي ،

ولذت بصدر الطفولة .

دخلت كتاب النبيين قسراً ،

ومن بابه المستباح ،

وكان الصباح غبياً ،

ونحن سيوف القبيلة

صرخت : (افتحوا)

حاورتني عيون الضغينة .

ومرت علينا الحوافر ، ليلاً ،

تجاسرت لم أترك السيف يمضي .

تيممت بالجرح

(كانت مياه المدينة سماً وقارا)

فتحت كتاب الصعاليك عند المساء .

(كتبت حروفي الشريدة .

وعند انحسار النعاس عن المقلتين ،

قرأت مواعيد قتلي بصدر الجريدة)

تجاسرت ،

حاصرت سيف الخليفة في غمده

حاصرتني الخيول

وأفصحت عن رغبتي في الدخول

(كانت الخيل والسيف والليل حلما)

وباض الخليفة في جنده حاصرتني الخيول

تلكأ جرحي المثار بباب المدائن ،

ليشحذ سيف الجياع ،

ليسرد نكتته الباقية .

ولكن غمد الخليفة في اللحظة التالية

يكبل جرحي .

تناثرت في خبر الأرض لما كتبت المدائن ،

محوت اسمنا من كتاب السلاطين

(كان المداد من الدمع

صارت دماء الرجال كتابة)

تجاسرت ، واخترت صيغة موتي .

لبست وشاح الرعونة .

ترافقت والدرب عبر القرون الحزينة :

حتى انثنى السيف في هامتي

(إن في السيف شرخا

وفي الغمد طعم الليونة)

وألغيت كل مواعيد قتلي

تجاسرت ، صرت احتضاراً لهم

عانقتني جراح الرياح

وحين أتوا

قلت : (حاولت تغيير كل التضاريس في عهدكم)

قاطعوني ، وسنوا القوانين ضدي

تجاسرت ،

لكنهم جردوا السيف من غمده حاصرتني الخيول .

(ولما أتت لحظة الموت كنت قتيلا على الأرصفة

عرضة للنكات السخيفة والضحكة النازفة)

تجاسرت ، واخترت ساعة موتي

ولكنهم عاجلوني بسيف الخليفة

(كان الصدأ

يأكل السيف في غمده)

لم تكن جثتي كان سيفا قتيلا .

مايو 1971

سقوط البكائيات الواقفة

أمس كان الوقت باكرا ،

غدا سوف يفوت الأوان ،

...اليوم

– ل –

(قفا بك)

وهل ظلت دموع لم تصرع أشجار

وهل بقيت لنا وقفة

(قفا) . . من قال ؟

لا تقف

وإن وقفت سهام الليل عند الباب ، إن وقفوا

إذن ، فالنار تحت رماد قتلانا وما عرفوا

ستختصر الطريق إليك منذ الآن

ملف كتابنا لغة

وتركب اي مهر أو براق تحتمي بالنور ،

فانتصبي

أيا أحزان هذا البحر

يا ورداً تفتح داخل الأحداق

يا أغنية ، من قال ؟

هل وقفت سجونهم

وهل تعطي السماء الخبز ؟

لا نقف .

وحين تذيقنا الساعات كيف تصلبت في البرد أقدام

وكيف القوم حين توالد الخطر

غفوا في حانة بلهاء وانتحروا

وحين أتتهم الأخبار ما انتصروا!

وقالوا (يومنا خمر وبعد اليوم نفتكر)

لقد هاموا .

قفا أحزاننا المُدي .

خليج قبل ميتتنا يصافحنا

فصول الحقد يا بلدي تعلمنا

(قفا . .) لا ،

هذه النيران ما ولدت سوى من هذه الكبد

قفا . مشتاقة يدنا .

ونختصر الطريق إليك منذ الآن

نعرف كيف نخرج ، كيف ندخل مثلما الأزهار
من جرح التواريخ التي لم تعرف الإنسان
لكن البكاء سفينة مثقوبة

(هل يستطيع الزيت
أن يبقى بقاع الماء؟
هل خبز يجيء إلى
الجياع غدا بغير دماء؟)

إليك على براق الشوق
راحلة قوافل أهلي الفقراء عبر جزيرة العرب
لتبحث في حريق الليل عن لغة تحاور نفسها
عن نار .
قوافلنا تجيء ونارها فيها
تعالي يا منى في النفس يا . .
(من قال ؟
من أين الدموع تجيء
كيف تصير ، كيف ، زنازنُ الكفّار
أسواقاً يباع البرق فيها
هل تحول عشقنا لغة
تساوم عبرها الأعداء؟
كيف النار؟)
فنا . لا
أيها الأحباب لا جدوى

سيقتلنا الوقوف

سوف تميتنا الدمعة

قنا نضحك .

مارس 1971

كلمات جندي رهن الاعتقال

«حين يفرغ الحاكمون من كلامهم ،
سوف يتكلم المحكومون .»

بريخت

(1)

كنت واحداً من الذين يمسحون جبهة البنادق
انحنيت عندما لطخني الضابط
بالشتائم الصفراء ،
كنت لا أزال راكضاً عبر ظلام الخوف
وكانت البنادق .
أسطورة تداعب الأطفال
حين مددت ساعدي تكسر الجليد ،

نمت مثلما كنت أنوم في الطفولة التي فقدتها
وكنت مثل الرجل المسجون في أحلامه المعجولة .

(2)

ممنوع عني الخبز الأحمر
ممنوع عني الماء الرائق في صحراء معسكر
ممنوع . .
(لم يبق لدينا في الخيمة
لم يبق سوى تلك النجمة)
إمّا أن آكل من كتفي
أو أبقى في الصحراء ، وأكفر .

(3)

هل صدقتم ما قيل عن الخط الأسود؟
هل . . ؟
لا يمكن أن أكتب شيئا بالأسود
جربت جميع كتابات العالم ، لا يجدي
حرف لا يتعب ،
لا يحمله كتف مجهد
هل صدقتم أني أكتب . . ؟
لو أن الحرف القادم في رأسي

ظل على وجه العالم
لانهارت في بيتي الأوثان المركونة
من دهر غابر
لكنني حين صلبت الحرف القادم
من أجل الشمس المسبية
طاش جنون الطلق الأول .

(4)

لا تسكتوا .
عرفت أن القدم الداست على أصابعي
جاءت إليكم قبل أن أجيء
مررت في طريقي الملتوي الجوانب الرقطاء
مثل حية ميتة تنفث فيَّ سمها
وسمها يقتلني
والموت لا يجيء
سمعت صوت الطلقة الأولى بصدر صاحبي
ترن مثل الجرس العظيم
في عظم كل جائع في كف كل سارق بريء .

لا تسكتوا ،
عرفت أن الطلقة الثانية الملقاة في شوارعنا
تحرق في غبار صمتكم يا ويلكم

الموت لا يأتي إليكم باردا بطيء .

(5)

نبشوا كل القطن النائم في بيتي ،
سألوني عن ولدي الميت
إن كان يزور فناء الدار .
طلبوا مني تصريحاً
كي تبكي والدتي عني ،
لكني واريت الضحكة في حلقي ،
(من أين يجيء الدمع إليها
والدتي العمياء ، العمياء؟)
أكسر في نفسي كل الأبواب الموصودة
أبواباً في سجني
أشعل قنديلاً وقصيدة
كي أسمع صوتاً يأتيني مثل الطوفان
صوت حنين الأطفال الغرباء ،
صوت النار المصبوغة بالدم ،
صوت الهم النازل من أعماق الفقراء
الأموات من الجوع
صوت طلوع الشمس المقبلة الخضراء
صوت الماء الأحمر
صوتك ، صوتي ، صوت الناس .

(6)

هذا الصف الأول

يسقط في درب الشمس الساخنة الضوء

هذا الصف الأول يتقدم عبر حريق الضوء

هذا الصف الأول يقفز ، ينهض صف آخر بعده

(من يمشي في حومة دربي

لا يعرف دربا للعودة)

هذا الصف الـ . .

افتح بابك

دور الصف الثاني قادم

(السجن ممر نعبره

كي نغسل عن وجه العالم

أسطورة «الشعب الخادم»)

دور الصف الثاني فليتقدم .

(7)

عابر كل مسافات الألم

راكب فوق رياح الخير والشر

وجنيات هذا العالم الليت ،

لا أشكو سوى شوقي إليكم

يا تيام العالم المصلوب في عين الخطر

هذه زوادتي مملوءة بالنار والتاريخ
والحب المحنّى بالدماء
وملايين البطاقات التي لا تعرف العنوان !
والإنسان مشدود إلى حمالة المفتاح
في كف عدوي .
أينكم ، جاءت رياح النار
لن يأتي لكم دجال
لن يأتي الرسول المنتظر .

(8)

حركوا أعضاءكم للشمس
يا جيران هذا الحقل
شيلوا الثمرة .

(9)

في السنة العاشرة
هل يعرف الطفل جميع الحروف
ويقرأ الدرس الذي من دمي
كتبته في السنة العاشرة .

سبتمبر 1970

حبيبتي ، الخروج من الدهشة

قبور طويلة

تركض مثل البروق إلينا ،

والخريطة

تقذف أسماءها في رصيف النظام

كيف لم نعرف الحلول البسيطة !!

مذابح !! ندري .

تقاس للمعاصم من أجل قيد

لا لكي يقبل النهار ،

دربنا يعبر الدماء

هذه الأبجدية

نحن ندري .

يقتلون أصابع الأطفال

يتفقون (لكن ضدنا)

من أجل أن تمشي المقاعد ، أجل أن يطأ الظلام
سرائر الصور البتولة
والبكاء يسن سيف الله
(كان الله في قلبي
وصار مشردا
شجرا من الشوك المفضض
كيف أحرقه وحيدا ؟)

مذابحا
إن المفاتيح في طلقة القادمين
رئة الثورة الآن محصورة بين ذقن السلاطين
بين انحسار الكلام- الدماء
بين وردمن النار يشرب من جرح أرض الجزيرة
إن ماء الفرات المسمّم نشتاقه
(هل حرام ؟
نتيمم ؟)
تركض كل القبور إلينا
طويلا مداها ،
كسيف السلاطين والاتفاقات والثورة الراجعة
مذابح!!
ليست فلسطين ، لكن دماء الطريق
اخرجوا من عناوينكم ،
كل حكم يبول على وجهه الآن ، يكشف عوراته المضحكة

تـكن الثورة في الـصحن ، أو تستباح
كيف يجرؤ تاريخنا !
كيف يمشي ، أعرجا
(والثورة – القدم اليسرى
مخبرون وأصفاد ، وخندق بحجم (الـسلام)
الذي يثمر الحقد .

عندما لا يستطيع الذهب المجرم أن يركض خلف الصوم
أو يركب أفراس الصلاة
يقسم الحكم بأن الشجرة
حجر فوق الطريق!
كيف حين انفجر الصبر استوى الحكم الذي
يمسكه الوالي
وحكم الثورة الراجعة الآن إلى القبر ،
استوى القبر مع النعش ، وكيف؟

لا غرابة
لعبة يكشفها الأطفال ، تاريخ
(ينادون التواريخ بأسماء كبيرة)
مقعد ، والفرس الفائز نحو الحكم يدعى ثورة .

القذائي : صار كبشا
تمازله المقاعد أو تـشبيه الـسهام

هل صار طفلا ، أو مدخلا أو مدينة!

(الآن ، الخريطة سجن عريض طويل يمتد
من الخليج إلى المحيط ، يسمّونه الوطن العربي .
هل تصيبني الدهشة ؟)

رقع في المباءات ، كل يوم حريق
والشقوق ،
كلما حاولوا ضمها استزادت
يا مناخ النضوج ، يا بيئة النار
تعالي .

ولكنها عندنا من زمان
ترصد الوقت أو تستعيد الجنون
يرفع البحر هامته ، والخليج
يحكّ خاصرة النار (هل تركضون؟)

خرجت كتابات المساء
ضجت شوارعنا .
تعالي وردة حمراء في كبد العصافير المشردة ،
اخرجي
ونكون في بعض الصدى وشما على شفة الماء

إن نفس القيد أجهضني

تحول بلبل الأيام نحو الصوت
كيف الريشة ارتعشت على الكلمات .
أعطاك الملوك دما وأعطوني .

اخرجوا من هاتك الأسماء
ليست نزهة ،
رقصا ، صجيجا ،
طاقما من حفل عرس
إنه يوم الخروج

(مرة أخرى ، الآن . أحد الرفاق يعالج المذياع فيصرخ في الوجه :
1 . الملك يقتل عناصر الانقلاب
2 . رئيس الجمهورية أيضا يسلخ كل من يحب حرف الشاء من الشعب ، بعد قتله .
3 . جنود الملك الصالح يعتقلون فلسطين من أحد شوارع العالم ، يقولون فلسطين خارجة على القانون .
4 . الخليج يقدم للمحاكمة صباحا بتهمة حرق المراحل وتخريب التاريخ العربي في عموم الجزيرة .

فيما كان رفيقي يحاول اختصار ضحكته ، كنت أسأل الساعة عن الوقت ، وراحت والدتي تخيط لي طريقا يمر بأحد السجون العربية .
أقول اخرجوا من جميع اللغات التي امرلت
أعني التي أسقطت ، فوقنا

سيوفا تفكر في النائبات لنا ،

اخرجوا .

كان حقلا جميلا ، ولغما ،

وهل كان عرسا ؟

كل شبر محارة وجوار ، وكل الجهات عرايا .

والجوع!

هل صار لغما أم هودجا أم رصاصا ؟

والصمت!

من قال صمتا

تحت الرماد شرار

إن الوسادة شوك ، يا وقفة واحتجاجا .

(السجن صار طريقا مسننا

للشمس ، صار كتابا

ومدخلا للمدينة)

الثورة حبيبتي :

خرجت وعند صهيل باب الفجر

ما عرفت مناديلي الجريحة

كان برد الشام في نجد وكان النيل يغسل وجه أفريقيا .

وخاصرة الخليج

ترتاح في عمان

ها حلم يصير يدا ،

تغير كل قيد في يد الأطفال

تحولت القيود عقود أزهار كأصوات الكتابة
في القصر رأس قديم
والأرض شيء غريب ، بحجم لعبة طفل :
جرادة أو يمامة
والأرض نار أليفة   مذابح نحن صرنا
والقبر يركض مثلي   يسد فتق العساكر
أو شارعا للممات
قد صار سجنا طويلا
اعني حدود بلادي   (نهرا ، خليجا ، محيطاً)
نحن هنا ، أين نحن ؟
هل غابت الشمس فينا ، هل كل شيء سراب
هل جاوبتنا السؤالات ؟

(والآن . مرة ثالثة ، كان ينصح نوعا جديدا من الاحتجاج حين قال :
إنها مسألة شخصية حتى العظم . تذكرت له كلمات أحد الثوار
بعد فشل إحدى ثوراته حين قال : على أية حال إنها الثورة السابعة عشرة .
لا أعرف إن كان قد نام جيدا تلك الليلة . . ذلك الرفيق)

من يركب الريح المطهمة التي تأتي وأنتم نائمون
من يكتب التاريخ ، ها لغة بلا صوت
وأنتم ، أيما لغة أتت في عهدكم

كيف استراحت هذه الأوثان تحت التاج

عهد زجاج

ومن يدري بأن الأرض كافرة ،

وأن قوافل الحجاج غيرت المسار .

من يدري

(تصير النار جسرا طالعا

والبحر قافية ورقصا واحتفال)

يوليو 1971

الحجاج يقدم أوراق اعتماده

طفول ، نقطة دم في عيون الخليج ،
- استشهدت

وداعا أيتها الفتاة الحلوة ، أيتها
الوردة الفاتحة ، ستذهبين
صوب الحب وسأذهب صوب الموت .

(لوركا)

أما آن لهذا الفارس أن يترجل
(أسماء بنت أبي بكر) لابنها المصلوب عبدالله بن الزبير

نخلة بين الأغاني ، هل فم ينقع فيه السم يعطي؟
كيف لا تسقط هذي الشمس في حضن السبايا ؟

حربة الحجاج تصطاد الغزالات . ونحن
أين نحن ؟
لا تقولوا هزنا الشوق إلى فوق ،
سقطنا
لغة الترياق والموت تصير الآن قرآنا بخط النسخ
لو كنا مجانين قرأنا
(واستحالت عوسجات الصحراء
أمراء .
واستحلنا نهرا يسقي جذور
العوسج البري بالدم ،
ونحن الفقراء)
لا تقولوا : كيف ؟
كانت طفلة في رئة الرمح
تجز الليل من بطن الجديلة
نفضت كل عباءات القبيلة
و انتفضت سيفا وماء
فبكوا لما رأوها وردة تشرب في جمجمة الأعداء
واغتالوا حنين الصوت فيها ،
ألف قد علمتنا لغة نقرأ فيها
ياسمين الزمن البكر ،
رغيفا يحلم الأطفال فيه برزخا للشمس
سيفا أحمرا ،
أو برتقالة .

آه لكنا مصصنا لذة الخوف ،
انزعوها شوكة القلب
وكونوا نخلة بين الأغاني

(هل تهز الجذع يساقط زيتا
أم تهز الجذع يساقط موتى ؟)

يسكت الصوت الذي يأتي من الخلف
وترتاح الملايين من النوم ،
وتأتي المفردات هاربات
من قواميس المراثي
كالحمامات التي عذبها الحب وأبكاها العراق .

هكذا ، رأسها في الرياح
تقصم ظهر الملثم ، وابن جلا واقف
يجلد العسكر المستباح

(وضعت العمامة لكنهم جهلوني
وردوا السيوف لنحري
وهزوا عروش الخليفة)

أخبرونا ، هل وراء الشجر اليابس عصفور
وهل قبر يصلي ؟

لو قرأتم سورة الحجاج ،
لو نافذة مثل بلادي
ثم آه
حين نامت طفلة في دم لوركا
واستفاق الزنبق الوحشي فينا
كسرت قافية السلطان بالورد الجميل
كيف لم نعرف حكاياها وكيف
زينوا كل شريد في بلادي بشذاها .
لم تصر(كانت) ولكن أصبحت جرحا بهيج
آه يا لوركا ،
أغانيك تصير الآن دفئا
لتراب الحب في غرناطة أو في الخليج .

نخلة تعطي .
احتراقا أيها الغصن
و لام تنثني تحرث صدر الآخرين
كل شيء يغرق الآن بضحكات القتيل
و طفول
تزرع الألغام في كل الجسور
وبلادي في ظلام اللحظة الملتهبة
ألبسوها زمنا من ورق الجيش المقوى
و طبول
تركب القافلة القادمة الآن إلينا بالهدايا

حيث تساقط شمس فوق أحضان السبايا .
تقلمت في رئة المدينة
وخاطبت بالجرأة الحزينة :

(ترجل أيها الرجل المسافر في قتال العسكر الوحشي آن لك الأوان
عرج على تلك الخيام لكي تنام . وطول تغسل كل ليل ، يستحيل
الجرح في يدها رسائل تحمل البارود توصلها لأطفال يصيرون انتفاضات
البلد
آه عبدالله لو جزر العباب وساحل الزيت استكانوا ، مت في خشب
الصليب
آه لكن سوف تمشي مثلما يمشي الحبيب إلى الحبيب)
و الخنساء ترفع رأسها مزدانة بالبرق والآيات
ترفض نفسها الأشياء ، والخبز البعيد عن البطون ،
أغنية رفضية نقشت ملامح وجهها
والجوع لحن مجرم ، لو يعرفون .
(هل مشينا
هل يمد الظل أقداما على الأحياء
هل تأتي وريقات الشهادة من دم الحجاج
نرفضها ونرفض ساكنيها)

نجمة كانت وما زالت يسيل على دماها
مطر .
تعالوا . قالت الأخبار . هل صدقت ،

وهل ذهبت إلى الأرض
استحالت طفلة أخرى تعيش على هواها ؟
علمتنا كيف نختار الورود بدون خوف الخنجر البراق

لام   ترسم الأغصان
كيف نكون لغما في سطور الشعر
نفتح شرفة في البيت ،

أه   أدركونا .
جاءت رسائلكم ، حملناها ، خرجنا من سماء الضوء
أدخلنا عواصمنا إلى أرض الغرابة
وتوضأنا برمل الشهداء
وعرفنا كيف في غرناطة تبكي سحابة
كيف صارت فجأة ، كيف استحالت
بعد أن كانت خرابة .

(جاءت اليـاء تزحف في جسد المستحيل ،
تسمي البغايا بأسمائهن ، ترى المفردات الغريبة ،
توزع نار المحبة والأصدقاء
وتمحو تقاويم عصر المرابين ، تكتب عصر النقاء)

كيف (أسماء) جاءت وما جئت
أنت

وطارت لنا زغردات قتيلة

ابتدأت من الموت ، كنت عاتا لهم ،

واستطعت الوصول .

المقاهي تلوك الضحايا

ونحن يتامى عرايا

ترى يفهمون الرموز؟

أنصتوا ، تبدأ النار تقرأ في سورة الساقطين .

(وكان أن تلد الثورة أبناءها)

ولكنهم يستعيرون أقنعة من خشب تأكل فيه السوسة ،

وكانت الثورة -اللعبة المستطيلة ، ولكنهم جولة خاسرة)

من هنا تبدأ الدرب فينا

من هنا تنهض كل الضحايا

تصير لكل الحروف أظافر

مثل الأساطير تقفز من كتب الله شوقا

ويا أختاه يرحنا الهوى

للعشق سهم أحمر (وأنا أكون ولا أكون)

ما خنت ، لكن القوافل لا تسافر وحدها في الليل

والأصحاب ناموا ، وانتهوا في أول الدرب

استعاروا زمن القات ، وقالوا :

نستريح الآن أتعبنا السفر

(وأنا أكون ولا أكون)

وتولدين من الخواصر .

نحلة بين الأغاني ، والفم المنقوع بالسم ،

ارتعاشات التراتيل القبيحة .

لغة لا تستطيع القول ،

صوت ، من زمان قادم

يضرب جدران التواريخ الجريحة

حين يغتالونها في أرضها تصبح أخرى

نحلة أخرى ونهرا لا يطيع الخلفاء ،

غضب

كل السلاطين هباء

والذي سمره الحجاج في بوابة التاريخ

يمشي في خليج الأعين الحمراء

أسماء بلا عنوان في كل مكان

تطبخ الثورة في قدرتها

هل يستحيل الرمز في داخلنا بوابة أخرى إلى التاريخ؟

لا تستصرخوا حزنا

(وسموا كل بنت باسمها الآن وسموها الشجر ،

ريثما ، أو يلفوها بصراخ الأرض

سموا باسمها كل العذارى في السجون)

افتحوا نافذة في الريح ،لوركا ولد يهوى الممات
فوق أحداق المساكين المصابين بداء الحب
في غرناطة أو في الخليج .

(جيم . منجل تحصد الرؤوس وتبني على جثة الخليفة عالما .
عاد من صلبه . ذهبت إلى الموت . لكن طفول هنا .
تساقط الآن كل الشموس بحضن العذارى)
الذين يدوسون صدر الأغاني هنا
انتهى عهدهم ابتدا عهدنا
خليج سالم ،
يصير اسمه مثل وجه الجراح
يشيل السواعد من غمدها
ثم يتلو كتاب الخطايا الذي من ولاة الخليفة .
امتقع يا زمان الأناقة والجوع
امتقع يا زمان البغايا النظيفة .
ستبقى طفول هناك
وتبقى هنا

(وسموا كل بنت باسمها الآن وسموها القمر
غرقت في الضوء لما قاتلت موت الدخول
زينوا أسلحة الفجر ، اصقلوها

أطلقوها في فم الأطفال
في ألواننا الحمراء
سموا باسمها كل الفصول)
لم تكن غائبة عنا ولكن السيوف
لا تطيق النوم في غمد الرجال .
طفلة
نعرفها الآن كما نعرف رمز الوطن المرصوص
في القلعة في أرصدة البنك التي يملكها الوالي
وجوع الزنبقات
ورموز الطلقة القادمة الآن
وطفلة .
لا تقولوا نحن في الشوق الذي نام
افتحوا باب الأساطير ، انتضوا سيفا وماء
وتعالوا فقراء
فتصيرون الشهداءً ورعونة
نخلة هزوا فيساقط زيتٌ
نخلة هزوا فتساقط نار
نحن من سجن خرجنا ، آه لكن السجون
ألف بوابة شمس وظهيرة
اقطعوا بالسيف ، مدوا صوتكم عبر الخليج
وشرارات الجزيرة

دمنا الحاقد من كل كتاب يصبغ الفجر ،

وأعصاب القصائد
لم تزل مشدودة والشمس في حضن العذارى
والخيول
في انتظار الفارس الغاضب ، هل يعطي الشجر
ثمر السوس إذا الخضرة جاءت؟
أدركونا
لم تزل بوابة التاريخ في المشرق
وما زالت أيادينا على زند الحياة
علمتنا طفلة معنى الخطورة
في ربيع بلد الأطفال أبطالا ،
ومن ثار الحدائق تستفيق القبرات .
نخلة فوق الأغاني
آه لوركا ، ها هنا الفاشست يغتالون أعناق القصائد
دمك المطلول دفئا لقلوب الشعراء
الشعراء
حيث يختال (. . . . . . .) على عار الخليج ،
لغة دفئك ، إزميل به يطلع شعر
ونقاتل
تركض الأرض إلى غرناطة أو في الخليج
لا تقولوا طفلة كانت   ولكن أبجدية .

مارس 1971

خروج رأس الحسين من المدن الخائنة

(لو تُرِكَ القطا لنام)

صاحب الرأس

نسير بلا حيرة– كانت الحيرة مثل القناديل

في جلدنا

نسير على أرض كل الشوارع ،

أقدامنا رعد كل الزوايا   يتبعنا الحزن والياسمين

ونستصرخ الموت ، والموت يصرخ فينا : تجيئون ؟

برقًا نجيء من المدن الخائنة

(مدينتنا لم تخن – نحن خنّا)

وحين تداخلت الصور المرعبة

صرخنا ، وجئنا نسن حراب العجيمة

نشرب خمر التغرب

نصنع من حجر الموت كأسا ، وأنخابا
من بروق المحبة والحقد والاعتراف .
على أرض كل الشوارع في مدن الثورة النائمة
زحفنا ، ولما فتحنا كتاب السماء
ولما عرفنا الدماء
توقف نبض الحديد ، وجاءت لنا الساعة القائمة .
نسير بلا حيرة . كانت الحيرة مثل الوسام
على بطن كل الضفادع في المدن الخائنة

نسير . ندحرج تاريخنا ونركله باحترام
ولم نأخذ الأرض بالسيف . كنا قطاة
وكانت محابرنا من دماء وكان الذي فوقنا
يبول علينا ، ونحن نقول : اسقنا
ونشرب ، نسكر حتى تمر الليالي علينا
وحتى نصدق أن السكوت كلام .
نسير ونعرف كيف نشق التراب ، ونبذر داخله الكائنات
وكيف نحز الرؤوس ونزرعها عبر كل العصور
فنحن الحسين المسافر من كربلاء
ورأس الحسين الممزق بين دمشق وبين الخليج
ونحمله ، نستريح على سورة للرمياء .

نسير ورايتنا العالية
ونخرج من كل كوخ على أرض هذا الخليج

لندخل كل القصور ، ونبني على رسمها قبلة غاضبة
ليزهر ورد الرماد ، الرماد الذي تحته النار أو طفلة
في ربيع الخطورة
أو جائع ، تحته نحن ، من ألف عام تصير ركاما .
ويركبنا البحر من غير صارية أو شراع
يصيد اللآلىء من قلبنا
تصير جماجمنا كرة
عليها خرائط كل المدائن حين تجوع
ويحترق الحب ، والموت ورد
وحين نجوع تصير عظام الجدود مناجم
تصير ملاعق من ذهب ورصاص
تصير مرايا وآبار نفط

(ما مر عام والخليج ليس فيه جوع)(1)

ويستقبل الجوع رأس الحسين ويفتح باب الحريق
ليدخل رأس الحسين . . .
تصير البلاد عروسا لها ألف طفل وألف عشيق .

(ينتشر الحب في كل مكان ، ويسقط الحب
قتيلا لحظة المجابهة نحاول معرفة الخيط
الأسود من الخيط الأبيض يختلط كل شيء
بكل شيء)

نقيم سرادق عرس على مأتم الميتين
ونبصق كلمة حب وحقد بوجه الحقق ،
نرقص داخل كل السجون .
وتهدّ جدران كل المسافات حين نمد مفاتيحنا
ترانا انقلبنا على ظهرنا
مثل هذي البلاد التي تحسن الكر و الفر
هذي الفتاة التي سرقوها بسيف
فسالت دماها براميل زيت ومنّ وسلوى ؟
ونبحر من كل أرض إلى كل بحر .
مدائن حزن   صحاري سجون .

نسير معاً ،   تلد العاقرات الأغاني ،
نسير ونحن جميع اللغات الغريبة
ونحن الحبيب الذي عرف الدرب نحو الحبيبة
نسير ،   انتظرنا طويلاً ، تأخر موعدنا فقتلنا
وقمنا من القبر ثانية وقتلنا ،
وقمنا . . . ولكننا ما هزمنا
وسرنا مع الرأس ، سرنا إلى كل أرض وكل حياة
نسير بلا حيرة
لم تعد شجرة بيننا الآن   لا وردة من دخان
فنفتح وجه الزمان
ونحمل رأس الحسين المحاصر في كل أرض غريبة
نسير إلى مدن النار ، نحرق أسوارها ، نحترق

ونكتب فوق معاصم أطفال تلك المدن

محطات عشق   وسيرا بلا حيرة في الطرق .

نسير معا   اتبعونا

نُلاقيكُمْ عند رأس الخليج

نسير ونحن جميع اللغات الغريبة

ونحن الحبيب الذي عرف الدرب نحو الحبيبة .

فبراير 1971

صلاة الخوف

.. لكن كيف ؟

أنمشي في زمان مات

هل في أمة هربت إلى التاريخ من بوابة أخرى ؟

استحال الخوف ضوءا معتما وبدا تزين ضفافها الأحلام

نحن في زمان آت

نسافر في فضاء الحلم

هل قمر يغني فوقنا سفرا بلا عنوان

لكن كيف ؟

هل في مصحف الصلوات نسأل عن طريق الموت

أم نحيا بلا ماء ولا أسماء؟

دعونا نكتب الصحراء في دوامة البحر

ولكن له   من ذا قيَّد الشطآن ؟

نكوا بحرنا من قافيات الموت
نخترع اللغات هنا ونطبخ في حريق الورد تاريخا
ولكن كيف ؟

هاموا في طريق الحلم
واستعصت أغانينا على النسيان
واحدة هي الأرض التي تمتد
والأرض التي ترجع
ولما صارت الأزهار نافذة على بيتي
غطى الليل وانكسرت مرا . . . يا ردهة الموت
أنعجز عن كتابة عشقنا في خاطر الأيام
هذا بيتنا شجر من اللون الخجول
وسيفنا لغة لها حلم التحول والسيول .

لو جاء تاريخ السيول إلى الخليج .

طالع من كتاب اللهب
من تراث الجنون
استقيموا على الدرب ساعات حلم
أقيموا الصلاة / أنا طالع في دمي / ليس حلما
جنوني دواة المساكين والأشقياء
أنتم . . / دمائي
أنا الساجد العابد الخائف المستهام

أقيم الصلاة على صهوة الخوف والأنبياء .

ونمشي معا حاملين الحصى كالنجوم .

نغني الحكايا الجديدة / هل تعرفون الليالي البعيدة ؟

استطاع النهار الذي في بطون الجياع

استطاع

ونحن نقدم رجلا ، نؤجل أخرى

كأن التراب

استحال ترابا

ولم يغد وردا ولم يغد باب .

نبحث في الغيم عن قطرة عن سؤال

كيف للقطرة الآن والبحر في سجنه المستعار

الطفولة والبرد ؟ / لا نستطيع انتظار

هذه أمة ودعت قيدها / والقتيل استطاع

تعالوا هنا ليس وقت الصلاة

هنا الخوف تاريخنا والممات لنا شارة

يوم باعوا البلاد استحالت رصاصا

ولم يبق ورد على الكتف . لكن . بقينا

خذوني / أنا طالع كالجيوش الصغيرة

بلا قائد / تذكرون ؟

أجل / لن أفك الرموز الخطيرة

تقاوم نوم العصور احرقوها / لدينا تقاوم عصر الجنون

(وهل يملك النوم في غابة من حريق؟

هنا كل شيء طريق يؤدي إلى الغابة – القبر

أو غابة زاهرة

الطفولة والقتل ليلا طريق

الرموز الغريبة والنوم في قاع كأس طريق

هنا كل شيء . . . حريق)

وتصغر هذي البلاد الصغيرة تصغر

حتى تصير احتفالا

أو نصف قبر تصير

هنا النار تاريخنا فاخلعوا حلة الصيف جاء الشتاء

ونحن عرايا .

أيقتالنا الثلج / نحن كتاب اللهب ؟

ها هو الصوت

فيه التضاريس وحشية والدماء

سأعطيكم من جنوني طريقا .

اطلعوا من هدوئي .

تعالوا تصير ازدهارا وورداً تصير .

ستعبر كل الجسور القديمة

تخرق حظر التجول في قنوات الفجيعة

وتمتد في بؤبؤ العين حيث الصلاة انتهت بالعجوز

خليج السلاطين يمتد فينا / قرأنا لهم /

بايعوا غيرنا بالصلاة

(كانت بداية الحلم تكمن في نافذة ، وجه يطل على السجن والوجه

الحروب التي يدخلونها فقط ولا يخرجون تقول الورقة :

(. . وأنتم معشر هذه الدولة يجب عليكم أن تكفوا عن أمر المسلمين ويلزمكم أن لا تتعدوا علينا ومن تعدى علينا فالله يعيننا عليه وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ومن كان مع الله كان الله معه ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدره وإن ينصركم الله فلا غالب لكم)

ما ضيعونا إنما ضاعوا بلا ماء على الصحراء

واحدة هي الأرض التي تمتد

والأرض التي ترجع

سنسأل . كيف إبحار بلا جزر ولا ميناء ؟

سميناه باسم الماء

باسم طفولة الشطآن

هل . . . يرجع ؟

سنختصر العصور إليك

نكسر في مرا . . . يا رعشة الموت

خذينا

لا نموت الآن في الجزر المخبأة ، احملي أثر السجود .

بارد وجه هذي البلاد / البلاد الصحارى

يعطي تضاريسها المهرجان

بارد

أنا الرأس والسيف والساعد / الجسور دمائي

بلادي استراحت ولم تسترح

بلادي استراحت ولم تسترح

يا صلاة الفجور

تداخل موتي وموت الفراشات في الضوء

كنا نصلي وكان الجنود

قليلون حتى الفجيعة

فجاءت سهام العدو السريعة

بلادي استراحت ولم تسترح في العيون

ربما في الصحارى أو الخوف

أو ربما في السجون

استراحت على ناصيات الشوارع

(لما سألت الخريطة عن لونها قاطعوني)

(أجلس في ردهة الموت ماسكا أجوبة اللغز أنتم . كل شيء من الورق المقوى ، وأنتم تعرفون ، حتى الموت ، هذا الرواق المظلم الذي جلس فيه شمعي مع مصاصي الدماء . . . أنتظر لحظة الصفر التي سيأتي بها صديقي السجين الآن ، بالطبع لن يأتي صديقي وانتم أصفار على مقاعد . . هل أنتظر)

ستركض كل الجيوش إلينا وتصغر هذي الخريطة

. . . والبحر يركض نحو القصور / فهل يستريح الغياب ؟

تساءلت عن غيمة /

أنتم الغيمة الآن غطوا الصحارى بعشب

هنا ساعد الموت صلى عليه اليتامى . . وماتوا
وجاءت لنا أغنيات العذاب
ولم يبق ماء / تيممت / لم يبق فيء /
توجهت نحو الصلاة
ولم تبق ناحية / لم أجد في السماء
وظهري أتته السهام السريعة .

هو القطرة الآن / أنتم بحاري وناري
لِتَبْنِ الجسور الخطيرة من ورق الشمس
تستصرخ النار
أنتم رياحي الصغيرة
تطلع منها الشرارة

هذا التراب النبي القتيل
ادفنوا وجهه بالدماء
إذا لا تفاجىء أعداءنا في الظهيرة
إذن . . .
تداخلت في الرمح / صرنا طريقا ، وصار
صوتنا لمة في الحريق
لن تهرب الآن ، تاريخها قادم و الرصاص
يسافر نحو الجزيرة
وأطفالنا جمرة تفرز الرفض
والرفض نهر .

اقيموا صلاة الجنون

فلم تبق درب ولم يبق باب

سيأتي خليج الضحايا ويأتي الخراب .

ديسمبر 1971

الدم الثاني

(1975)

إلى حبيبتي طفول

في عامها العاشر

ف. ح

الدم الثاني

أنت

وهل يجهلك العاشق . أنت

تغسلين اللغة المزهوة اللون . هنا لغم

وفي خديك أو في العطش الشمسي خيط

تشربين اللغة المألوفة الغريبة

هل بيننا جسر من الخوف

استرح يا لهب الموت الذي يغزو غبار الوطن الأول

تأتين من الأزرق حتى آخر الأرض

لتدنو طفلة مستعرة

كخدود الشجرة

اطلعوا من خضرة اليأس

فهذا الوطن الأنثى وأنتم

أنت

هل يعرفك العاشق أم يجهلك العسكر

هل يلتقيان

بين جلد الجسد المسحوب من آخرة الماء

وبين الشهداء

وأنا - أنتظر الوقت لكي يدخل في الوقت

وطير يحمل الأطفال في ريش من الطين - هنا

جالس . ليست يدي صارية تعلو ولا كفي شراع

إنه الليل الذي حولني غصناً من النوم إلى الماء

فصار الماء نار

كيف لا يطلع هذا الوهم من نافذتي

كيف لا نافذة تفتح في النوم ولا ريح تجيء

كيف لا أعرف . لا أعرف .

تجلس الصرخة الآن بين الخنادق

تستصرخ الموت أو تستغيث

من الجرح بالرمح

لا تتركوا الصوت يمضي بعيداً وأنتم هنا

إنها الصرخة المستعارة من نكهة القتل

لا تتركوها

سيبقى الجنون لنا راية

وتبقين أنت

وأنت التي ودعتني كثيراً ولكنها لا تسافر
وأنت التي حولتني قصائد خوف
ولكنها علمتني أغامر
وأنت - أنا أذكر الآن - قلت :
لم لا تبقى معي
لم لا أبقى معك
لم لا نبقى معاً ؟
ولكنها عذبتني .

خذيني إلى ضفتيك المحاصرتين
أحاصرك ثم نرقص
كي تمطر الأرض أسلحة
والحدائق تفتحها للمصابين بالعشق
هاتي خذيني هو الحب هذا السؤال
كما اللغم يصعقنا كل يوم جميل
وفي دهشة الخوف أجلس . أستنطق الوقت
لا وقت للكلمات المعارة من جدول الصمت
لا وقت للكلمات
لكن خذوا قدمي . سوف تمشي على كل لغم
وتنسف كل الخرائط .
لكن خذوني
حولني العشق شيئاً من النار
شيئاً من الماء

هل تسأل النار عن مائي الأول
أم يسأل البرق عن منعطف الخوف ؟
ندخل كالماء في الأرض . أو نتداخل
تستوطن القبلة الخائفة
عادة نلتقي في الحروب المستهامة بالنوم
أو في نهاياتها العاصفة
إذا حولتك السجون انتقالاً من اللون
قل هذه حربنا الخاطفة

ليس في الحب نصف
جنوني عصف وأنت اجتياح
وهذا الوطن
حولوه إلى عسل خاثر بالجريمة . والحب رمز
سأعرف كيف أحاصر صوتك عشقاً
أحوله أغنيات لأطفالنا المقبلين
فمن حمرة البحر يأتي مناخ الشجر
ومن خضرة الأرض تطلع رائحة الرعب فينا
لنخلع خوفاً ونصنع للعالم الخوف منا
تعالي
هنا سيد العشق أسطورة للعذاب
تعالي
سيعرفك العاشقون المعارون للنار
يعرفك الناهضون من النوم

يعرفك التائهون .

أنا شهوة الهدم
كل السلاطين أحذية للغزاة
تساءلت :
هذا مضيق يبرزخنا بين فخذيه أم يستبينا ؟
أنا أول البحر . هل يبدأ البحر فيكم ؟
وأنت
بلادي نوافذها للبكاء
وأبوابها للعساكر مفتوحة كالسماء
وأنت يغازلك الشاعر الوهج
والشاعر الوهج
لكنك تجفلين .

قد قلت - ولتحمل الريح صوتي -
هنا المهرجانات قائمة كي تسميَ للون لونين
للقوس عائلة كالقزح
وتمسح في الجرح طعم الفرح
وقد قلت :
ما بين خط البياض وخط السواد خصومة
نحن الطفولة للأرض أنت الأمومة
واللون سيدة مصطفاة من البحر
لا تتركوا العيد يأخذكم غفلة

إنه الحزن

هذا النبي الجديد

فلا العيد عيد ولا المهرجان الفجائيّ برق

ولا الصولجان

فقد علمتني البلاد الغريبة إيقاعها

أخذت من يدي مالي الأول المستريب

وأعطتني ماءً لأسرارها

إنها الآن تصغي لنا

علّنا نستحيل النبوءة والأنبياء

نصير حراباً يحوّل هذي الخرائب حقلاً و بيتا

نحرض هذا السواد على الأبيض النائم الآن في العين

نستصرخ المرأة كي تحصن اليوم عشاقها

والطقس كي نحضر العرس والمستحيل

ونستقبل الرعب في الصدر حباً

ولا نستقيل .

ترسلين الإشارات والرمز للغائبين عن الحلم

تستفردين بقلبي

فتمتد بين القصيدة والقبر فاكهة للبكاء

فكيف ألملم قافيتي من فناء البلاد الأليمة .

وأكتب كي يقرأ الهدم جذر السكون

وكيف أغادر تاريخك الدموي المسوّر

بالشجر الأنثوي

إنهم يعرفون
فالخبز لا يشبه الخبز والصوت لا يشبه الفم

وهذي اللغات التي أرهقوها ستخذل أطفالنا
في الصباح
فكل الدفاتر وحشية كالجنود المعارين للعرس والمهرجان
ولكنهم يعرفون

.

وأنت . ولست وحيداً
مجيش الهجوم معي
في الأصابع والكتف والقدمين اللتين تضيفان
للفم صوتاً
وللصوت دم .

تعالوا . هنا لغة لا تخاف
وأرض ستشهر نصلاً رهيفاً وتسكن في الغيم
قبل الشتاء
تحاوركم
إنه العنف قابلة للولادة
تسائلكم نزهة في السؤال
توزع أسمالها ثرة في الدخول
وتغلق فخذين جنًا بوقت الخروج

لتفتح دفتر عشاقها الضائعين

ولست وحيداً

وقفت بين شعرة الحب وأول القراءة
كانت يدي صديقة العشاق . كنت الشجر الخجول
وكان مائي طفلة الحقول
تمشي ويمشي خلفها البكاء
وكلما قرأت في حب يصير سيدي
وكل شكل أول البراءة
وقفت عند الرأس كان نزهة ، وعرس
دخلت . من يعرفني :
اسم من الأسماء
أمتد من سورة ياسين إلى طفولة الأشياء
أبتكر الآية من أولها . يا وطني المراق
كنت نهراً وشمس
تصعد فوق الهمس
كيف استحال صوتك الراعد كالهجوم
بحيرة يغرقها الوجوم
ولست وحدي . إنها النجوم
والكوكب الداخل في بكورة الهموم
والشجر الناعس فوق صدرها و العوسج المسموم
والوردة الضاحكة النهدين

والقلب في العينين
أنت . وهذا الوله الشاهق والقصائد
بين حروف الرفض والقبول
تأصلي : كأنني الأرض التي تجوع للحقول
كأنك الغرسة أو كأنك الأصول .

هل صعب
وهل ضاقت بنا الأرض
ها في القلب متسع . تعالي
ماؤك السري تاريخي
يجيء الحب من شفتين ذاهبتين
هل صعب
وهل بوابة للعشق ما ضحكت سوى للبحر
تسمعنا؟!
وقبلتك الأخيرة دهشة في الخوف
ها زنزانتي تسع الفضاء
وليس صعباً أن تكون
فأنت في جهة ستأخذ شكلها السري من لغتي
وتدخل في قميص الكون كوكبة وتخرج في جنوني
راية للهجم أو للهدم
لا تستعطف الجلاد لا يأخذها الشرطي
من مذبحة الشارع
أنت جهتي الأخرى .

طوى راحتيه على الحزن
تعوّد أن يحفظ الحزن سرا ، تعوّده الحزن
تحسس جرحاً على الصدر يسمونه القلب
قال للماء : غيّر رداءك
خذ لون وجهيَ والبس قميصيَ واقرأ دمي
يا أيها الماء غادر فمي
واحتملني
قال للماء : ضيعت مني دماً في الهواء
وقد كانت الأرض مشتاقة للدماء
وقد كانت الأرض مشتاقة
وقد كانت الأرض ....

قلت .
من يفقد الماء من لونه
يستحيل حريقاً يحول هذي الحديقة حرباً
فيا أيها الصمت يا أيها الخوف يا أنبياء الخصومة
ما بين نهر الغزاة ونهر العرق
نزهة الأصدقاء الذين يموتون حباً
ويستنجدون من الصوت بالصمت
لا يقرأون سوى الذاكرة
ويا أصدقاء الأنوثة هل تعرفون الغواية
بين البداية في الحلم والآخرة
إنها المرأة المستقاة من الجرح محمولة كالرماح

و ملجومة كالرياح

استفزوا الأقاليم كي تنهض الأرض من نومها

واستعيروا من البرق زوادة للرحيل

وجيئوا من الصيف والسيف والقبلة الساهرة .

هي الآن مرتاحة في ضميري

تراوح بين الدماء وبين المياه .

تعالي دماً ثانيا سوف يقرأه الأنبياء

وينسجه الغيم بيتاً لنا

إنه الطقس يسرق أزياءه من بلادي

ويغوي

لنا الرمز يمشي على فوهة كي يفجّر ما لا يقال .

إذن هكذا تكتبون الطريق إلى الظل

فوق الطريق إلى الخاصرة

أيعرف هذا الشهيق المؤجل لوني

تداخلت في وله العنف .

جيئوا

إذا استوت الأرض كوّرتها بغتة وانشطرت على صدرها

ليس غير الجنون الذي يلبس الحقل خوفاً

وليس سوى شجر الغزو في الوجه

والشمس طاقية للعصافير

هل كل يوم يدوس علينا يؤجلنا للدخول ؟

إذن سوف ندخل من حيث لا يدخل الآخرون

وأنت معي كوكب في الهجوم
سيقتلنا العصف
لكن سيغرق أعداؤنا في الوجوم .

أحاول معرفة الجهة الواقفة
فأكتشف الوصل بيني وبين الرماد
وبيني وبين الفساد المؤسس في الدم
كيف أحوّل أعصابنا لهجة راعفة .

وأسأل :
هل جمرة القبر أنا أم ثلجة الحياة
هل أول الأرض أنا أم آخر المياه
وهل إلهي حاكم أم أنني إله .

فتدخل الغزالة المحاصرة
في الأفق الشمسي والدهشة والمغامرة
وتبحر المراكب المسورة
بالحلم الوحشي حباً واللغات الكافرة .

تعالوا إذن
غيروا شكل أجسادكم
ثم صيغوا الخرائط كي تضحك الأرض
كي يدخل الرقم في الحرف والوطن الطفل

في الأصل

ينتشر الوعد كالرعد . والحزن سيدنا
فيا لذة الفضح ، لا شيء يفصل بين الوساوس والصوت
غير البكاء
ولا شيء يبكي سوى العورة النائمة

هو الخشب المرّ والرحلة الواقفة
ونافذتان على الكون
واحدة تعرفين اختياراتها الشائكة
وواحدة تعرفون السطوع الطفوليّ في الماء والسر
اخلعوني من القيد كي تصبوني على القوس
لا يدخل الضوء إلا العصافير في الفجر
والمهرة الخائفة .

هي الأرض لغم رهيف كحلم الطفولة
لو تستحيل الطفولة نافلة للكلام
لكننا قريبين كالفاجعة
وكنا علانية في الحدائق تستصرخ العشق
والحزن سيدنا
ثم أسمع رائحة الثورة الزاحفة
غيّروا شكل أسمائكم .
غيّروا الشعر والخبز والعشب
لكن دعوني أغني دمي مرة قبل موتي

دعوني أوقّع تاريخي المستهام ارتعاشاً بصوتي

لكم صوتكم وهي صوتي .

أنت ورائحة الثورة الطفلة الوجه أنت

غيّروا شكل أطفالكم

غيّر الصوت إيقاعه في دمائي . تغيرت .

مارس 1976

غنفرينا . وأول الماء حلم

لو يسطع الرعب في راحتي و يمشي .
دوار يخض حنين الشهادة والبدء
مازلت في أول الموت
هذا تراب النبيّين في ساعدي
سرير الطفولة يهتز
لكنه لا ينام .

وطن واحد . حولوني إلى قبعات وكوفية
إلى خوذة يغادرها كل يوم شهيد
وأدخل
سيدة الليل لا تفتحي نهدك الآن
سيدتي في مدار الفصول التي عذبت قيدها
أغلقي فجوة الصيف

لو يسطع الرعب

سيدتي

كل موت يشيل الغبار عن الأرض

والأرض محمولة في جبيني

هل أستعير اللغات المريضة كي أوضح الهمس .

لقد أرهقتني المحطات والحرب واقفة وحدها

أرهقتني المحطات والرعب واعدني في المساء

هنا المحطات مرهقة . غادرتني الغصون وأخبارها

واستل نوم العصور انحداراته واصطفاني على النعش

منذ احتلمنا على الأرض ما فارقتنا القبور

قبور تحكم أطرافها في الحياة

قبور تمد الجسور إلى الحلم

والقبر قاطرتي

والجيوش التي يهزم الجوع أحلامها الشائكة

أنا الوطن العربي الذي كان أغنية في الرماد

الذي صيرته الرياح احتضاراً توقّعه اللغة الضاحكة

بخار يحوله الصمت أرجوحة للكلام

ودهراً من الدم يمتد في سور هذي الخريطة :

أفريقيا لهب مستتار

ونار الغصون التي تكتب الشعر مثل الهواء

أفريقيا

لماذا الكلام

يمتد نهراً من الدم ، هذي الخريطة :
في كل أرض لي الآن عاصمة للتحجل ، وعاصمة للبكاء
هو النيل دمع وماء الفرات دم واشتهاء
وتاريخ يافا الجمعف يترك قاعات حظر التحول
من مومياء ، إلى أنبياء
لماذا البكاء
يمتد نهراً من الدم ، هذي الخريطة :
خليج من النوم والعاصفة
استداروا يغطون أطرافها بالعباءات
يستفردون بها نقطة نقطة .

حلم جامح يكسر الوقت ، والمجلس الآن منعقد
حلم يتحول من أول العمر حتى احتضار القتيل
والشرطة الآن منذورة كي تضبط الوقت فوق المعاصم
حلم تهجيته

ح ل م

في طرف الحلم قبر :
لقد كان سلطان نجمة صبح فصار في طرف الحلم قبراً
: إذا مر لغم على بابكم في المساء وغنى ، فهذا محمد في طرف القبر .
حلم : أنا الطرف الثالث للحلم . ماء يسير ويختصر الموت والمهرجان .

سأفصل مابين عصر الوقوف وبيني

لي الآن حرية في الرحيل
لعاتيَّ ذائبة وحدها في الهواء
إذا شئت أدخل من فجوة الليل أو أستقيل

حوانيت توزع مرض الحزن والنوم ومصحات بحجم السأم المرابط
تنشر سلالة الشرطي والصلاة والشفق واحتقان الأمل في الوريد ،
وتحتل الغفلة جيلاً بلا أسئلة .

أنا خندق عمقته السؤالات والشك أن الطفولة ماء
وأن النخيل طريق إلى الماء .

وطن ! ؟
هذا انتظار مجرم
هل يخرج التمثال من أحجاره السوداء . هذا وطن
فولوا
لماذا ؟
كيف ؟
من أين ؟
إلى أين ؟
رجوع نحو كهف الله ، من يأخذكم للتيه
هذي جثث تجلس فوق الحكم
والتاريخ في زنزانة البنك

وفي صمت الملايين التي تركع باسم الثورة الراقصة الآن على الحبل
وأخبار الملوك
تخرجون الآن من أكفانكم
حجر النوم إله . وتغنون لعيد القتل
تبكون تصلون من الهجرة حتى حرب تشرين التي حولها
الناطق باسم الخلفاء . متحفاً
وقبيل الموت تنثالون كالرمل
هنا مستنقع الرغبة في زيف الفتوحات التي تصقل أبواب السجون .
شهي زهوك الطازج الرائق الآن ، مفتوحة النهد لا يحمل السيف دون
انفجار الوقيعة ما بين أحداقك المستحيلات أشجار صحو وبين البكاء
شهي ،
والورد يبدأ عند الصباح بقامته الفارعة
والشمس مرتاحة
عكازها النخل ، والماء يسأل :
هل أدخل الآن جرح السماء
وأخرج من فتق كل السلاطين ؟
الماء يسأل الماء .

لو يسطع الرعب في راحتي ويمشي
ليعرف ماء السؤال احتمالاته الساهرة
ليرحل في وردة الليل سهواً . ونسمع في نشرة الطقس
عرس الأقاليم كي لا يموت الجياع على كاهلي
فيخضر قاع السماء

وتمشي العصول إلى الماء حاملة قيدها
لو الرعب شكل يحدده الوقت
لو الرعب وقت له شكل خارطة
لاستحالت نوافذها شرفة للقاء
أنا الوطن العربي الذي جرحته الحروب الحكومية الختم
مازالت الأرض مفطورة بالسكوت
ومازال في خدها الوشم لغزاً يسمونه القدس
عرساً يسمونه كربلاء .

وطن
هذا اختمار شجر عاشره الدم
سباقات إلى الذبح تسمى فرحاً
والشعب في تهد بلا قاع
ولا رائحة الراحة تجتاح غصون الأرض
والأرض غبار .
جسد ،
تعب الماضي يغطي نفق الحلم ولا تدخل في الحرف
سوى لهث يموت
وطن . شاهدة القبر أنا
من هنا قتل وموت سيد يأتي وباب يغلق الأرض
على سكانها
من هنا شجر يأخذ شكل الجثث المصقولة الأطراف
والنوم الذي يشبه قتل الأنبياء

جسد مهترئ تزرق جدران المسافات بلا أذن
ويبقى عفناً للذكريات
ونفاق القبلات المستريبة
وعلامات من اللون الرمادي المقوى
بين رمز الجسد الأول للحلم وبين الشعراء
افتحي نهدك يا سيدتي للماء كي تغتسلي
ويطل الكون مزهواً لأن الكلمات
حولتها الثورة المفتعلة
كفناً للأسئلة .

الماء السري الذي يشبه البرق لا يمر من البرلمان ولا تكتبه السماء
الماء : هو بحر من هناك نهر من هنا وخليج يأخذ شكل الوقت .

يا وردة الليل يا لونها المستباح
يغطون أحداقك العاشقات برمز من الطين
يسمونك الحلم
والليل دهر قصير يغير عنوانه في الصباح
يا وردة الليل
غيّرت كل اتجاهات هذي الحروف
تعالي من الطرف البكر
كل الدروب القديمة ملغومة
ليّ وحديَ حرية في الرحيل إلى مدن الماء
والسر في جسد بارد

هل تسألون القتيل عن الرمز ؟

وحدي

تعالي شتاء له شهوة العرس . هذي الحديقة جبّانة

والقصائد نعش وكل الشهود يقولون

إن الجريمة واضحة كالدخان

وأنت هنا وردة الليل متهم صدرك المستهام

ومزدانة بالرؤوس الفدائية أكتافهم

والقضاة يحنون أطرافهم بالدماء

قطرة قطرة

إنه الدم العربي انبجاس من الوهم

يركض

يرسم

يلبس ثوب الحضور ويدخل نار القرابة

ما بين عتق الكتابة والسأم

ليس أمام القتيل سوى الموت

يخرج من هذا التفسخ جسد

يبدأ في التفسخ .

الوطن يتكئ على الشهداء

يُفتحُ باب ويُغلق .

تطل نافذة وتسقط

لا أحد يدخل لا أحد يخرج

فتبدأ الرائحة .

دم عربي على ضوئه يدخل العسكر البيت يستدعثون
وطن عبد
والحرب مرهونة باللغات التي صقلتها الطفولة
جبّانة كل درب تقود إلى حلمنا الأبدي
ساعة الحائط الآن تجهل وقت انتصاراتنا

لا يدخل الحرب إلا شريد
ويخرج في خوذة فارغة

ولا تعرف الساعة موعدنا الدموي
إنه ضائع بين حبر المراسيم والصرخة المارقة
دم عربي
أيسطع رعب على راحتيّ ويمشي
دواراً تموتون في رعشة الحلم

هذا سرير الطفولة يهتز لكنه لا ينام
فيا سيد الموت يا وردة الليل يا كل احتضاراتنا
لي الآن حرية في الرحيل
ولي لغة أستقيها من الماء أبكي على صدرها
أرهقتني محطات أشعاركم

وحيد على زنبق الماء وقت يسمى

ق ا س م

قوس إلى سحر أمجادكم
افتحي نهدك
إسمي أول الماء
موتي نبي يغادر قرآنه
ثم يغلق باب السماء
افتحي نهدك
أول الماء والماء يسأل

أغسطس 1974

تحولات طرفة بن الوردة

منذ أن مزقت أوراقي أمام الليل واجترت القبيلة
ركضت أشعاريَ العطشى وراء الماء
صرت الصوت يرقص حوله الأطفال والغزلان
والأرض البخيلة
جئت في موسم عرس الشمس لكني تأخرت عن الجلوة
لم أشرب سوى خمر السكوت

قلت :
هل أسكر أم أغسل وجه البحر
هل أضحك في حزن البيوت ؟
باغتتني صرخة القلب
انهضي يا مدن النوم
وهاتي يدك اليسرى فإن الرقص جاء

هل تناثرنا معاً في الماء   واجتزنا القبيلة ؟

أخرجوني من الغمد
ناديت : هذي بلاد تأمر فيها السماسرة الخلفاء
على الأنبياء
هذي بلاد ستأكل من ثديها حرة
وناديت :
هذي بلاد ستخلع أبناءها واحداً واحداً
في الخفاء
ومازلت أعشق هذي البلاد التي قتلتني
مازلت أحملها كوكباً في قميصي
وأقبل أعذارها ، ثم أصرخ فيها
بلادي التي تشبه القتل مدعوة في المساء
لتحضر جلوة عشاقها حرة
ومدعوة لاختراق الدماء المخجولة .

رأيت الذي سوف يحدث   حاورني
ما الذي حوّل الغصن بيتاً
و حولني ضحكة في البكاء .
وحيد وصحرائيّ العشق
مازلت أحلق في الليل باباً ونافذة للحوار
وأبحث عن شاطئ يرسم البحر
مثل البلاد التي سوف أقبل أعذارها

ثم أصرخ

أيتها الأرض لا تخذليني

أيتها المرأة المستقرة في القلب والقيد

لا تقتليني

تقدموا معي . هنا الكلمة التي من آلاف السنين أقف فيها . لم يكن بوسعي أن أجلس . لم يكن بإمكانها أن تعود . كل الجهات معلقة . أنا والكلمة نقطة وحولها يدور العالم . تأتي عصور وتذهب . يتحول كل شيء وقضاة العالم حكموا بأن الكلمة جميلة وطيبة ومقدسة ، لكن يجب أن تقف . صلبوني في حدودها . ليس ذنبي إذا صرت قاسياً كالفراق ، غريباً كالفجأة لقد سحقوني بالعذاب .

وضعوني شرارة في الثلج ومضوا درجة البعد والاقتراب لا تكاد تقاس في حالة انعدام الوزن لكن تقدموا لا أدعوكم ، لكن تقدموا لا أحذركم ، لكن أعتذر عن هذا الحب . تقدموا في غبطة الأشياء لا تتوقفوا كثيراً مثلما وقفت .

الكلمة وأنا وأنتم إذا لم تتحول انكسرنا .

اقرأ بِسْم هذا الدم

ولنسكر معاً في خمرنا الثوري

هذا العرس مفتاح لأسرار الأساطير . انطلق

لا توقف الصحراء سيفاً غارقاً في النوم

أو في الحلم

اقرأ بِسْم هذا الدم

أطفالي حروف تثقب التاريخ تبقى هجرة

في جرحنا الشمسي

تمشي نجمة

تمشي معاً في خمرنا الثوري

لا تفتح يداً أخرى سوى للماء

لا تعط السما لغة

هنا الكون الذي يأتي من الأسماء

والأسماء دامية

لتقرأ ، ولتصغْ رعداً

لتقرأ ، ولتصغْ أسطورة مفتوحة الأبواب

ولندخل معا رقصاً

فهذا الكون هذا الشارع المزحوم بالخيبة

وهذا الـ . . .

....كيف لي أن أفتح الرغبة في نفسي على الخذلان

يا نفسي التي هرمت وتاهت في صحارى العشق

يا نفسي التي تعبت من الألوان

يا قلبي المشرد في محطات البرودة يا . .

هنا وقت تسافر طلقة في الحبر أو في الدم

أحملها وأعرف أن في ثوبي وفي كتبي غرور البحر

قلبي راكض في الليل

خلف الليل

من يعطي لأعصابي دماً آخر ؟
هنا تهتز بين العين والأخرى لغات الطفل
تكبر ، تستحيل الشمس عصفوراً أغازله
وأعرف أن هذا القلب موثوق بحد السيف في كفي
وأعرف أن في خوفي
نوافذ تفتح الأيام .

أمشي على الأحزان . والأشجار
نوافذ للعالم الموصد للأخبار
تنقل صوتي أول النهار
تنقل موتي آخر النهار
في سفري أكتشف الحياة في مرآة
يكسرها الرصاص . والرصاص
مخبأ في كتب الحرب ، وحلم النار
في شفتي أطفالنا يهز هذا النخل
هذي اللغة البخار
يا لغة تحملني في أول النهار
تقتلني في آخر النهار .

أحمل اغتيالي ولا أدري . في المرة الماضية لم أقرأ . والآن ، من جنون الماء وبراءة الخنجر ، أرسلني الخليفة بهذا القتل إلى هنا :
(من الخليفة الدائم ، الذي لا ينام إلا بين فخذي امرأة ، ولا يتوضأ بغير

الدم ولا تخلو سجونه من الشعراء والعشاق ، إلى عاملنا في البحرين ، حين يصلكم حامل هذا الكتاب ، اعملوا سريعاً على قتله من قبل أن يرف جفنه اليسار ، ولتحرقوا ما قال من أشعار ، وأتوا لنا بالرأس والأخبار والسلام) .

هكذا أخبرتني بلادي التي كتبت اسمها في القصيدة
وأعطتني صوتي وألوان حبري
ولكنها شردتني
وحين التقينا قبلت جميع اعتذاراتها
وقلت احمليني يداً للهدايا الجديدة

(هل أنا يا بلادي البتول
هل أنا هارب في الصحارى
وأنت انتظار لقتلي
وأنت طفول ؟)

تبدأ الأرض ،
يطاردني الليل والوحشة المائلة
هل الشعر والعشق جرح
وهل يقتل الحرف أن كان بحثاً عن الأسئلة
يا سماء البلاد الصغيرة يا أرضها القاحلة
لبست قميص الغرابة والدهشة القاتلة
تحولت شوكاً بأحداقهم في الصباح

وناراً وثلجاً وبابا

فلم يفتحوا لي كتابا

وقاومت قوساً من القهر والاحتضار

فتحت النهار

وما متّ يا قلب هذي البلاد الصغيرة

يا دمعة سائلة .

كوني في اللقاء وردة تسكب ضوءَها في أرجائي . أمنحك الحب .

حبي والسجن طريق مزروع بالوحشة والانتظار .

كوني في هذه الصخور المسنونة وردة أو لا تكوني .

شارد ، شهوتي العنف . تجرع لغتي .صرخة في الليل في الصحراء ماء

كنت مرسوماً على الضوء ، وكنا نشرب الضوء معاً

قلت تاريخي رماد وتراثي دميَ المخلوع

كان الطقس يحمل رؤية الآتي

تقدم

لا تقف في الظل

كان الطقس يحمل جثة للبيت

يطرق كل نافذة ويدخل ساطعاً كالصوت .

من سمّاك مقتولاً ولا تقرأ

من أعطاك قتلاً قبل وقت العرس

هل تقرأ لون القتل في الصفحة في كفيك

في الدم الذي يفصد أو يركض

فوق النهر أو في . . . ؟

أقرأ الآن عناوين السجون
وتواريخ الفتوحات التي تغلق أبواب الدخول
وليكن صوتيَ جسراً
يا طفول
طرقة الآن براق يكسر السقف السماوي
ويعطي الرعد إذناً بالنزول
فافتحي شباك زنزاناته العذراء
كي يجلس ضوء البرق في عينيك
يأتي طرقة الآن وبعد الآن في ماء الحقول

(من الذي يقرأ هذا الرمز والإضاءة
من الذي يصيّر التاريخ قطرتي دم
من الذي يحوّل الرماد من نار إلى براءة
من يعرف القراءة ؟)

لما جاءني الأصحاب
لاقوني قتيلاً فوق نهر الخمر
شالوني و أعطوا ساعدي المقطوع تفاحاً
وخلوا وردة في الصدر
لما قمت لم يبق سوى التفاح
أين الورد

هل يأتي مع الأصحاب ؟

يجئ دمي في البريد البطيء
يستنفر الماء أطرافه
والجزيرة زوادة للمرابين
جيئوا كما يحضر الحلم قبل الصباح .
وقفت قائمة الشمس على أكتافنا في الفجر
لكن الظهيرة
صهرت آخر تمثال من الشمع حوالينا
وكالماء انسكبنا .

لم يكن طرفة هذا الرمز في هذي الجزيرة
دخل الصحراء كي يزرعها شعراً وأطفالاً
وجاء
نقطة الأرض التي يغرس فيها السيف
لم تفتح له باباً ولم تصغ إليه
لغة مكسورة القلب تحاوَرْنا بها
ورسمنا شجراً فيها وزيتنا السلاح
وتصايحنا لأن الليل دهر
هل تأخرنا ولم يأت الصباح ؟

لقد صاغوا لنا تاريخاً من الكذب ، يولد الشاعر ولا يعطونه الفرح لكن يعدون له السجن والنعش والمقصلة ويقولون (لقد كان) .

هل أسمي غربة الروح التي تسكنني حلماً
وأحتال على الليل لكي يمضي ونبقى أصدقاء
هل يظل العوسج الشوكي مرتاحاً على نحري
وادعو للغناء
هل أقول الشعر و السيف الذي في الحلق
مسنون بعظم الشعراء
هل أنا في وحشة الصحراء مشدود إلى الشمس
بأي دون ماء
هل أنادي الفقراء .

إنها آخرة الأرض وبدء البحر
هاتوا الخمر ولنرقص معاً
هاتوا الغناء
ساعدي جرح وخصر الوطن الراقص في صدري عرس
وطفول
خمرنا الثوري فلنشرب معاً
حول الصحراء حقلاً صاخباً يزهو
لكي نبقى معاً

يعبر الوردة والنهر ويقرأ
اقرأوا ، فالدم تاريخ
مشى طرفة مقتولاً وعيناه كلام
شجر يرتعش الحلم على أغصانه قبل الظلام

شجر
في كل يوم تقتل الراحة من يمتد في الصمت ولا يقرأ
يأتي بغتة
أو سوف يأتي أو أتى كالوقت
والوقت سلام .

ديسمبر 1973

نكهة الرعد

فجأة صار انتصاري خشباً في النعش ، صار النعش باب
وتساءلت عن الموت / هل الريح طريق ، والتراب
كيف .. ؟ / هذا شجر الدهشة في ثوبي
(هاجرت الثياب)
قلت من أين دمائي ؟
صوت هذا الشارع المزدان بالصحو ، وبالعنف
وغادرت الغياب
وأنا في أول الحلم / استحلنا غضباً
سرنا وصرنا صرخة في غابة النوم
ابتدأنا في نهايات الوقوف
تذكرون ،
قلت هذي الرئة الأخرى لهم ، هذا الرماد
تحته قنبلة موقوتة ، هل تذكرون ؟

أعرف الإيقاع ، أستنفر ، أعطي ، وأنا حلم العيون

(علمتني لغة البرق
دخول العصف والرقص
وأعطتني الحنين)

أعطني ساعدك الدامي ، أنا الطفل
وأنت الحلمة المنتهية
شعبي المرتعش الملدوغ من كل الجهات
أعطني كل أغانيّ ، وأعطيك اللغات الهاربة
يا زمان الضحك والجوع أتينا
رافقتنا الجهة المختصرة
وحديث الشجرة
نحن من فاكهة الرعد وغصن الشمس ، نحن الثمرة
(أسأل الأرض ولكن السماء
سقطت وانكسرت ، صارت دماء)
يمطر الطل نحيباً في ضلوعي ، والبيوت
فرح في أول العمر / جلسنا في جدار الوردة الحمراء
غازلنا تواريخ القيامة
وتبادلنا حمامة
ريشها اللون الذي لا ينتهي
بيتها في آخر الصيف ، وحد السيف بيتي
اشتعلنا

(كلب العرّاف في القصر

وحاء الرعد في كوخ على ملح الخليج)

نحن في عشق العذارى والغصون

يا زمان القتلة

شارد من زَهْو الوالي وتقويم الخليفة

- هل تراقصنا وكنا جهلة ؟

كنت لا أقرأ غير الرمل ، لا أعرف لوني

اعذريني ، خائف من لعنة الحزن عليك

اشتعلنا

عندنا نافذة للخوف / عندي لعنة النار

وصوتي رحلة متصلة

ينبغي أن نرقص الآن على الإيقاع

أعطوا صوتكم صوتي ، ونادوني إلى العزف

تعالوا

ينبغي أن نحسن الرقص على رسم القصور الزائلة .

ألبس الشمس / اقتربنا عنك يا أخبارنا / هل عانقوني ؟

فجأة أصبحت في الحلم / ولي غصن العصافير

وعندي كلمة السر

ترجلنا عن الجسر القديم

دخلت أطرافنا في الضوء

وارتاحت / قتلنا مرة أخرى بلا جرم

وأعطوا لحمنا للطير (هل رافقتموني ؟)

وليكن قيديَ سجّاني جنوني

خشباً للدفء ، هذي حلبة الرقص / ومن باب الجنون

تدخل الثورة أسمالاً وأطفالاً / لدينا كلمة في السر

أنتم

ولنكن سوسة هذا العصر / هذي المهزلة

ارفضوا أن يضحك الطفل من الحزن

اخرجوا يا فرحة مقتعلة

(هل ستعطينا مخاضات الغراب

قمراً أو قنبلة ؟)

حين صارت يدنا الجسر – عبرنا

واخترعنا لهجة يعرفها التاريخ / أصغوا

يكتب التاريخ صوتاً / لهبٌ صوتي /

اتصلنا بجذور الغيم /

شادوا من عظام الناس أقفالاً / تطاولنا /

ترى هل أسكنونا الوردة المنفردة

والزوايا الباردة ؟

قلت : لما يجيء الوقت ، وجاء الوقت .. جاء

تكلسوا في المداخل . اعتقلوا . اغتالوا . صدرت مراسيم الخوف .

واتكأ الحكم على مقصلة . من يرتق الفتوق الكثيرة ؟

عندنا خاتمة الرحلة /أمشي

معيَ الريح وعصف الجوع / أمشي

جهتي قامة يكتبها الجمع ، يغني لحنها الأطفال
تمشي معنا الريح /
هل الدهشة في ثوبي / هل في شجر العشق تجمّعنا
وهل في ورق الورد
(اشتعلنا
علّنا نستغفر الرغبة في الرقص ولغم الموت
هل ...؟)

أبريل 1972

وقت الحلم الأول

قولوا

من يعطي هذا الوقت الواقف صوته

قولوا

من يأخذ عن هذا الغصن الطالع موته ؟

من منكم يا أبناء النوم الساطع يخرج من دائرة الصوم

ويرج حياد الماء علانية ويفارق صمته ؟

أنتم يا رئة الله المائلة اللون

يا زمن الحلم الراجع خلف رماد المكون

هل يعرف هذا الحجر الجالس ما بين الكتفين

حدود الحلم الأول ؟

يا حجر الماء الأول

سأقول الليلة حلمي الآخر

يا أبناء الحلم الأول

يا منشغلين بغزل قميص الحلم الأول
فضوا سيرة أبنائي
ودعوا صوتي المكسور يقول :

هذا الوقت المصلوب على صدري وقت مجنون
وأنا منتشر كالمطر الأخرس من خمس سنين
وقت جامح
غطوه بصبير الحلم الأول
وانفتح الجرح الأول
تساقط أغصان الشمس على الماء
وترسل أوراق الليل نشيج الأسماء
يترجل حبر الرغبة في الصوت الصارخ
ويكاد الرمل الأصفر يذبحني
وأنا منتصب كحروف النفي
قدمي الأولى في قبر الحلم الأول
قدمي الأخرى في وطني
ويكاد الرمل الأصفر يذبحني

قولوا
من منكم لا يلمح صورته في قاع الكأس
من منكم لا يتذكر تاريخ ولادته
وطول أصابعه
وملامحه منذ الصحوة حتى الرأس

في كل خيوط الثوب أراه يلوح لي جرحاً
وأراه ملوحة هذا الكون المائل
انتم يا أبناء الحلم الأول خلف الباب
وأنا في حلمي الآخر منذور دون جواب
وأنا السائل
إن كان النوم ، الراحة ، حبل السرة
أطراف الفعل البارد ، غفلتكم
وتراث الميلاد ، وطعم الله
إن كنتم منسجمين معاً
إن كان الجلس ، والصحف الصفراء ، ونهر العمال
يصبون الأحلام معاً
إن كنتم مقتنعين بأن الشمس غداً
تشرق باسم القانون
إن كانت أقدام الطفل تضيع بأحذية السلطان
وأن الطلقة ضائعة مازالت تبحث عن عنوان
إن كنتم منسجمين معاً في نوم الحلم الأول
والنوم صلاة الزمن الواقف
لا تنتبهوا
سيجيء زمان الصحوة يا أبناء وحيد القرن
يا قوماً إن ماتوا انتبهوا
هذي الليلة أولها غيم أسود
آخرها مطر أخضر
هذي خاتمة البدء ونحن القطرات الأولى

فليمسح كل منكم قطرات الدمّ عن الياقات
وليدفن موتاكم موتاهم
في ظل سلام الليل الوطني
حين خرجت جريحاً من كهف الحلم الأول
عانقني الرمل الأصفر بالحب الغائص في الحقد
بالحب الطفل المقتول على مائدة الإفطار
يا أصحابي المرتاحين على تابوت الثوار
مابين حدود خناجركم وخناجركم قوس مكسور
من أعطاكم لغة تمشي في لهب الماء
من وحّدكم في قبلة عند الأعداء
من حوّلكم يا أصحابي رملاً أصفر
لا تلتفتوا خلف سرير الراحة
حين تعود الشهوة للأسرار الأخرى
ينفجر الوقت المنتظر الآن على طرف العمل
قوم إن ماتوا انتبهوا
لا تنتبهوا حتى الموت
هل أسمع خطو الخشب المخلص في التابوت
هل تحمل شرفة أطفالي دمع الأحجار المرخية
فوق النار
يا أصحابي
حين تركت الكهف الحلم الأول في صدري
سيف السلطان
وفي إيقاع الشعر هدير الرايات التعبى

وطن يبكي
موسيقى النعش وحقد الخيبة
والأطفال المولودون قبيل الموت
وطير الغابات المحروقة لا ينقذه غير الفعل
يا أصحابي
يا من كانوا
يا من بكت الأيام علينا في حضرتهم
حين يغوص الثائر في خطأ الأحلام الأولى
تمشي الأحلام ويبقى الثائر مقتولاً
يا أصحابي
يا من كانوا
يا من حولّهم حقد الحب النائم
سيفاً آخر في ظهري
يا أصحاب الراحة فوق توابيت الثوار
هل أسألكم
من ينقل هذا الوقت الواقف عبر الدم
من يعرف – يا أبناء اللغة الملعونة –
حجم الهمّ ؟
قولوا يا منشغلين بصقل مكاتبكم بأنين الشعب
من يدفع أيديكم بالسيف الآخر في الظهر
من أية أرض تأتي رايات اللعبة
هل تجرأ يا قنديل الرعب
هذي شرطة والينا حاضرة مثل الوقت

هذي كل جواسيس السلطان الأول صاغية
تلعق من عمر الأطفال
تسمح أو لا تسمح بالتحريض على اللعب
تسمح أو لا تسمح بالضحك على القانون
من يضحك في السرّ يموت
فلنملأ قاعة هذا الليل الباكي بالضحكات
ولنسرق فرحتنا الأخرى بين الأحزان
فليتعلم أصحابي
أو من كانوا
أن الكلمات الملعونة جرح في حلم الإنسان
لكن الفعل دواء لا يخطئ
إن كنتم منسجمين معاً
فالفعل دواء لا يخطئ
قولوا
من منكم يا أبناء وحيد القرن
من يعطي هذا الوقت الواقف لونه
أسألكم
من يعطي هذا الشعر الصارخ في البرية وزنه ؟

مايو 1974

زهرة الحزن

هذه الهاربة العينين والجرح الذي يضحك

أمي

هذه الخاصرة التعبى من الحزن وبرد

الجهة الأخرى ومني

هي أمي

هذه الثلجية الفودين

من حوّل هذا الليل قنديلاً يغني

آه يا أمي

لقد أعطيتني صوتاً له طعم الملايين

التي تمشي إلى الشمس وتبني

كنت في صدرك عصفوراً

رمته النار ، سمته يداً تخضرّ

ها عصفورك الناريّ في السجن يغني

أنت يا هاربة العينين والجرح الذي يضحك

غني

ليس بين الضوء والأرض التي تمشي وتختار وبيني

غير هذا الأفق المحمر والوقت وأمي

آه يا أمي التي خاطت لي الثوب بعينيها

لماذا لا يمر الثوب بالسجن

لماذا لا تخيطين لنا أثوابنا الأخرى

تمدين المناديل التي تمسح حزني

ولم الرعب الذي حولني شعراً

على جدران سجني

لا يحيل الشجر الشوكيّ في أحداقك التعبى

عصافير تغني .

آه يا هاربة العينين يا العرس الذي يبكي

أنا منك كلام طالع كالبرق من ليل الأساطير

وأنت وردة العمر التي تطلع مني

فلماذا يهرب الحزن إلى خديك يا زهرة حزني

ولماذا . . . ؟

(وطن يلبس قبل النوم تاريخاً

وبعد النوم تاريخاً ويستيقظ بعد

الموعد المضروب لا يعرف باباً للدخول

وطني هذا أم الدهشة في خارطة

البحر استوت رملاً ، لماذا ،
وطن يلبس عنوان السلاطين وسروال الملوك
وطني هذا أم الثورة صارت نَهراً للدم
هذا وطن لا يخجل الآن من الألوان
والصورة بالأسود والأبيض
هل يذكر ؟ هل تختلط الألوان
في عين بلادي ، هل أقول ؟
وطني الآن بلا نافذة
يدخل السواح من باب على السوق
يبيعون بلادي
وأنا منفلت أبتكر الأطفال والشعر
بلادي تخلع الأستار في الليل
كما قال صديقي
وصديقي كان لا يخجل من عورات
هذا الوطن الواقف في الحلق
لماذا تخجلون ؟
وطن أتخمه الجوع فهل تأخذه الغفوة
وطني هذا أم الغربة أم قائمة البحر
أم الغاب أم القافلة الغاربة الآن
أم الأم التي تنسج ثوباً للمسجون ،
والتي تدخل في وجه بلادي في المساء
تخرج الآن مع الحلم ،
وهذا وطني هذي بلادي هذه أمّيَ

لا ادري حدود الوطن الأم

البلاد) .

لك يا هاربة العينين والجرح الذي

يرقص في الحزن أغاني الجديدة

أنت في ذاكرة التاريخ ورد عاصف يأتي

وفي السجن قصيدة .

سبتمبر 1973

قلب الحب

(1980)

يا حبيبتي

كشحاذ
أضع جبهتي على عتبة باب الكلمة وأنتظر
منتفضا كعصفور
لعل الكلمة تخرج من صمتها
وتعطف على تضرعي
لعلها تتبرع لي بمعطف يدفئ أيامي
أو بقميص صغير
يغطي هذا الصدر المفتوح للريح كراية
وحين أحرك رأسي بعد حين
تتحرك عتبة باب الكلمة من جبهتي
والكلمة واقفة كطود شاهق
يا حبيبتي أرجوك .

أنت كلماتي

أنا لا استطيع أن لا أكتب عنك
ليس بوسعي أن اتفادى الكتابة فيك
أنا حين أكتب عن الأشجار والسفن
والعمل والأصابع
ليس لك أن تغيبي عن كلماتي
لأنك أنت كلماتي
هل بوسع الكلمات أن تكتب
بدون الكلمات ؟ .

النخلة

شامخة كالنخلة أنت

والشال الأخضر الملتف حول عنقك كالفراعين

يجعلني أكتب رسائل كثيرة

أبعثها لك ولكن معظمها لا يصل

ولا أعرف ما الذي يحدث عندك هناك

في ربيع شالك الواقف على الجهات

أية قناديل مكتنزة تزهو هناك

سأنتظر إلى الأبد

من أجل أن تصلني جوابات رسائلي

وبعد الأبد

سأقف على سيقان السكر

وأحاول

أو انني سأهز جذعك المتطاول
وأنثر حضني
أستقبل غرور النضج .. في قناديلك .

الأطفال

أولئك الأطفال الكثر
الذين يتراكضون في مداك
هل اخترت أسماء لهم
أم أنك ستعتمدين على الحدائق ؟

أولئك الأطفال الخضر
هل سيصعدون من أعماقٍ
أم سيهبطون من أعالٍ ؟
أولئك الأطفال الصغار جدا
إني أراهم الآن كالأسماك الملونة
في زجاجة المدى وأنت مأزعم •

أنتَ الموسيقى وأنا الرقص

كالرقص المتمرد في السهول الزهراهة
أتموج   وأنت موسيقاي

ينداح معي الزرع وتنهض الزوبعة
وتتهد الحلمة الراعفة في خطواتي
أمشي   ليس على الأرض
أطير   ليس في الهواء
فأنا الرقص
وأنت موسيقاي .

الميزان

تذكرين ؟!　　　يومها كنا معا
حين غنيت لشدة نشوتي بك
لو أكون مثل　(فان جوخ)　مجنونا
لكي أهدي إليك إحدى أذنيّ
فضحكت كنجمة تكبر كلما استغرقت في الضحك
تذكرين ؟!　　　إذن تأكدي أنني حققت أمنيتي الآن
وصارت الأذن هدية إليك
هي ليست لي　　ليست عندي الآن
أما الأذن الأخرى
فإنني لن أبخل بها عليك　　إذا رغبت
أرجوك　خذيها قبل أن تذهب
تعالي ستكون ذكرى طريفة
لأنها ميزان شاعر .

كلهم

كلهم قالوا أن لا فائدة
كلهم قالوا إنني أحاول الاتكاء على غبار الشمس
و إن الحبيبة التي أقف أمام - تحت
شجرتها لا تطال
كلهم قالوا إنني مجنون حين أضع نفسي
في حضن بركان و أغني
كلهم قالوا إن ذلك الجبل الثالج
لن يعطيني كأسا واحدة من النبيذ
كلهم قالوا باستحالة الرقص بقدم واحدة
لأنها لن تلبي دعوتي
كلهم قالوا إن السهرة ستكون بلا أنوار
كلهم قالوا وكلهم حضروا الحفل .

لا أنحني

أقف عاريا في ثلج الريح
وحيدا
كحرف الألف
ولا أنحني
أتمرد على كل الآلهة
ولا أنحني
أخرج من نار وأدخل في نار
ولا أنحني
أعتقد بالتقاء النقيض بالنقيض
ولا أنحني
أمتزج بالرماد
ولا أنحني
لسواك .

ولا أموت

أنت فضيحتي
ولا أستطيع أن أخفيك
كالجرح النازف وأنت دمي
كيف أخفيك ؟
كالبحر الغاضب وأنت موجي
كيف أخفيك ؟
كالفرس الجامح وأنت صهيلي
كيف أخفيك ؟
كالخفق الخائف في قلبي
كيف أخفيك .. ولا أموت ؟!

من كان يصدق

من كان يصدق
أن تلك الصبيـة الغامضة الخارجة من الملح
ستلعب بي هكذا ؟
من كان يصدق
أن نبيذا منسيا
سيحرق شفتي بوجمه هكذا؟
من كان يصدق
أن البنت المزروعة هناك
والولد المرمي هنا
سيلتقيان في شراسة الاقتتال
كثمرة وجمر في أجمل الغابات؟!
من كان يصدق
؟!

خميس العصافير

كان ذلك خميس العصافير

حيث اتخذت تلك الطيور اللذيذة

قميص أحد الرفاق موعدا لها

وتذكرتك

لأن عصافير كثيرة

كانت تتناول طعامها من أصابعك

وأنت في النوم

وحين تنهضين   تنهض معك العصافير

كالملائك الصغيرة حول عروس

وأذكر أنك صادقت طيورا   ذات ألوان مختلفة

في تلك الحديقة الصغيرة

التي تمنينا كثيرا

لو أنها توجد في دارنا .

ولا أجدك

أتحرك في كل الاتجاهات
كسمكة انتشلت توا من الماء
تأخذ شهقتها الأخيرة وترتعش بجنون
أبحث عنك ولا أجدك
أضرب الهواء بأطرافي
كطفل محمول من وسطه وهو يصرخ
أبحث عنك ولا أجدك
كغزالة تنتفض تحت وطأة حربة وحشية
أتحرك في كل الاتجاهات
أبحث عنك
تعالي إلي
- إذا تأخرت -
أتحول .

الغزو الأليف

يتدفق الغزو من أصابعك

حين تمرين بها على طرقاتي

وأظل مستغرقا في ترفك السماوي

وأنت لا تعرفين البخل

وحين تنفر أفراسي في جميع حقولي

تفتحك كل نوافذك هازئة مني

من قلقي إزاء الاستفزاز الجميل

الكامن في فيروزك الفاره

لكن أفراسي تتمسك بهجومها

وأبوابك

– وطنا جميلا للعصفور الغريب

الباحث عن الدفء –

تنفتح كأشداق تقبل

وحين تتحول أصابعك الأليفة إلى أظافر ضارية

تتجول في دمائي

نلتحم اقتتالا وتصير الهزائم انتصارات لا تضاهى .

الهديل.. الهديل

الهديل وحده يعرف
كم أنت غنية بالرحيل
مسكونة برهبة الغربة
الهديل وحده قال لي
(لقد غامرت بحياتك
حين وقعت في غرام كهذا)
والهديل وحده علمني بطرقاتك السرية
وأعطاني كلمات السر
التي تفتح لي بوابات الرهبة
والرغبة
والغربة

والهديل وحده تركني وحدي .

ولا يزال

اذكر جيدا ذلك الشارع الذي مشينا
وخلف خطواتنا
كان ينبت ريف من الزهر الأحمر
وحيث تلتقي كفانا في لهفة يولد عصفور أزرق
ونعطف على الأرصفة التي كانت تبكي كالأطفال
تنحني ونمسح بكاءها
اذكر أيضا
مقاعد كثيرة انتظرت جلوسنا
فتحت أحضانها لنا
لكن الشارع كان شارعا
وكانت لنا أقدام جائعة
أذكر جيدا أن الشارع كان طويلا وجميلا
ولا يزال .

القرط

يا رحلة القرط الطويلة
ذلك السفر الذي بدأ ولم ينته بعد
بين شرفة الأذن وساحة الكتف مسافة وزمن
القرط دمعة تتأرجح ولا تسقط
يا لعذاب القرط يا لعذابي
هو يتوق لسرير الثلج
الذي يشتعل في الأسفل
يتأجج هناك ينضج ولا يصل
وأنا أتوق إليك
أستفسر عن طريق التحول
لكي أصل إليك
ولا أصل
آه من عذاب القرط في قلبي .

قيامة

مرة – أذكر –
من سنوات طويلة
قلت (أحبك)
ومن ساعتها – تذكرين ؟! –
قامت القائمة
ولم تقعد بعد .

كالأبيض

من الأزرق تخرج عصافير كثيرة
تنقل في مناقيرها مناديل ضاحكة
ومن الليلكي تتثاءب أقمار أتعبها السهر
تغسل خديها بماء الصحو وتبدأ في العمل
من اللازوردي تتدافع أحلام الشعوب النشيطة
تسرج فرس اليقظة وتبدأ في التحقق
من الوردي تتباهى الشهوة
تطوي رايات الخجل
وتنشر ألوية الأحمر وتكسر القاعدة
من سرور عينيك أبتدئ أنا كالأسطورة
أتلفت
لا أجد سوى سيوف مرتعشة
كغابة أغصان في عاصفة

وحين يهجم بكاؤك تجرفني السيول
فلا تسعني السفن ولا السواحل
وأشتاق إليك كالأبيض للألوان .

بحرية أكثر

بِحُرِيةٍ كنت أقيم علاقتي مع الكلمات
وفي محبرة جحيمك اللذيذة
أغمس ريشاتي واكتب
وكنت أول من يقرأ نزيفي
وبغتة
أخذوني من أحضانك
منعوا عني أقلامي وأوراقي
أبعدوني عن كتبي
وعن دفئك الذي يجعل كلماتي أكثر جمالا
فوجدت أصابعي تتلمس
– في ظلامات الزنزانة –
طرقا تتوهج
وتؤدي إلى الكلمة

ولم أعد في حاجة إلى الأقلام والأوراق
صارت قلوب رفاقي دفاتر تقرأ وتحضن
وبحرية أكثر
صرت أقيم علاقات مع الأفق
وحين أكون في البحر أو في الصحراء
في الغابة الحجرية
أو في الغيبوبة
لا يفارقني الشعر
لا يحتاج الشاعر سوى لشوق في القلب
من أجل أن يتدفق
وأنا لست في حاجة لشيء سواك
فأنت شوقي المتأجج كالألق في كلماتي .

من حيث بدأنا

نبدأ هكذا

من حيث تبدأ الأقدام

ولكننا لا نصير إلى ما نصير إليه

لطرقات دموعنا همهمات تختلف

لمنحنيات انتظارنا نكهة الأحمر

وإيقاع الأخضر

تتمشى

أصابعنا في المناديل

تكتب عصافير كثيرة على قلوب الذين احبوا

وتزرع أقواسا قزحية

في محطات الذين لم يحبوا بعد

تلمس أحجار الطريق وتحولها زمردا

وحين يغفو عشيق في كتف العشق

ندفعه   فيقع في الشغف
وبعد ذلك لا يهدأ له ليل ولا تسعه النهارات
من حيث بدأنا   سيبدأ الآخرون
لكنهم لن يصلوا إلى حيث سنصل .

ليلة الليلك

ماذا قال الجيران عن تلك الليلة ؟
حيث فاض الليلكُ من نافذتنا
وسالَ في شرفاتهم
ماذا قال الجيران
عن ذلك الليلكي الذي ظل أسبوعاً كاملاً
لا يكفُّ عن البكاء
حيث لم يكن غاضبا
ولا متألما ولا كئيبا
ولكننا ليلتها تراهنّا على :
من يرسم ليلكا أكثر من الآخر
أنت أم أنا
كلانا هُزِمَ وفاز الليلك .

الأعلى

في السرير الذي أعلى من الغيم
كان النوم لا يأتينا
النوم قصير القامة
ونحن في الشهق الشاهق

في السرير الأعلى
حيث منبت المطر وحيث لا نوم
كنا نصنع الأطفال كما يحلو لنا
نرسمهم .. نلونهم ..
نكسوهم .. نعريهم

فوق السرير الذي أعلى من الأشياء
نعلمهم المشي فيتدافعون كالسكارى

من الخمرة التي أحلى من المطر

في السرير الأعلى
حيث لا يطالنا النوم القصير القامة
نخلق   ونخلق
ونتفرج على المطر . . من هناك .

مأدبة البحر

..فجاءنا بكل أسماكه وأعشابه
وقواقعه وأمواجه
وكثير كثير من الملح
وكان العشاء جاهزا
هل جرب أحدكم أن يدعو البحر على العشاء ؟!
كان علي أن أفعل ذلك
فقد كانت حبيبتي تحب البحر
إلى درجة الغيرة
وفي غمرة الغضب
وعدتني أنها ستقلع عن البحر
إذا دعوته على العشاء لمرة واحدة فقط
..فجاءنا بكامل حلته
فتحولت الدار إلى سواحل

وكنت أتجرع غيرتي قدحاً قدحاً
فيما كان البحر يعلم حبيبتي العوم
وهي تفتعل الغرق في كل مرة
وقبل أن يتفجر الجحيم في رأسي
جاء من يطرق الباب :

على البحر أن يذهب
لأن السفن معطلة عن السفر .

واسترحت في وداع البحر عند الباب
قال : عشاؤكم طيب ومقبل .
وذهب .
وحين دخلت إلى حبيبتي
أسأل عن وعدها لي
وجدتها قد أقلعت ولكن في البحر .

في العشق

في الشلالات
التي توزع حكايات الخطوبة والزواج
التقى عاشقان
اختارا لهما حكاية تليق
لكن
لم تأت كل الخواتم على مقاسهما
ولم يجدا سريرا يسعهما
ولم تعجبهما موسيقى من العزف
لذلك عادا إلى ذلك الشلال
وأعطياه حكايته التي لم تكن مناسبة أبدا
لم يدخلا في الخطوبة ولا الزواج
ولكنهما ما يزالان في العشق .

ربما

ربما يصير الانتظار شجرة
أو نافذة أو سحابة
ربما يدخل انتظاري في الليل والسؤال والتعب
ربما يمتزج انتظاري بالريح والحرف والحنين
ربما يختلط انتظاري بالنوم والنحلة
والنخيل
ربما
ربما
ولكن من أجل النيلوفر النافر في عينيك
سيأتي المشمر والمطر والراحة
والجواب والعاصفة والقصيدة
والحلم والعسل والبلح
من أجل النيلوفر .

ألهث

ألهث . كالسهم خلف الهدف
ألهث . كالحقيبة في الأسفار
ألهث . كحرف في نهاية الكلمة
ألهث . كالكبرياء في الكوكب
ألهث . كالبكاء المتعب
أقول لك كلمة الحب قبل فوات الأوان
وأنت تلعبين بي وبلهثي
وبالوقت الذي يلهث معي
هل تسمعين أيتها الغرور اللاهث :
أنت قلبي .

الحبيب

إنه يستعد
يؤطِّرُ صورها بشرائط الشمس
ويصوغ هدايا صغيرة
صغيرة جدا أحيانا
كأنه سيعبر من ثقب
يؤلف قصةً ثم يفك غزلها
ليغزلها من جديد
يحلم بجزر وساحات ومدن وشواطئ
وسهرات وعناقات طويلة
يهيئ لها كلمات جديدة
جديدة جدا أحيانا
كأنه يتعلم اللغة لأول مرة
إنه يستعد .

ليحمل لها كل عمره

وكلما استعد أكثر للبقاء

اتصل أكثر باللقاء .

شجرة الماء

رأيت الشجر النظيف بعد المطر
مغسولا قبل لحظة
فرأيتك خارجة من الغسل
ملتفة بالأخضر الخجول
والأسود المتسول يتدلى كشال فوق رأسك
أطرافه هنا   أطرافه هناك
تبكي بوجع الماء
رأيتك يا شجرة الماء الأخضر هكذا
فهيأت لك دخولا في الغسل ..
كل يوم .

من التهدج

أتكئ على كتف الوجد

خارجا من التهدج

أعلن لك يا حبيبتي :

أن الموت لا يقتل العشاق

كنت أسمعهم يقولون

لكنني الآن عائش في التجربة

أترك أعضائي المتعبة على كتف الباب

وأقرأ صهـوة السكوت

هذا صمتي الذي يسبق عاصفتي

فإن لم تطلي أيتها الحبيبة المغرورة

على العاشق الذي في غلوبة العذاب

سوف يطلع مارد من هذا الجسد الصغير جدا

كما لو كان قمقما .

من الرماد

نيران كثيرة . . و أرق

ماذا يريد الأرق مني
وماذا تريد النيران ؟
تركت لديك قلبي
فماذا فعلت به ؟
ماذا فعلت
فجعلت الوقت يزأر ويصهل ويغرّد
والليل يأرق
والنيران الكثيرة تغرق قمصاني
دعيني أقول لك الحقيقة
أيتها الحبيبة . . يا أرقي ونيراني :
ماذا ستفعلين بعاشق من الرماد . . غدا ؟!

رجاء

كيف لهذا الجسد المريض أن يتحمل حبك

أليس بوسعك أن تخففي ثقل الورد على أكتافي

فقد أنهك حبك جسدي

وأرهق الشوق المتأجج أطرافي

ساعديني

لم أعد قادرا على احتمال حب لا يرحم

إن الموجة القادمة كجبل .. ستأخذني

وأنت ميناثي الوحيد

لماذا تنظرين إلي بغرور .. هكذا !؟

لماذا

..وأقف كالمذهول هكذا

أستعد للقائك كما لو أنه امتحان صعب

أختلس جملا وموضوعات

وأردد كلمات مصاغة من لغات كثيرة

وأحسب الخطوات التي سيطلع فيها بستان فسيح

إلى أن أصلك

واللحظات التي ستمسك يدي بيدك

وترتاح فيها

واللجهة الليثة البطولية المتضرعة

المهيبة العاشقة الصديقة

التي سأخاطبك بها

وفي لحظة اللقاء أندفع إليك بكل بسالة

لكنني أمامك .. أقف مذهولا .. هكذا.

تاج الحزن

يا تاج أحزاني
إذا تأخرت رسائلك
اثق أكثر بأنها ستصل
وحين تتأخر أكثر
يصير انتظارها جميلا جميلا
كما الأطفال حين يولدون
وعندما تنقطع رسائلك عني
أقع في الذروات العديدة لنضوج توقعاتي
وأقترب من الاعتقاد
بأن فرحي برسالتك القادمة كفيل بقتلي
فأظل أنتظر مقتلي .. بوجل لذيذ .

تصوري

يسموني فأر السهرة   تصوري
ما ذنبي إذا كنت أفشل دوما
في السيطرة عليك في داخلي
ويقولون إنني فأر السهرة
تصوري ما الذي يحدث في الليل
حين ينام الرفاق
أحسك تتداحين هنا .. هنا
كالموجة العظيمة في قلبي
كيف يمكن إخفاء ذلك ..
أو السيطرة عليه ؟
ساعتها ألتصق تماما بقلبي
أحضنه وأنتفض معه
ونتكوم معا على إبرة الأزرق

نحدث أصواتا رفيعة   رفيعة جدا
بحيث يتحول صمت الليل إلى ضجة
وواحدا   واحدا
يطل الرفاق من أحلامهم
ويعتقدون أن فأرا يستفرد بقطعة الخبز اليابسة
وفي الصباح
يكتشفون أنني كنت ألقن الشعر ..
درسا في اللياقة
فيصرخ بي أحد الرفاق ضاحكا :
أيها الفأر الذي يسهر متأخرا ..
هلا سهرت أكثر ؟؟ .

سبحانيات

سبحان اليد التي رَمَتْ اللهفةَ في قلبي
فبدوتُ كسفينة صغيرة مثل صدفة
واللهفة شراع كبير كجبل
وسبحان الموجات التي تحملني إليك
سبحان المزاج الرائق الذي خلقك هكذا . .
من كرمة العنب الأزرق في تنورة ليلكية
وسبحان المنجم الذي سيسقي أضلاعي زجاجا راهيا
فأصير قدحا ينتظر
سبحان الفراشة التي تخرج من الشمس
وسبحان الحرف الذي يخرج . .
من اللامبالاة إلى المبارزة
سبحان الحب
الذي أخرجني من سبحانياتي .

غيرة

تملكتني الغيرة من هذه الموسيقى
التي تأخذ أرديتها من خزانتك
وتباهي بها
كأننا لا نعرف الحقيقة
كأننا غائبون عن الوعي
أيتها الموسيقى الراكضة في قلوب العشاق
انطقي
من أين لك هذا الشال القزحي المتأجج
إنني أحبك
لكن أين صاحبة هذا الشال الأجمل ؟؟

الفندق المجاور

مرة .. ضحك الحزن مني
لكثرة الغرف التي استأجرتها في بيته
ضحك .. ضحك حتى استلقى على قفاه
ساعتها انحسر ثوبه عن أنهار هادرة
من الدموع
وحين اعتدل
وجدني أقف على باب الفندق المجاور
فقد كان حزن جديد ينشر صريخه في قلبي .

قراءة

افتحْ كفَّكِ   وأقرأ
لا أؤمن بذلك . . لكنني أؤمن بك
لذلك أقرأ في صفحة كفك
آه
يا لها من عوالم لا تصدق
هنا . حيث جذر الخنصر
أرى المقعد الأسود الذي يسهر بي . .
وبثير غضبك
وهناك . . هناك
حيث تتقاطع طرق عديدة
أكتشف شجيرة النارنج . .
تجلس تحتها فراشات صديقة . . زرقاء
تتناول حليبا بالقهوة   ثم تنام

وفي بؤرة الكف أراني عاري الصدر

تمسك برقبتي طفلة جميلة

ترتدي لباس البحر

وعند محطة السيابة تنتصب سرادقات كثيرة

لا أستطيع الحدس بها !

هل للحزن هي أم للفرح

من السرادقات يخرج عصفوران يرعشهما البرد

يختبئان في كتفي

أغلق كفك

العصفوران مازالا على كتفي

وأنا مؤمن بك .

الحبيبة

صادقَتْ أسرار الموج
واتكأتْ على هتف القواقع وغرور اللؤلؤ
لبسَتْ مناعة الصدف
وشفافية الزبد وتاج الماء
فرشَتْ بيتها بالأزرق والشفق والأفق
زيّنتْ سريرها بالانديياح الرشيق
والنوارس الخجولة
و موّجَتْ العتبة بنعومة الرمال الذهبية
ووضعَتْ يدها على خدها .. تنتظر
لقد قالوا إن حبيبها قادم .

سفينة الماء

سنوات من لبن الحرقة وخبز التوقع
حبالك مقذوفة نحوي لكنها لا تصل
وفي مائدة الانبهار
يتوفر كل شيء
كل شيء .. عدا الماء
سنوات الماء الغائب تسوّر مائدتي
وتعطش معي السهول والساحات والسفن
حبالك مقذوفة نحوي لكنها لا تصل
إيه .. يا سفينة الماء أنا ميناؤك .

زهرة الطرقات

كل طرق العالم تأخذني إلى ياقوتة عينيك
الصهد الذي يتفصد من جبين الكلمة وهي تولد
اللثغة الحلوة في غناء راع على كتف سهل بعيد
النحيب الذي تجهش به الشجرة
متضرعة لفأس حطاب بردان
القبلة الأخيرة في وداع عاشقين
لم يلتقيا بعد
التنهدة الصاعدة من ظلامات العمق
في جسد فتى يتعرف على الحب السري
فاكهة الموسم الدائم في نهر التضرج .
تكمنين لي في منحنيات كل الطرق
ولم أكتشف بعد طريقا لا تنتهي إليك .

قمر الشتاء

يطل على كل الجهات
يغمر الشوارع والساحات
والمحيطات والغابات
وبلدانا بعيدة وحدود لا نهائية
ولكن الأهم من ذلك
إنه يطل علينا من النافذة
وينثر علينا تبنه الفضي
ولا يدعنا ننام
وحين يتغافل بعضنا عنه
يمد ذراعه التي تلمع ويشدنا من أصابعنا
من ياقة القميص الصوف
ويفرك جليده في رقبتنا
فنتضاحك بفرح

كما الأطفال حين يتهدم عليهم
كوخ الثلج في الحلم
ونهدأ لحظة
لأنه يصير جسورا تأخذنا لذكريات بعيدة
بعيدة جدا
لا تفصلنا عنها سوى خطوات صغيرة
تتراكم فيها جدران وقضبان
وأسلاك شائكة وجنود وبنادق وأجراس إنذار
وقوانين وقضاة
وأقزام وقصّابون
ونحن لسنا أكثر من عصافير صغيرة
صغيرة جدا
ولكن كلما ازدهر القمر الشتائيّ في حدائقه
كلما صارت العصافير صغيرة جدا
أكثر قوة من العنف والعسف المتراكمين
ويواصل القمر في الهطول .

سيدة القلب

يا سيدة قلبي

تأملي جيدا بأعذاري

لم أحمل في جيبي مفتاحا

ولا أفهم في الأقفال

فقط اعرف أنني أحب ذلك الغصن الناري

الذي يطل من شرفتك

وأن خفقة قلبي التالية

متوقفة على ابتسامة تلك الوردة

المتعلقة في أعلى الغصن

هناك حيث تقفين

وبالتحديد ..

تلك الوردة التي تجاور صدرك

من ناحية اليسار

الهنا والهناك

الحبيب   هنا
والحبيبة   هناك
لا مختصمان ولم يفرق بينهما الغضب
فقط منزل الحبيبة يطل على البحر
وزنزانة الحبيب تقبع في الصحراء
الشمس التي تدفئهما واحدة
والليل الذي يجلد لياليهما واحد
سرير الحبيبة ثلجة في صقيع الشتاء
وفراش الحبيب جمرة في تنور الصيف
هي   هنا
وهو   هناك
تعذبها انتظارات لا تحصى
وتلعب به هواجس وهموم كثيرة

لا يشكيان

لا يسأمان

لا يتعبان

فقط يواصلان الحب

هي هنا

وهو هناك .

مغامرة

دعيني أدخل قميصك مرة
لن أخدش عاجك المكتنز
أعرفك
رقيقة كجناح فراشة
لكن دعيني ولو مرة واحدة أدخل هناك
حيث السهرة تحلو في دفء القهوة
دعيني ولو مرة واحدة
وسأكون طفلا مؤدبا
لا يخرج عن حدود اللياقة
دعيني
سأدخل من شقة الياقة
لكن لن أعرف كيف أخرج
ولا أريد .

خيط الشجن

هل أنت هكذا   أيها الشجن المسيطر ؟!

توقظ العاشق من أجمل واحاته

لتدخله في أجمل متاعبه

هل أنت هكذا

تزج العاشق بالهواء

وترسم به ماء الوله المتقافز في القلب ؟

أيها الشجن اصهرني بلقاء واحد

لقاء واحد أيها الشجن

لقاء عميق كالنوم في الطفل

وسيع كالأفق في الحلم

رهيف كالشيء الذي يرج

ويرجف كالخفق في القلب

أيها الشجن   اتدرني خيطا في قميصك .

نظل أطفالا

أجلس في حرير الوحشة
وأتذكر كيف كنت تغزلين لأطفالنا
أفراحا وأغطية وضحكات
وشرفات تطل على الغبطة
وأتمنى لو أنني أعود طفلا وأجيء
لأتمتع بكل تلك الأشياء التي تغزلينها
أتذكر وأتمنى
وأنا جالس في حرير الوحشة
ترى أليس بإمكانك ولو لمرة واحدة
أن تغزلي المواعيد لنا ؟
نحن أطفال أيضا
ألم يصادف أن رأيت أطفالا
في منتصف العمر ؟! .

فاكهة

في هذا البرد البرد البرد البارد
أحتاجك يا تنوري البعيد
حنانك
– حيث تعجز كل مدافئ العالم –
وحده كفيل بإعطائي المودة الدافئة
أيتها البرتقالة الملتهبة
دوري حولي
دوري دوري يا فاكهتي
غطيني في ليل البرد ببرقك
باهي بي بستان البهجة
ردي ردي ردي
هذا الثلج الوحشي
عن الوله الساهر في قلبي .

حزن المطر

هذا الشتاء الذي يرتدي معاطفه الرمادية
ويجيء
أحبه كثيرا
لكنه يجلب لقلبي الحزن المألوف
لا أكون كئيبا ولكني أحزن
لأن الشتاء دون كل الفصول
يجعلك هاجسا لجوجا في ذاكرتي
يجعلك ذاكرتي ذاتها
ويكفي أن تدق ساعة المطر
وتبلل كتف الزنزانة
لكي تتفجر الذكريات
الذكريات التي تحطك في روحي كالوهج الشرس
تتفجر كدموع الطفل الذي تركوه وحيدا

وذهبوا

وشتاء هذا العام سيكون حزيناً أكثر

ليس لأنك مازلت في طرف المسافات

وأنا في الطرف الآخر

ليس لأن السفن لا تبحر في الصحراء

ليس لأن المطر يموج بي كاللهفة

ليس لأن الرسائل . .

ولكن لأنك سوف تنتظرين

في إحدى الليالي المغسولة بالشوق

ولأنني لن أجيء

في هذا الشتاء .

الجحيم الحميم

شتاء   وصحراء   و وحدة
شجيرة الصبار .. هناك
ليل وسكون
والجميع يهبطون في آبار النوم العميقة ..
ذات الأحلام
وأنا وحدي هائم في غابات الليل
مهلهل الأطراف
أجهجه كالنورس الضائع المتوف
لا أهجع
حروف   وكلمات   وشظايا
خيالات وومض فوق الوسادة
الرفاق ينتقلون من حلم لم ينته
إلى حلم لم يبدأ

وانا لا اهجع
كالموجة المجنونة المتأرجحة ..
في قدم مارّد طائش
ولا اهجع
يختلط الفردوس بالجحيم في لهج صريخي
ولا اهجع
وفي الصباح حين يستيقظ الرفاق
يجدون في فراشي جسـدا مريضا
وقصيدة نشيطة .

أيتها المراكب

يا مراكب الرحيل

انتظريني .. انتظريني

أنا قادم مع هذه الحبيبة

التي تسافر بلا حقائب

انتظري ..

إنها تخرج من الحمر

لابسة لونه ودفئه

ولن نغلق باب دارنا

فإن سنونوات كثيرة أوصتنا

لكي نترك لها بعض الغرف

انتظري أيتها المراكب الراحلة

إن حبيبتي تضع معطفها على كتف واحد

في عجلة

وتأتي   انتظري .. سنذهب
لكن   أيتها المراكب التي ترحل
الراحلون يذهبون نحو الحب
ونحن الحب   فإلى أين تذهب ..
أيتها المراكب .

عذوبة

عذابك عذب فاعذريني

اعذريني   إذا كابرت ولم أتضرع

أما أنت

فاعتقدي بقدرتي على الاحتمال

إلى أن أستشهد

ويومها ستقولين : (ما أجمل المكابرة)

وحين تلتقين بعاشق سواي

يستعذب عذابك .. مثلي   وأكثر

ستقولين : (ما أقبح التضرع)

أن تأتي

أنام وأنتظرك
اصحو وأنتظرك
أتحدث وأنتظرك
أكتب وأنتظر
أعيش حياتي .. وأنتظرك
ولأنك احتمال دائم في منعطف الوقت
أعرف أن انتظارك حلو
ويجعل ريش قلبي زاهيا
لكن الأحلى والأكثر زهوا
هو أن تكوني هنا .

قميص القهوة

تلبســين القهوة ، وتقولين لي : انتصرْ

أتوجه إلى الغابات تهرب

أستدير إلى البحار تضطرب

أجتاز المدن والقرى وأصل إليك

أستبســل أدفع فنجاني

وأسمع قهقهة القهوة في القميص

الزاهي كالزمرد

أصير جنونا في فنجان

وأنت تتصنعين الصمود

وفي لذة الهجوم أتذوق الزبد اللبني الغامر

وأنتصر

حيث تتلاطم استغاثات القهوة في النضوج .

تلك اللحظة

كأنني عائد إليك بعد قليل
كأنني لن أعود أبدا

غادرتك في ذلك الصباح الذاهل
كأنني حملتك معي .. هنا
وكأن (هنا) هو كل العالم

كأنك رعشت بين أصابعي كذبح العصفور
وكأننا لم نخلق إلا في تلك اللحظة .

الموت في الحياة

كغزال كنت أتطاير في الحدائق
أغمس ريشتي في بنفسج عينيك
وأكتب
لم يكن للشعر موعد
من أهداب أصابعك تبدأ كل المواعيد
وفي صهيل الغيوم الضائعة على صدرك
تتحول تمتماتي إلى رسائل
وحينما أدخل كضوء في ظلامك
تفرح الغابات والمرتفعات والجبال
حتى السماء تشرع في هطلها
فتسيل الوديان وتتحدث الجداول
ومن الصعب عندئذ أن نعرف
هل هو موت أم حياة . . .

جزيرتان

لتلك الجزيرة الصغيرة الفسيحة
القريبة من داركم
كنا نهيّئ رحلات بحرية لا تحصى
يتآمر في سبيلها جميع الأصدقاء من أجلنا . .
لكي نلتقي
ولهذه الجزيرة الكبيرة الضيقة
هيأ لنا الأعداء تهجيرا طويلا
يتآمرون فيه ضدنا لكي نفترق .

من قال

ربما ،
لكن الغيوم التي أيقظتني صباح هذا اليوم
كانت قادمة من ناحيتك
لأنها أغرقت وسادتي بقرنفلات كثيرة
وسوّرت نوافذ زنزانتي ..
بعصافير المطر الشقية
العصافير التي لا تهدأ
والتي لها تغريد يتصل بالليل من هناك
وبالنهار من هنا
ربما ،
لكن القطرة التي انتظرتني وأنا خارج من الغسل
قالت لي إن الأخضر يزدهر عندك
وجست أصابعي

لا تأكد من أن النبض الصاهل في دروبك الولهى
لم يهدأ
بل ازداد عنفوانا .
ربما ،
لكن الوقت الذي أضع فيه قوطتي
فوق حبل الشمس
كان كافيا لكي أفتح نافذة في جبهة السحابة
وأطل عليك
ربما كانت المسافة التي تفصلنا شاسعة
لكن من قال إننا بعيدان عن بعضنا ؟!

انظروا

انظروا
إنه ينتفض كالمقتول الذي لم يمت
انظروا .. إنه يحب
كالشمس التي توزع المرايا
وأنت
هلا فتحت نافذتك يوما
ورشقت هذا الواقف
- كغصن الأرض - بوردة ؟
هلا صرت شمسا توزع
قبل أن أصير ذلك المقتول
الذي يموت ؟
انظروا .. إنها لا تفعل شيئا
انظروا .. إنني لا أستطيع أن أموت

الجريمة

في الجزيرة التي تأخذ شكل المرأة الحبلى
يتثاءب عاشق في زنزانة طويلة كقبر
عميقة كبئر
وينشر ابتسامته الساخرة . .
في الجزيرة التي حبلت حبلت حبلت
ولم تلد..
جاءوا يزفون له الطفل الصغير
الصغير جداً
الذي ولدته زوجته
ويقولون له : (صرت أبا الآن)
تثاءب بنفس الابتسامة الساخرة
لم يكترث كثيرا
وقال : (لكن أمي . . متى تلدني ؟)

اثنان في واحد

يتمشيان .. اثنان في واحد
والأخضر يرافقهما
يتقافز من شجرة إلى أخرى
كالطائر الشقي
يسرعان فيسرع
يبطئان فيبطئ
يضحكان
الاثنان في واحد
يجلسان مقعد واحد يسعهما
والأخضر لا يجلس
لا يسعه الفسيح
فقط يضع خده على الغصن
ينظر و ينتظر

تكلم الاثنان في واحد :
(تعال تسأل هذا الأخضر الفضولي ..
ماذا يريد !؟)
اقتربا ..
فقال : (أنا أخضر .. فقط خذاني)
فواصلا سيرهما
في جيوبهما الشجر والعشب
والاحتمالات التي تنضج
يتمشيان اثنان في واحد .

كيف .. ؟!

كيف تسنى لك ذلك ؟!
تلبسين أجمل فساتينك
وتذهبين إلى السهرة مع سواي

كيف تسنّى لك أن تضعي عقدك
الزمردي الأحمر الوحيد
وتَدَعيه يتأرجح بعنف في الرقص ؟!

كيف تسنى لخصرك اللبني أن يستريح
في قوس ذراع أخرى ؟!

كيف تسنى لي أن أحتمل الحضور
في تلك السهرة

التي تشبه قداسي !؟

كيف . تسنى لك .. كيف
يا لك من عذراء لا تعرف الخجل
آه يا حبيبتي
معذرة   لقد كان ذلك حلما .. فحسب .

وأنت هناك

تعالي .. تعالي
فإن هذا القلب لا ينام
لا يرتاح إلا فوق وسادتك
يا المرأة الممتدة من قلبي إلى قلوب كثيرة
كيف حدث أنك خرجت من الخريطة
واتكأت على مهج الناس ؟!
تعالي .. هذا القلب لا يستريح إلا في جناحك
يا الواحدة المتوزعة في كثير
كيف .. كيف سيطاوعك الدم
وتقطعين الغياب وتأتين ؟ يا حبيبتي
فبدون انتظارك ..
كيف يكون لأيامي لون وطعم ورائحة ؟
يا حبيبتي تعالي .. وأنت هناك .

قولي

ماذا ستقولين للصدفات
المنتظرات على وسادتك في الصباح
حين تستيقظ .. ولا ماء حولها ؟!
ماذا ستقولين للنورس الهائم في فراشك
حين يخرج من المحرة   ولا ريح تحت جناحيه ؟!
ماذا ستقولين للموجة الناهدة في حلمك
حين تفتح عينيها   ولا سواحل هناك ؟!
ماذا ستقولين لهم   وأنا الماء والريح والسواحل ؟!

الرقصة

هكذا تبدأ الرقصة يا حبيبتي
تنتصبين على جمرة قدميك
وبرشاقة التأمل ..
تحركين اليسرى إلى الأمام
بتأن ... بتأن هكذا
كالحلم .. انظري
ثم نطة صغيرة من شغف اليمنى
إلى أعلى .. أعلى .. أعلى
وتنشرين يديك كفراشة
جميل .. حسنا
أنت تحلقين الآن .. ولا أروع
في بؤرة الإيقاع
حيث .. حيث

هكذا   على المشط الصغير

الصغير جدا الذي ..

وتبدأ الرقصة في العنف

الآن انفلتي كالمهرة .. المهرة

المهرة الباحثة

تماما .. وارحمي الأرض .. ارحميها

لئلا تتكسر تحت هذا ال ...

وانتظري الموسيقى .. انتظريها

إنها تلهث في إثرك

و .. يا إلهي .. يا

أيتها الرقصة ..

تعالي .

علميني .. أنا لا أعرف .. هكذا .. !؟

علاقات

من راحتيك تقلع السفن
ومن الديمة تركض الأمطار
من كتفيك تخرج السنونوات الساهمة
ومن العمل يتصاعد العرق الصادق
من خصلاتك تأخذ الحقول جنسيتها
ومن النار الغابية يولد جمر كثير
من أصابعك النجمية
تتساقط الأسماء الجميلة .. على الأزهار
ومن الثلجة الصغيرة المتدحرجة من هناك
فوق بساط البياض
يتكون جبل زائر
منك جئت أنا
ومن الانتظار .. تهطل تنهدات اللهفة .

النوم الناعم

يطيب لي كثيرا
أن أتركها تنام قبلي
وأسند رأسي وأتأمل
أظل أتأملها .. هكذا
كشيء غير موجود ... هنا
تتنفس بهدوء منتظم كوردة
تعبس أحيانا كثيرة
ويحق لها ذلك
لأنها لم تعبس أبدا في يقظتها
أحيانا ..يتراكض حول وجهها
ملائك في شكل سنونوات زيتية
أحيانا ..تحدث أصواتا بأنفاسها
إيقاعا كالأطفال..

وفي إحدى المرات

رأيت يدها تمتد لتصطدم بحافة السرير

و[illegible] كثيرة تتناثر ..

من جرح السرير

وحين تصيح وهي في النوم ..

لا أعرف النوم

هل تعرفين أنك تنامين بشكل جميل

يا حبيبتي "

الوطن موسيقى أيضاً

في الموسيقى التي تتجول في غرف بيتنا الصغير
والتي تتسلق الجدران والنوافذ ورفوف الكتب
الموسيقى التي تتناول معنا العشاء والحب
وتقرأ الشعر
في الموسيقى المتسربة تحت أجفتنا
والسابحة في حليب أطفالنا
والتي تنام وتصحو
وهي ساهرة تحرس أيامنا
في هذه الموسيقى انتظريني
في هذه الموسيقى أنتظرك .

مكان

حسنا ،

علينا أن نتفق على المكان

إن ذلك المقعد المستطيل بعمق

كنوم الطفل تحت شجرة الناس . .

- لكنهم سيرون قبلتنا !

لا بأس .

هل ضحكة القهوة مكان مناسب ؟

- لكنهم سيسمعون تنهداتنا !

يا إلهي . . هذا صحيح

لذلك فإن تلك الغرفة الصغيرة

التي رسمها الأفق هناك ، ستكون . .

-لكنهم سيعرفون !

إذن ، أين . . أين . . أين

علينا أن نتفق

ها أنت ترين

إن كل الأماكن المناسبة . لا تصلح

هل لديك ..

- تعال .. سنلتقي هنا

في قلبي ! .

أيامي معك

أفتح كل الحقائب المنتظرة على رفوفي
أفرش ذكرياتي .. وأبدأ
كل هذه الأشياء أيامي أيامي معك
من المنديل إلى معطف المطر
ترتبط بك ذكريات حية .. كأنها الآن
وأعتقد أن أياما جديدة تولد
..مع الدخول في الآن الماضي
أياما جديدة تدخل في :
الآن القادم .

صلاة

صليل كلماتك يحيط بي كخاتم الحب
أخبئ قلبك في قلبي
وأظل محاصرا بين جحيم هاجم وجحيم كامن ..
وأصلي ..
يا نار .. كوني بردا وسلاما على العاشق .

جوهرة العذاب

جديدة كالوقت

تلمعين كجوهرة خارجة من العذاب

للمسك . . . فيضرب اللسع أصابعي

لماذا أنت حارة هكذا

كيف يمكنني أن أحضنك إذن ؟!

سأبدو كمن يدخل الحرق مختارا

علميني . . كيف أجيء إليك . .

دون أن أذهب دون أن أحترق

وإلا فإنّ الوقت سيمر على أشلائي

تعالي ، أصير جوهرة . وأنت عذابي .

المدن تخلع الحداد

تدفقي .. تدفقي هكذا
مثل النبيذ الذي يؤرخ
هكذا مثل غابات البن المزدحمة بالرغبة
هكذا كالشلال الذي يشبه الشوق
تدفقي في الضحك
فالموسيقى جائعة إليك
وسيركض إليك الشجر والوحش
والنهر والقوافل
استغرقي في الضحك .. هكذا .. هكذا
أيضا   وأيضا
فإن المدينة تخلع حدادها إذا ما ضحكت
تدفقي أكثر تنهض المدن جميعها من الحزن .

معا؟...

من السهو ..
جاءني الكناري وكنت في حلم
رأيت في أحداق الكناري ..
وكنت هناك
دائبة كالرؤيا
مهموسة كالحب
قلت : ماذا تريد ؟
قال : اخرج من حلمك
خرجت
فوجدت نفسي في حلم آخر
وفي بهجة السهو
كركر الكناري وفتح أحداقه لي
كنت هناك .. وكنت .

سهرنا معا

ذبنا معا في قلب الحب ..

نوفمبر 1978

القيامة

(1980)

إلى ألف صاد ... الذي رأى

دخول أول

(1) في الهواء

.. فدخلت

دخلت وصرت جميع الأوقات معا

وشعرت بأني بدء لم يبدأ

صرت النطفة

صرت جنينا طفلا

والرجل الكهل الشائخ صرت

كأني لم أولد بعد

وليس لموتي وعد

دخلت

وكان الوهج الفضي ثقيلا يتمطى

وكأني في الفضة أمشي ،

زمن الخطوة لا قبل له لا بعد

لم أعرف أين وأين وأين وأين دخلت

أنا في الخطوة في قصة حلمٍ
وعيوني موغلة فيّ التحديق
الغصة غامرة غائمة
كالغبش البدئي
سديم أتلفت
هذا الكون غريب
والغصة سيدة الوقت .

دخلت
كأني أدخل في التكوين
الغصة طائرة في الريح المتثاقل
صرت كأني أبحث عن نفسي
وكأني أبحث صرت
كأني همت
فمدّت يدها أخذت بيدي
أطراف أصابعها كالريش النائم
كانت ريشاً
جاءت
لمست أطراف يدي أخذت بيدي
قالت هات يديك
تعال تعال أريك المحتمل القادم
هات يديك أريك أريك أريك
أشكّلُ في عينيك الأشياء

تعال أريك الحلم وسرّ الحلم

تعال تعال

أريك المدهش هـــات

فجئت وكنت الطفل الكهل

وكنت الشيء اللين والسائل والمتكوّن

كنت

ولم أعرف كيف وأين وكانت تأخذني

وتعال أريك فجئت

دخلت وكانت تعرفني

لكني أجهل ،

كنت جنينا طفلا رجلا لا أعرف أين

وكانت تعرف أني كنت

وجئت .

(2) فوق النار

تعال أريك أمانيك تصير
أريك خيالا كنت تراه وتحلم
كنت ومن أين وكيف
لا أذكر أني كنت رأيت
ولا أذكر أني كنت
ولا أذكر أني
لا أذكر
لا

هات تعال أريك المعجز و الشيء المكنون
أريك الشيء الساكن والمسكون بتوق البدء
أريك جنون العقل ولا تسأل كيف
ستنظر

لكن لا تسأل هذي الفضة عن أسماء .
الرؤيا غامضة
لا تسأل كيف دخلت   ستعرف كيف
وقفت   وكنت كأني في الحلم
كأني حلم   والفضة حولي
وبطيئا همت
وكالسابح في الزئبق   صرت أرى
وتألقت كعين الفضة   صرت أرى
ورأيت الشيء   وكان جميلا
كانت تمسك أطراف يدي
ويدي ترتعش الآن للمس الريش النائم
خائفة
والشيء جميل   صرت أرى
وعرفت بأني أقف الآن بوهج الفضة
هذي فضة أيامي الأولى
حين دخلت   دخلت النار .

(3) فوق التراب

وقفتُ

فهذي الأرض الرخوة لا تحملني

وقفتُ

الأرض الرخوة ترخي تربتها وتسوخ

تسوخ   تسوخ   وتهملني

من يمشي فوق الرخو بلا خوفٍ

قال تعال

ستمشي من غير مخاف فوق الرخو وفوق الماء

ستمشي

أنت الشيء الموغل في المعجز والمدهش

أنت الشيء الشارد من شبح الأشكال المألوفة

تمشي فوق الرخو

تقدم   فتململت

تقدم فتلفتُّ

احملت بيدي تعال تعال

الجزء الرخو من الأرض بلاد هجرتها الشمس

فطلَّ عليها

انظر فتقدمت

حملت الخطوة من كبدي

ووضعت الخطوة في كبدي

وتقدمت

صار الرخو قوياً

صار الرخو صخورا تحت القدمين العاريتين

ومد الرخو يديه

تثاقل قال تعال

أنقذني

هات الشمس

تكلم عني

باركني بالدم تجيء الشمس

تحيل الطمي السائل صلبا

هات اصهرني حولني جلمودا

ترتاح حوافر خيل الشمس عليه

اخبطني بالقدمين الضاريتين أصير

انظر فرأيت الأفق الرخو يخر على قدمي يصلِّي

يركع يتضرع

ماذا ما هذا

كدت أردت ولا تسأل

ادخل في رخو الكون دخلت

وكان الريش النائم يسعفني في الوقت

يهدهد أسئلتي ويحرضها ويعارضها

الريش النائم لا يسهو لا يهملني

فمددت يديّ ملأت الكف برخو الأرض

وصافحت الجزء الرخو من الكون

فضج الفرح الخالق في أوردة الأرض

سمعت الفرح المخلوق

كفي فكففت

فتحت الكف تعال تعال .

(4) ضوء الماء

يا فضة أيامي الأولى هــــاتي

اخذت بيدي ويدي تتكون في يدها كالطيف

وحدّ السيف

تعالَ أباهي بك أيام الليل

أريك الوهم

لسمّي فيك الحلم الآتي

كنت تريد وتحلم تهجس كنت

متى

لا أذكر أني كنت أريد وأحلم أهجس

لا أذكر أني كنت

لا أذكر أني

لا أذكر

هذا الريش الناعم

هذي العضة لم تفهمني
فأنا ما كنت هنا ما كنت هناك

الآن أصير و أعرف
ادخل فدخلت
كان الماء جميلا كان كان الماء أما وكأني أعرفه
فاجأت الماء وفاجأني
ولهجت بحب قبلني
أنت تعال تعال
تعبت من النظرة
كيف تأخر فيك الوقت تعال
دنوت وشيء في قلبي كالريش النائم يصحو
فاحتفل الماء وشرّع لي أبواب القلب دخلت
دخلت دخلت وكان الماء جميلا
كان بلادا تعشق زوار الحب
وجهز لي مائدة القلب شهقت
فقال الريش الناهض قال
جلست وكان عشاء الماء يموج
فقال الريش الهائم
هذا الدم الثاني يعرفك الآن
أتذكر من أين
من أين سأذكر هذا الماء اللاهج أعرفه
من أين سأذكر

هذا الماء الشامخ يفهمني
فأنا من أين وكيف

تعال يقول السر إليك
تعال يقول الماء
دنوت فمال علي الماء وقال
غسلت القلب هو الفردوس يقول
وكدت أتيه
الماء يحط يديه على كتفي والماء يقول
سمعت سمعت سمعت سمعت
قال كفى فصرخت
الماء أنا وأنا عطش
فتعال كفى وبكيت
الشيء الحلو الراكض في جسدي يصطخب الآن
كفى وتعال تعال
رأيت الماء بكى كالماء وعلّمني
فبكيت بكيت ولهج القلب يضج
مشيت وسرّ الماء معي
أدخلت بيدي وسر الماء العاشق في رئتي
ارتاح وقال أراك
رأيت يدي في الدم وماء الدم
فهمت .

کشکول ثانی

أ – مرآة فضة الدم

الفضة رفقة هذا المجهول
الكون اللحد المهد
المتحول أفقا
تعال فلي وقت أحتال به
وأحول عينيك إلى بوابات
يدخل منها الخلق

أخذت بيدي ومشيت
كأن النبض الراقص في ريش أصابعها نبضي
الفضة كون والكون الفضيّ وسيع
وأنا في الكون البدئيّ أضيع
أضيع أضيع هنا
لولا يدها في الدرب وضوء الدرب

يكاد الضوء الساطع في الوهج يضيع

تعال أريك ولا تسأل كيف
ادخل فدخلت
وكان الشيء جميلا كان
رأيت دماً يختال
يضيء ويشرب قهوته في قصر شعوب تلهث
جاء الهمس
فهذا بدء نهايات التعب اليوميّ
تأمل فتأملت وهمت
كانت قهوة هذا الدم تزيل الهم
رأيت الطفلة تلعب في شفق القهوة
قال دعاني وسقاني فنجانا
قال كفى

أخذت بيدي والقبضة تعرفني وأنا في ذهل المدهش
يبدأ تكوين الشيء بروحي
هات تعال هنا سترى و رأيت
رأيت الشجر المائل يشرب من ماء الناس
ويمسح عن شفتيه العطش الشمسيّ رأيت
هنا فرح الأحزان الواقف خلف الضحكة
كالأهداب المغسولة
هات تعال فماء الناس جديد

مدّ الغصن الأقداح إلي

شربت   شربت

ثقل كفي   وشهقت

فماء الناس جديد .

و – مرآة ماء اللونه

قصرت الخلوة
انكشف أمامي يدخل في حجب تفتحها العين
الريش النائم يوقظني
هات يديك أريك الواقع في الحلم
أريك هنا   فدخلت الفضة
جدران الكون الفضية   أرض   سقف
والريح المتثاقل فضة هذا الدرب
رأيت العين تمد الخطوة نحو الشيء
رأيت نساء مضطربات الخفق
فتحت القلب   فطارت أسراب اللونه
          تحمل حبا لرجال في الغيب
نهضت   أريد   وكنت   تذكرت
بأن سؤال الفضة يعني

لكنني في الغيب
وأيّ رجال في الغيب
في الغيب رجال تعرفهم   وستعرفهم
فلمحت الشيء يكاد
ومدت لي كلمات الخفق المفتوح بقلب نساء
أعرفهن   سأعرفهن
وأعرف
لكن من أين سأعرف أن الشيء الحلو يكوّنني
ويضيع   ويهدي النفس تواريخ الوهج
سمعت الخفق يناديني فدنوت
ووشحني اللوتس في حلم نساء ينتظرن
وقبلني اللوتس
قال كفى   أخذت بيدي
والصهد المتفصّد يكتب في جسدي
وأنا أتكون كالوردة   ورقة   ورقة
التفّ وأفتح قلبي فيمد الشيء الحلو يديه
ويقرئني   ويعلمني
سأريك أريك الماء الثاني في القلب
أريك الحب .

دخلت
وكانت أعراس حدائق قوس القزح الكوني تفضفض أرجاء الخطوة والخطوة راجفة الفرح وألوان القزح الحلوة ترقص هات يديك وشارك في هذا الحفل أغانيه تكون الألوان موزعة في غدك الموعود يكون القوس

الفضي الباب الواسع يدخل منه الغيم وترقص فيه الأفراس الأرض

وتقفز نحو الشمس فهات يديك نجس صلاة اللون

مدُّ القوس خيوط الفضة

رحت   ولم أعرف كيف   فعلمني

ورقصت   رقصت   رقصت   وقال كفى

أخذت يدي   كان الرقص قريباً   كنت خجول .

ذ – مرآة لؤلؤة الوقت

هدير القدم المكتشف المدهوش بعد
وأدخل في لؤلؤة الوقت
صوت الشيء الحلو يرافقني
ادخل فدخلت
تعال
أريك الرايات المرفوعة فوق رؤوس البشر المقتولين بفأس الدولة
هات أريك الدولة دائلة
والفقر الملك المالك
يشرق في حنجرة الحرف
أريك المترف المتألق
هات يديك أريك المغلق يفتح
حيث العمال يهزون جذور الكون الميّت
يبنون جمال الكون الحي

أريك الشوق الأحلى الشوق الأعلى
في الخطوة مندهش مرتعش أصغي وأجيء
أخذت بيدي
هذا الأسود عتم الأيام يضيء
دخلت الأسود والأسود صمت وحشي
ادخل فدخلت محاق الأيام
وكيف أرى
فأردت وكدت
تلك الأسئلة المحظورة مغفورة
تلك الصورة عتم وأنا أحداق
كان الريش الناعم يلمسني
فوثقت بأن الفضة تحرسني
انظر ففتحت الأحداق كباب الريح
رأيت الأسود في الصمت يلوب
يحرك خوف الأطراف
رأيت الأسود يفتح نافذة ويطل
أي محاق يسكن هذا الثلج
وأي قرائن أجمعها في هذا
انظر
الريش الناعم فضة هذا الكون تؤرق نوم الأسود
هذي الخطوة تسجنني أيان دخلت
كان الأسود يضحك لي يضحك من جهلي
ويهز سريرا طفلا في الركن الموحش

حيث الفضة قالت لي

فنظرت الطفل النائم يعرفني

طفل في النوم   ويعرفني

لا أعرف كيف أصوغ سؤالا

كيف لهذا الطفل

الطفل النائم أن يعرف شيئا

وأنا

يا غضب الريش الهائم

لم أسأل   هذي هذيانات الدهشة

لم أسأل

الفضة عاصية

لكن الطفل النائم يعرف

لا تسأل

الأسود يضحك لي   يضحك من جهلي

ويهز سرير الطفل النائم

ذلك الطفل العارف

رأيت الطفل   الطفل ينام ويعرفني

هذا طفل الأيام المفقودة يزدهر الآن قليلا في النوم

ولا يصحو

هذا طفل الأيام المفقودة ينتظر الآن ليأتي عصر العصر

يقوم من اللحد ويركض قبل المهد

يحقق أحلام الأم الموقوتة

الفضة   انظر

ورأيت الغضبة تدخل في ذيل عباءة صمت الأسود

تبدأ نار تتصاعد

الأسود يضحك

ويغطي النار بكم الثورة

يحضنها ويقبلها

ويهز سرير الطفل النائم

والطفل ينام ويعرفني .

م – مرآة شجرة الدم

ستعرف دون سؤال
ستعرف

هذي الفضة جذر الكون
وماء الكون يؤرخ في عينيك
تعال أريك الميّت من تاريخ الناس
أريك الناهض في تاريخ الناس
أريك الكأس تعبّ الخمرة من شفتيك
أريك الشمس محاصرة بخيول الفجر
أريك النهر يعارض منبعه ويشط
تعال وكنت مريض القلب بحب الماء
تعال وكنت قوي القلب بحب الماء
فجئت   أخذت بيدي

ويدي في الريش الساهم ساهمة
ادخل فدخلت
كان الشجر الأحمر كان الحلم عظيما كان
الطائر كالغيمة نعشا
فحمت كأم النعش وكانت أكتاف الناس
تمد يديها للنعش
وكان النعش يطير يطير يطير
الكفن الخائر في دم النعش يصير شراعا
ويرفرف
كالقلب بصدر الأم
النعش الغيمة يغمس في جرح الناس حراشفه
والشجر الأحمر معترضا درب النعش

أنا في النعش بقلبي
ما هذا الطائر كالغيمة ما .
سوف ستعرف من غير سؤال
والنعش يطير ويعلو هامات الأشجار الشوكية
يعلو
يعلو
يعلو
لكن الشجر الأحمر يقذف أغصانا شاخصة
كالحبل الشوكي
النعش يهيم بلا أكتاف

تعترض الأغصان طريق الغيمة
و النعش يهيم
تداخل أضلاع النعش بشوك الشجر الأحمر
تنغرس الأغصان السيفية في لحم النعش
وكان الأحمر في النعش يفيض
يفيض
يفيض
يفيض
الحلم الخارج من غابات الشجر الأحمر
موت صديق
انظر
فالنعش المصلوب على الشجر الأحمر يعرفك الآن
أيعرفني من
لا تسأل من أين ساعرف أن النعش سيعرفني
وصديقا كان النعش
وسوف يصير
اقترب الآن تقدم
المس خيط الكفن القاني تعرفه أو يعرفك
اقترب الآن ستعرفه فاقترب اقترب الآن
تقدمت
ومدّ الخيط حديثا قال بأن الطقس القادم عصف
والقحط المتجذر في سقف الناس سيمكث
حتى تنبت للنعش بيارق

قال بأن الرعد القادم يطحن كل جبال الهم

المرتاحة في قلب الناس

وقال كفى

فلمحت النعش يهين للبيرق خفقة قلب

هات   تعال

دنوت إليها   أخذت بيدي

مسحت كبدي برحيق الشوق .

أ - مرآة الجسد

دخلت ،

الفضة سيدة الوقت

ريش الكشف الشامخ يغريني فدخلت

هذي القاعة قاعدة القمم الممسوحة

في قاع الآبار المسمومة

هذي القاعة قبر أم قبّرة أم . . .

تاهت لغتي فتلفتّ

تقدم وانظر هذا . . .

أخذتني الخطوة نحو التابوت

ذهبت ذهلت

ولولا ريش كان صرخت لهول

تعال

هذا الدم الذاهل في جسدي يرعش كالخرقة

كان التابوت بدون غطاء

تعرفه   كيف سأعرف

هذا جسد لا رأس له

كيف سأعرف   وأنا النطفة والطفل

أنا الكهل بلا موت أو ميلاد

من أين الجسد الحي الميت يعرفك الآن

اقترب

خبأت الذعر   دنوت

هذا شخص يخرج من أشخاص تحت ظلال يديك

ولن تذكره

ما مات ولم يقتل بعد ولن يأخذه الموت

الجسد الحي الميت جاء بلا رأس

يعرفك الآن فجس النبض

شعرت بلغط في أعماقي

هذا جثمان   كيف

تعال وجس النبض

مددت وكان الدم يدور كعادته في أروقة الجسد الحي الميت

اعتدل الحي الميت بالكتف العالي

مد يديه وقال بصوت يشبه خرخرة القبر المتحل :

أكون صديقا ميتا للآتين

أقول الكذب بصدق

فأنا قبرة القبر

و ألعق جرح الأرض الناغل

أثقل هذا التابوت

وأسأل عن رأس غاب

هذا وطني

أحمله وأسير وأبحث عن رأس أحمله

والرأس هناك   هناك   هناك

فخذني

هات الرأس أقوم وأقلب قاعات الكون .

تقلص حتى كاد يصير قديدا

انظر فهلعت

اقترب التابوت إلى ساقي

صرخت

الفضة تحرسني والريش الناعم يلمسني

فأصير قويا

والتابوت يلح   تعال   تعال

فهذا التابوت سيحمل حيا ميتا ويدور به

ويموت به

فالجسد الحي الميت وحش البشر الجائل في ليل الناس

لح التابوت على ساقيّ

رفست الخشب المر   رفست

رفست   فقالت دعه

فالجسد الميت هذا سوف يموت

أخذت بيدي   تعال

هو التابوت سيتبعني

أعرف

من لحم الماضي هذا الخشب المر وسحر المستقبل فيه

هات خطوت مشى

أسرعت فأسرع

ثرت

صرخت اتركني اتركني اتركني اتركني

اتركني اتركني

اتركني اتركني

اتركني اخجل

واتركني

لكن الموتى موتى

والموتى لا يشعرون بالخجل .

٤ - مرآة الاغتسال

رأيت خيول النار السبعة تركض في طرق الليل تجر الشمس القافلة
العينين رأيت الأطفال المحروقين يطوفون الطرق الحلوة في مدن الليل
يغنون لضوء الشمس المنساب المنسكب المتدفق عبر أزقة أرض الناس
المقهورين رأيت الناس تطل على الضوء الساهر يطرق حزن الشمس
نوافذهم والناس الأطفال المزدهرين يشدّون خيول النار .
يحنّون الغرة بالحب
ويمسح كلٌّ جبهته بالعرق الشمسي الهاطل من أكتاف خيول النار .
ثار الوهج الفضي بقلبي
قال الريش الناعم
هذا فرح الناس بشمس تغمرهم بالحب وتكسوهم
فتقدّم مرّغ شفتيك
اغسل بنبيذ الخيل يديك
تعال اقترب امتدّ

دنوت   تقافز أطفال الناس ينادون

تعال   تعال

ومدّ الناس قلوبا في الكف

تعال فهذا عرق الشمس لديك

اغسل زنديك بخمر النار يشب الغار على كتفيك

دنوت غمست يدي في ذهب الشمس المنسرح المنساب

على أوداج الخيل

حسوت نبيذ النار بكفي

قال   كفى   ففرحت لأن الناس

قال الريش الهائم سوف يجيء الوقت الآتي

سوف يجيء

تذكّر أن خيول النار السبعة سوف تكون هناك

فكن للخيل هناك

دهشت لأني سوف أكون هناك

انظر   فرأيت الشمس تسرح شعر الأطفال

وعمر الأطفال يطول   يطول

يطول   ويزهو

أخذت بيدي   ويدي في شعر الأطفال تجول .

أ - مرآة الانتماء

رأيت
رأيت السفن الشاحبة العينين تزوّد ميناء الأرض بحزن وبكاء وأسلحة
وتوابيت رأيت القرصان يشد حبال الأرض ويربط سارية بالنخل
وسارية بحنين الماء رأيت بضاعتهم وتجارتهم والجوع الطالع في نحر
الأسواق المرتورة كالوحش رأيت الساق المكسورة تسحب في رمل
كالأطفال رأيت وكان الريش يشير إلى أشرعة الشرق
الحبلى
قال هناك   هناك
هناك صوار ينهض فيها النور ويرتاح على شرفتها العصفور هناك صوار
طاوعها العصف وصلّى في شهق إشارتها اصمد بالقصة سوف ترى
فهناك صوار تعلو فيهدهد هامتها الغيم
انظر
فلمحت سواحل قلب الشر تغادر تسرع نحو السفن المشرقة العينين

رأيت شهيق التوق

فهمت   أخذت بيدي فضة أيامي الأولى

لمستني بالشيء الحلو

لمست الشيء الحلو

وكان جمال الشيء يفيض .

ضمّ يدي ومشى

فمشيت .

ك – مرآة الناصية

تعال   أريك رؤى وأريك الرايات
تعال أريك الآيات
أريك الوطن   الطين   الطمي   الصلصال
تعال   تعال
يدي في المضة هائمة
أحلت   فمشت
الأزرق في خطوات الريش يشب
لادخل   فدخلت
الأزرق بالريش الفضي وكان البحر
البحر
البحر
البحر
وآه آه

انظر

فرأيت البحر يشيل السفن الكسلى

يمسح دمع الشوق بعينيها

ويغني لقلوب المنتظرين

رأيت البحر يهدهد رمل الشاطئ

ينسله ويصوغ شرائطه

ويرصع بالأسماك جدائله

وجميلا كان البحر جميل

تقدمت تقدمت

يدي في الرمل يدي في الأزرق كان البحر الداخل في عيني يتضاحك يقذفني بالموج ويهديني من لؤلؤه وقواقعه والرمل الذهبي يرش قميصي بالزبد المضي وكان كأن البحر الأزرق يعرفني من أين سأعرف هذا الشيء الحلو الناضج جاء البحر وقبّلني كأن العطش الناهض في جوفي لم يشرب بعد ثمالته لكن البحر

كفى

واقترب الريش العائم يمسح عني الملح ويصحبني

انظر فرأيت

رأيت البحر المخيف المريع

يصهل كالعصف ويجلد أفراس الهجم ويخبط سقف المدن الموبوءة

يكسر جدران قصور الملك الدموي

ويركض يركض

يرفع أحزان الناس المغمورين المغموسين

يوحل الجهل

يغرق تلك المدن الهامدة الرايات يزوبع ليل الغرف

المشحونة بالضيم و أصل الغيم

رأيت البحر يغادر كل سواحله

ويؤسس شطآنا في شرفات الجوع

ويفرش أرصفة الميناء المتهالك

هذا البحر الملك المالك يحتمر الرمل

وينثره في قدم الناس

ويعلن حرب النرجس ضد الفأس

البحر المألوف يطوف ويدعو سفن الشيء الحلو

ليرحل فيها يحملها نحو الفردوس

كان البحر على الميناء

رأيت البحر وكنت هناك .

مدخل ثالث

(1) الوطن يقرأ نار الأطفال

ستری الأشياء المألوفة في غير أوانيها
وترى الماء يصلي
ذات الماء الكافر في ركع المحراب
وسوف ترى الهموم إذا طاب
وتلمس قلب الأمل الواقف في الجمر
إذا خاب

مدت يدها
هذا الباب الموصود سيفتح
ادخل فدخلت
كان الجمر عظيما كان
تناثر حولي لهب وشواظ
النار تؤجّ
والشيء الحلو يشد يدي

انبت   فثبت
جحيم الأحمر يفغر أشداقا ضاحكة كالموت
الريش الناعم في اليمّ يكون حولي
فتح النار   دخلت
كان هناك ملوك وعساكر قوادين وتجار
صرّافون جباة جلادون   هناك
وكانت مأدبة واسعة
انظر   فرأيت
رأيت رؤوسا وأياد لامرأة ولطفل كان
ورأسا قال بأني أعرفه
صحت   أردت   وكدت   تذكرت
رأيت الجمع الوحشي يحيط بمائدة الأكل
ويأكل
ماذا يأكل هذا الجمع الوحشي
وماذا في الأطباق ويأكل هذا الوحش
رؤوس الأطفال
وأجساد النسوة يأكل في الناس
صرخت   وكدت فقالت انظر
فنظرت
كان العسكر يطعن رأس الولد الحلو ويصرخ
انطق   انطق   واعترف
الكل يقول   بأنك   انطق
واذكر بالسوء جميع الناس المحبوبين

انطق انطق واعترف

الكل يقول بأنك

انطق واذكر بالسوء جميع الناس المفقودين

انطق

فرأيت الفضة تضحك من حول الهمّ الواقف فوق ضمير الطفل

نظرت سمعت

لست الجثث المبثوثة في الشفق الأحمر تعرفني

كل جدائل تلك النسوة تعرفني

آلاف الأحداق المفتوحة والمحروقة في لهب الفضة تعرفني

وأنا أعرفها لا أعرفها

افتح عينيك على لهب الماء ستعرفها

هذا التاريخ الميت يعرفك الآن

فلا تسألني

شعب الناس المحبوبين يعيش

هذا الشعب يعيش

وهذا القتل يخلّده فيعيش

انظر فنظرت

كان الطفل الخارج من رضع يتقطع بالسكين

على طبق

ويكركر كالعصفور

انظر

من هذا الذبح الضاحك يبدأ خيط النور

نهضت

وقاومت الشيء الميت في روحي
بالشيء الحيّ
بادلت الطفل رسائله وضحكت
كان القتل كثيرا فضحكت ضحكت
فمزجت الغابة بالعصفور .

(2) حين ماتَ الرقصُ على العتبات

أوقفني الريش القائم في غيمٍ

قال   تعال

امتدَّ على سقف الكون   تكون

فأريك الآتي في جيب الغيب

أريك مساجد ساجدة للناس

أريك لجوءاً يتوسع

يسع الخارج   والهارب   والمطرود

أريك جنود الوطن الممتد يهيمون بلا ماء في الليل

أريك صحارى تركض نحو المدن المتراكمة

المقهورة في الليل

تعال أريك الرؤيا

أوقفني في عتبات الفجوة

بين الفعل و ردّ الفعل

انظر   مرآيت الفضة فوق فراش الرؤيا تستلقي

تلقي عطر ضفائرها الشامل

تشملني بالعطر وتسكرني

فدخلت

الشيء الحلو يؤانسني في باب الرقص

دخلت   تعال

انهال الرقص على العتبات   وشدّ يديّ

وقفت على شفرة باب الرقص

وكان الفتيان يشدون خصور الحلوات

ويعزف شيء أسطوري النبع

رأيت الرقص يضج بعنف

يغرق   يغرق

ويموت ببطء   كالشجر المحروق

يتداعى   يتهاوى   ويموت

رأيت الرقص يموت

كأن الخشب المنخور بداخله يتهدم

يتلاشى كرماد الشجر   المحروق

كان الرقص جميلا

كان الرقص المذبوح جميلا

والموت السري يزوبع

هذا رقص الشجر المحروق يموت كموت الناس

بسلال العطر المسموم

رأيت الرقص يلوّح لي بالفحم وبالأشلاء
ويقذفني ببكاء الأقدام المذورة
للرقص   وللمحرق
حملت بكاء القدم المقتول وكان يقول
اعرف وجعي
سيكون الموت قميصاً للمزّاعات البشرية
فاحفظ وجعي
سيموت الخلق المائل والمكسور
يثور الوجع الكوني
احفظني   احفظني
خذ أوسمة الرقصة مني
فقال كفى
الموت هناك يطاردني   وكفى
طالعت الريش الناعم كان يراقبني
تعال   الرقص يموت
يموت الناس على الساحات بلا إيقاع
فالدولة سوف تجيز القتل على أنغام زعاف الشمس
تعال   تعال
تعال أريك الزف الزاهي .

(3) اللجوء إلى خيمة اللاجئين

تعال أريك الجيش الجائع يدخل في سم الإبرة

يدخل فيه الطفل الطائش

والشحاذون المكسورون

ويدخل رعب الساعات المغبونة

والإبرة ضيقة يهصرها الحمل الداخل في السم

هات يديك أريك كنائس تكنس أحلام المحمومين

صلاة المصلوبين

أريك الدين الديوان

أريك الإنسان الداخل والخارج

دخلت

المشهد متّسع كالأفق رأيت الخيمة

كان السهل يسهّل سيل الناس

وباب الخيمة مفتوح

الناس تجيء وتدخل

الخيمة تكبر

والناس تجيء تجيء تجيء تجيء

الخيمة باب للأفق

جهات الأرض تجيء يجيء الناس من المدن التعبى

من أطراف بلاد لا أعرفها

من غابات لن أعرفها

الخيمة تحضن جيش المذعورين الجوعى

المسحورين الجرحى

المذبوحين الأسرى المخمورين

المذعورين بطرد المدن القاتل

تهت وأجهدني الجيش الشارد من أحضان الدفء المفقود

اللاجئ في أحضان الدفء الموعود

تعال انظر

فرأيت المدن الحجرية تأكل من لحم بنيها

والناس تطير وتسبق نار الهجمة

تدخل في تيه الخيمة

والخيمة تكبر تحضن كل الجوع والناس

تجيء

الريش الناعم يهدج أو يتهدج

هذي خيمة ناس سوف تضيق الأرض بهم

وتلاحقهم كل سكاكين القادة و القوادين

تطاردهم سنن الحكام المسلولة من غابات الوحش

تحاصرهم أسياف الجوع ونار القمع وسم الجنس
انظر فرأيت
حضنت الأذرع مشرعة من ناس الخيمة .
هل تعرفني
من اين ساعرف يا . . .
قد جئت لأن الحكم يهددني بالموت إذا ثمت
أنا الشارد من حربات القتل
أنا المطرود من الدار لأن الجار قوي
أنا الميت قبل الموت
أنا وأنا وأنا وأنا و
كفى
أنا في كف الريش الناعم ملتهب
الريش يمد يديه
تعال أمد يدي
ويدي في جلد الناس تدور
تدور
تدور .

(4) الخطوةُ سيدةُ الدرب

هذي فضة أيامي تفتح لي فدخلت
بيديك الغامضتين تفضّ القفل وتدخلني
بيديك الساحرتين تمسّ الحلم بنوم الأطفال
تعال أريك الأمثال
تعال أريك ترى
فهناك ترى الأفلاك تدور
تدور بغير مدار وتدور
وتحتار تضج وتحتج
تهجر خط السور المسطور
أريك شموسا تشرب قهوتها في دار شعوب عاشقة
أريك شعوبا تخلع ثورات القصر البيضاء
توشح أيام الدم بنهضتها
وشعوبا نضجت فاكهة الصبر بصحوتها

فتمال   الخطوة سيدة الدرب
انظر   فرأيت الباب أمامي   همت
فقد كان الذهب الشامخ يسمعني   ويرد سلامي
كدت
وكان الذهب الإبريز   يؤطر باب الخطوة كالتطريز
رأيت جمال القدم الصارم قدّامي يلهج بالبدء
الدرب يطول   يطول   يطول
ويسطع كالإفريز
وخجولا كنت   كالطفل خجول
فجاء الريش اللاثم يهفو ويقول
ادخل   فدخلت
و رحباً كان الباب ورمل الدرب يدغدغ خطو اللهفة
في قدمي
صار الريش معي
في الباب وفي الرمل وفي الخطوة
قال انظر
هذا الباب طريق يعبره الذاهب للمجهول الواضح
للمألوف الجارح
يعبره الصبر المنسيّ
وكان الدرب يطول   يطول
وفوق خيول الحلم قفزت
كنت برغم الذهب الشامخ في الآماق   أجول .

(5) الصعاليك يفتدون العواصم

هات يديك الملهمتين

أريك السبأ الطارج يزدان بزهو الزئبق

هات أحقق في عينيك الأحلام

أريك سلام الأرض لطير البحر

أريك القهر المتخثر في الدم

أريك الهم يغادر عاصمة الأوطان

أريك زمانا يأتي مثل ملاك

وأريك هلاك الطاغوت

يصير القوت صديقا للفقراء

تعال ترى تاريخ التاج يموت

ترى الأرتاج رمادا في التنور

قبيل النور

تعال وهات يديك الضارعتين

أريك نبياً مات نبياً تاه نبياً زاغ
أريك إلهاً سرف
إلهاً مات
أريك الكأس المكسور
لأن الخمرة جامحة
رأيت كان اللون يوجج أفق العينين
رأيت صعاليك الأرض يقومون من الأشجار
من الأحجار
رأيت النار تضيء الوقت لهم وترافقهم
كانوا كالطير
رأيت بلادا تفتح أبواب الحزن لهم
والطير يطير
ويحزم صوت الصعلوك نشيج الأرض
رأيت صعاليك الأرض يغنّون
ويدّاحون كموج البحر المسكون بوهج الجنس
فيشهق قلب الفرح بقلبي
هذا جيش يمتدّ
يؤسس تاريخا يقوي ويغير يغير
هذا جيش جاء يسيّر خطو الخلق
بقلب الشرق
رأيت صعاليك الفوضى يشربون من الصخر
وعبر شقوق النهر
رأيت أظافر جوع تفتح للخبز طريقا

للضحكة جرحا

وتشق شرائع شاخصة في الغدر

وغاب الهدر

الباب يؤرخ يرخي فدخلت

كان عشاء الحب معدًا

مدّ الصعلوك ليَ الأنخاب وقال اشرب

فشربت

الخمر يضج بصخب الحب وكان

الساهر يندلح فطاح الكأس

لأن الخمرة واسعة والكأس تضيق بها

سكر الريش

سيخرج من خمر الصعلوك الغامر جيل بجناح

خذ المفتاح وفض الباب وخذني

عين العصبة موغلة والدرب جميل الخطو

فهات يديك الساكرتين

أريك بلاد الأسماء .

(6) عشاء لضيوف لا مواعيد لهم

رأيت الدم يقيم موائده للمطر الشارد من حضن الغيم
رأيت الريش الساهم يسألني عن لون الفضة
تهت سبقتْ خطاي
رأيت المطر الشارد من ليل الزنزانات
رأيت الزوجات المنتظرات الهطل
رأيت الهمل القاتل يأكل كتف الصبر
سمعت خطاي تئن وتشحذ شوق الكشف
وتدخل غيم الهتف
تشق صديم الفضة
كان الريش معي والدرب معي
ويداي بتيه يحملني فدخلت
رأيت حدائق باكية ونساء وماء وخيط سماء
يخيط فتوق الكون بلهف النسوة والأسماء

هذي زوجات تأرق

هذي امرأة تخلق

هذي أخت هام الصبر بها

كانت زوجات الغائب يغزلن قميصا يلمع كالأفق الذهبي

يطرزن الأكمام مع الأيام

لا يأتي النوم إليهن وتأتي الأحلام

اقترب اقترب

الخيط قوي

والأم تراقب ضوء القنديل يفضض مفرقها

وتقول : سيأتي

رغم سواد الليل

أضيء الليل له بالفضة

يأتي

اقترب

الخيط قوي

الأخت تبشر جارتها وتقول

أخي في الحلم يطمئنني ويقول

امضوا في طبخ عشاء الناس

أنا آت

الفضة يوم الماء معي

امضوا

فمضيت وكان الريش الذاهل يسألني فعرفت

مددت يدي للخيط وكان قويا

نبض الأم يلجلج في قلبي فعرفت
كان الخيط قويا كان
كنت أنا المرساة لقاربها
فشددت الخيط   شددت   شددت
فقال كفى   نهضت في النسوة نشوتهن وقفن
وكنت من الأسماء قريب
الريش يشدّ   فقلت لخطوي خذني   جئت
قال يغيب الغائب في الغيب
وتبقى النسوة في وطن الصبر
وحين يعود
يؤسس للأطفال المحمولين حدائق تضحك
هات يديك إلي   انظر   فرأيت
رأيت الغيب يشرّع أبوابا تهدي الغياب لنسوتهن
تعال أريك الغيب .

(7) الفوضى تشكل المدائن كما ينبغي

ستعرف   قال

وأوقفني في ريف الأسماء

كنت يدين   وقلبا مسحورا

كنت حضورا

قال   تعال

أريك البدء وسر البدء

خطوت

لمست السحر الكونيّ بقلبي

قال   دخلت وكان الماء يضيء

تعال أريك الطوفان يضيء ويغسل وجه الأرض

فترجف   تتداع المدن النائمة النبض

يجيء ويكشط وجه الأرض يشيل سلاطين السوس

ملوك الرجيع

يكنس وقت القادة والأقزام المغرورين
تراث الأموات الحاكم في الأحياء
تعال أريك الماء يخلخل   يخلع أصل التاريخ
المدموي الغامر
هات أريك الطوفان يجيء يضيء ظلام الإنسان
ادخل   فترى الأسماء
دخلت   رأيت
وكنت حمامة يوم الطوفان
رأيت الربع الخالي علوءا برباط الخيل
رأيت النيل يسيل بشهد الأيام
رأيت الشام يشب يصب الكأس
انظر   فرأيت الأحمر في الأوراس يوزع زهر الآس
رأيت المغرب يشرق
كان مرات الأرض يدغدغ جذر النخل ويخلع حزن الدهر
رأيت جبالا خضراء وتحمر
رأيت الصخرة جمرة زيتون في الحقل
ومأرب تنهض تهرب من رقدتها
رأيت   وكان الأرز يهز الثلج   ويلهج في صنّين
رأيت الطين يصير رأيت مصير الماء
انظر   فرأيت الأسماء تعانق ضوء الماء
وكنت أحملق محموما بدماء الماء
بحثت   كأن الطوفان نسي
فتلفت   انظر

فرأيت   رأيت بدون سؤال
رأيت أوال تؤولُ لأهل الدار
رأيت جميع الأسرار
رأيت أوال تصير وتبدأ كالأطفال
دخلت وصرت حمامة يوم الطوفان
وصرت الغبطة في الإنسان
وسمعت الماء   كفى
الريش يقول
فهذا ماء المحتمل الآن
يصير جمال الأرض جميلا بعد الطوفان
فهات يديك أريك جمال المحتمل الحلو
مددت   وكنت يدين وقلبا مسحورا
والريش الفضي يكاد يصير سؤالا
فلذت بصمت العلم
رأيت شريك الشمس يقول
تعال نؤرخ تاريخا ونحققه
نفتح بلدانا ونذللها
تعال نفضّ الفوضى ونوزعها في لبن الطفل
ونمزجها بجنون العقل
تعال نؤسس رفضا في النبض ونمض الأرض
ونغري الشهوة بالغزو وحلو اللهو
تعال نشكل لفظ الحرف ونكسره
ونغرر بالكلمات المتّزنات ونغتصب العذراء

ونلدها أجمل ما نحمل

هات يديك نجر السفن العربات الخيل السيل

ونربطها بدم الأحلام تعال تنام

فهذي العصمة باردة فلندفئها بالحب

تعال الكون يصير إذا ثما ويصير الحلم لنا

فتعال وهات يديك يديك

يصير الشيء الحلو جميلا

عبر يديك .

(8) المرأة تنسج الرايات

يديك دليل الدرب
تعال أريك الحب مغامرة
وترى الشطآن موزعة في كتب الرمل
تعال فجئت
صرت السهل الداخل من باب الصعب
دخلت رأيت الدرهم والدينار ملوك الدار
رأيت سنابك خيل الروم تعود لتغلق كل فتوحات الناس
رأيت المالك والمملوك
رأيت صكوك الغفران تحارب مهد الطفل
وحد الرجل الواقف عبر النار
رأيت تعال تعال أريك العرش أريك الوحش أليفا
هات يديك الساحرتين ترد الدين
ادخل فدخلت

رأيت المرأة تركض بالرايات وتفتح دربا صعبا
تخطو في صحراء الوطن المحزون
رأيت الرمل الفضي يفضفض إصبعها
وتداعب خيط الدم بخطوتها
المرأة ضاربة في تيه المدن الملتاعة
ترهص بالمستقبل بالقبل الحلوة
ترفع رايات المحتمل الآتي
تكتب أياما تزخر بالجنـات
رأيت صلاة خرجت من صلصلة المسجد
وسلّت سيف الكفر
رأيت ختام الصبر النافر
والمرأة في الرايات المقذوفة في الريح
رأيت البحر يصيح كجرح الجبل المفجوع
كان المكتوب على رايات المرأة دمعا
دمع دار الأرض ودقّ جميع الأبواب وعاد
يحرض عين الدم
لكي تهتم
فصحت خذيني جئت
وكان الدمع الراكد في الرايات هناك
مددت يدي ومسحت التعب الكوني
وعين المرأة تحضنني
هل تعرفها
من أين سأعرف

هذي المرأة تعرفني   لكن من أين

ظلّت دهشة عيني سهمتها   فترحت

هذي المرأة سيدة الأحزان

عرفت بأن مدينتها تسكن في صحن الحب

وأن المرأة حاملة الرايات تحقق أحلام

المدن المهدورة تخرج من خامات الطوطم

تلطم وجه الرأس المنحني وتصرخ في زمن الصمت

عرفت بأن الصوت الصارخ في تيه المدن المأسورة

صوت إله يصحو

قالت   أريك إلها يولد من جوهرة في قلب الشمس

حنت   وكنت سؤالا يسأل   صرت ،

(9) بدايات عرس الأرض

فتحت

رأيت سلام الأرض يهيم ويصرخ في الغابات

يؤجج جمر العشق الكامن

يكسر في أغصان النوم الآمن سور الحلم

رأيت حصيص الأرض يفيض بكأس الرقص

فقلت لخطو الريش تعال

فجاء وكنت ألج بفضة أيامي

فرأيت السمك الفسفوريّ يصيح

بأن مياه النهر تجف وتخذله

فتعال ترى

فالشمس على باب الفضة تلبس حلتها تنتظر العرس

تعال أريك ترى فالشمس هناك

رأيت الشيء الحلو يلوّح لي

ففرحت لأن الشيء الحلو سيعرفني
مددت يدي والريش البادئ يحنو يحتكُّ
ويلبسني
ادخل فدخلت رأيت زجاج الشمس يداعبني
فدنوت
كان الوهج يَوْجُ دخلت زجاج الشمس
وكان الباب دخلت
رأيت الجوهرة الحمراء وراء الباب وتفتح نافذة
وتوزع ألوانا تسرق من أحداق العين
رأيت حنين النوم يفور كقلب الحب
تعال دخلت جحيم الجوهر
كان الريش الدافئ يصرخ
كان الريش الدافئ يصرخ بي انظر
ورأيت النور يسافر من جوهرة الشمس
ويحمل ماء يطفئ حزن الأرض
انظر
فعصافير الذهب الحلوة تأتي وتمد جناحات الهمس
تعال أريك رأيت شريك الشمس
وكان جناح العصفور دليل الخطو
رأيت سرير الشمس وسيما كدت أضيع
وكان الجمع هناك
رأيت البشر المنذور يزور حديقتها ويرافق نبض القلب
بحفل العرس وفرحتها

كنت من الأحباب قريب

دفء الريش يصبح كان الطفل به يرج

رأيت الجمع يشير

دنوت وصهد القلب يسيل كنهر اللون

فقال أتعرف هذا الجمع

فصمت أهيم وأبحث عن أجوبة

أبحث عن أسئلة

تنتشل القلب العاصف من دهشته

تهت كان الريش يهدهدني

هات يديك أريك رفاقا تعرفهم فتعال

دخلت وكان الحفل عظيما

وامتلأت غابات الأذرع تحضنني

فسمعت هسيس الأسماء المنثورة هات يديك

فوق سرير الشمس ارتاح الريش معي

هذا عرس الشمس

وأنت شريك الشمس القادم من أرض الناس المأخوذين

بوهج الشمس

انظر فرأيت

رأيت الشيء الحلو رفاقا أعرفهم

لكن من أين سأذكر أني أعرف هذا الجمع

كدت أردت وأوشكت

لكن الريش الجالس في كتفي قال كفى

عرفت كثيرا وستعرف من دون سؤال

جميل الشيء الكامن في القلب يظل جميلا قبل القول

وليس يقال

تعال   فهذي جوهرة الشمس تزف إليك   تعال

كان العرس يصير

وكنت أصير ضياء يرحل من نافذة الشمس

ليغسل يأس الناس .

(10) دخول في الدخول

أعطيت الشيء الحلو يدي
فتذكرت تذكرت تذكرت
تذكرت البدء
تذكرت الخطوة في اللون وفي الكون
تذكرت البحر المرأة الحمراء
تذكرت الماء الصارخ بي ادخل
فدخلت دخلت مرايا الأحلام
وكنت سلام الماضي للقادم
رأيت الأشياء تعلمني
كلمت المحتمل الراكض
قلت سأعرف
قال الريش عرفت
فجئت عبرت جحيم العالم والفردوس

صرت اجس المستقبل

اجلس في راحات الهجس

تذكرت المرآة الأولى تصرخ بي

ادخل   فدخلت

صرت الضوء   تكلمت الماء

رأيت الريش الهاطل من جسدي وبدي   يقول

فقلت

رأيت إلها يولد في مرآة الناس

فملأت الكأس .

11 ديسمبر 1987



(1981)

الی مهیار

هندسة الجسد

جسدي يوازي الغيم ويُغنيه بالمرايا
وليس للمطر طريق سواي
ملطخ بالنداءات التي من الطين
بالهذيان الصاعد الحامل جذوراً
وعطشاً
انحني وأعطي جسدي
للصبايا العاريات اللواتي في الحلم
توازي أعضاؤهن أعضائي
تصير المرايا سريرا للجسد الذي يوازي
ويزهو

منكوثات

ينسى

لأن ذاكرة اليدين مأخوذة

مغمورة بالصلصال

أشكاله لا تلغو تفعل

ينسى أفعاله ويرتكب الجميلة

يعرف أن يديه مربوطتان به

يداه لقلبه

ولا يتذكر الكأس التي عبّها

الفخ

يركض الأطفال بجنون في دماغي

ينبغي أن أفتح الطرق أمامهم

التمائم

...فعرفته التمائم

يُتم صلاته عند انكسار الليل

ويتهجد   سجادته تهدج المرأة

وتربته طينة التدله

وقبلته العري الذي لا يفضح

عرفته التمائم   عرفته

فبشرت به الكنائس ومئذنة النوم

دلت عليه الضريح الذي ترضخ تحته الأم

هاهو يلحد تضرعه في محو امرأة

تلد السيوف

ويخلع جبته المنسولة من الإرث

يتصاعد كطيورٍ   تفرّ من حريق الخرائب

فتعرفه التمائم   تعرفه

خطوة/
محاولة أولى

أمام الورقة

أقف مذهولا مباغتا

من يجسر على كسر هذا البياض الجميل

إشواق

في الهدوء المأسور
أسمع حداء الإبل
وقبائل تزحف
تخوض في أخضر الأيام
فأقبع في أسري
في يأسي المكابر مستسلما
أنسى وأتذكر
وأنسى

الذي خرج من الصحيفة ولم يزل

مرحبا

أيها الفارس

يا قاطع الطريق

الذي عذّبه البرد والجوع

و جفلته الرياح

تعال انكسر في خيمتي

استرح برهة   واكسب السيف كالوقت

هذه النار التي تدفئ الروح   لك

وهذا الرداء المغسول بالطل   لك

والخمرة المدخرة في الخباء   لك

والفرس المتحفزة للجمح   لك

والرمح الذي من البرق   لك

ولك الوسادة

لكن لا تأخذك الغفوة

فتلك القوافل التي تملأ الأفق لك

لك لك لك

لك

حوار

ان اختلف مع الجرح

على ان آتلف مع السكين

الأحفاد

فيما يميل ويتنقل ويتأجج
تصير له ذكورة وأنوثة
وتصاغ التراثات له وتلهج به
ويتصل بأحفاد
أيتها النيران اصهريه وسويه
ينهض هذا الإله الجارح
اجرحي شفتيه وقولي له الكلمة
دوزني الكون وكوّنيها
فيما يتنقل ويتلجلج
يخرج أحفاده من الكتاب الكامن
ويسبقون الحرق يجنحون
يشكّون في الشمس والشمائل
لهم الحرف ولا كلمة تقول ولا تقدر

لا ميل   ولا احتيال لهم

يطوفون

يحصون المداخل والخليج يردُّ السفائن

يسهو عن القتال

ويستبسل في قتال آخر

ويقولون للماء اشتعل

وليس كلامهم كتبا   ولا تكايا

يفكون لغز الوضوح

يقولون   نحن الغوامض

يمضون

يمضون

يمضون

الأرض قيد لهم

والسماء طريق لفخ يخون

محفوفا بالفراشات

المطارد المشبوه المطلوب
الذي تبحث عنه هراوات العسس
يتلف ببطء
إلى حديقة السجن
متأبطا فراشة نائمة

يطلب قهوة وقيدا
فيسأله الشرطي من أنت ؟

عباءة الأرض

من يلم   هذا البكاء ويهديه إلى أمي
لقد أرهقتها بالعياب
صارت في الشوارع محسورة الرأس
تبحث عن بكاء تستر به الأرض
أعطوها بكاء أسعفوها لكي تصبر علي
فإنني أمعن في التيه

رذاذ

أتأرجف على طرف اللغة

أحتمي   أتحصّن بما لا يكفي

بقطرة الكلمة   وأقل من الحرف

أقول لمنثوراتي   لميّ   وتجمّعي   واحتدمي

وأمسك الكلام الذي يتهاطل

تتكسر الرماح والسيوف

والحصن لا يتعلم

المسيح الثاني بعد الميلاد

أيضا ..

سأموت أيضا

النوارس

هل أنت وطني ؟
لست في ريبة ولا في ثقة ؟
ولكن النوارس المذبوحة في قلبي
لا تقدر أن تنام ؟
تظل مرعوشة تنتفض وترعش
فتصبغ ثيابي بأرجوانها
لا تخجل النوارس من ذبحها
لم تكن في ريبة ولا في ثقة ؟
ولكنها كانت تسأل
هل أنت وطني ؟
تلك النوارس المذبوحة في قلبي
والتي لا تنام
ماذا أقول لها لكي تهدأ في الذبح ؟

اشتياق

هذا الرعب المهيمن على روحي
ورثته من طرقة الباب في الليل
الطرقة التي لا موعد لها
ولها كل المواعيد

يطير ويلجأ/
محاولة ثانية

ألجأ للقراءة

البياض الذي في الكتب

يستعصي على اللغة

جسد جمرة   يقرأ في الكفن

والأفق مثل آخر البياض

ألجأ لقراءة ما لا يقرأ

عصفور يتعلم رقرقة الحروف والأجنحة

أتعثّر كثيرا بحبال الغسيل

ولغو الشارع

وشهيق النوافذ

أنفر من الدرس   وزراقة الوعظ

وألجأ   وأطير

دوما أطير   وأقرأ

تاريخ

الذين كانوا ،
كانوا

صلاة ليست له

إلهي
المسْ هذا القلب بقلبك
هل تعرفه   إنه لك

مولع بك ومأخوذ
لكنهم سدوا كل الطرق التي إليك
كل فريق يستحوذ طريقا ويصنع له بابا
ويقول : (بابي هو الطريق)
إلهي ،   دلني على طريق
لا مملوكة ولا محكومة
ولا باب لها ولا جند

الذخائر

أعطاني أن أنقل ذخيرة الليل   في الليل
متشبثا بحبه   وعبادته
البنفسج الذي يحب
أعطاني ذريعة العشق وسطوة التذكر
كانت مواعيده خارج الوقت
في التفاجؤ
يدي صخرة البيت ، ويندس
يوسوس للناس ويفسد السهرة
ويدفع المقاعد للكسر
ينسج حكاية البحر
فيطش الموج   وتتقافز الأسماك   والقارب ينساب
في ليل يتكور على الذخيرة
أعطاني أن أنقل ذخيرة الليل   في الليل

يحلو له هشيم اللغة

يستسلم ويسارر الطريق

ولا يسهو عن السقط والبقايا

ذخيرة الليل

تراثه المستهام الموارى

في حشيشة الزعتر وبركة التوقع

عبؤه الثقيل الثقيل وأغانيه

وغيّه وغواياته في الليل

كنت لا أنسى ولا يرجع الصدى

حين أعطاني أن أنقل ذخيرة الليل

لجأت إلى البحر

عرس أحلامه الدائم المستثار

قلت أزوّج الموج بالذخائر

لجأت إلى البحر

كنت وحيدا على السواحل

والقوارب مفقودة

مرصودة للتجارة والخوف

ذخيرة الليل يا فارس الليل

منذورة في انتظار القوارب

يا فارس الليل

هنا الفوارس مهزومة ولا تركب البحر

والقوارب مهتوكة

لم يعد أحد يطرق الصخر والجدار
سهرة تضج ويفسد الملح
والبقايا تغمر الأفق
لا أحد يحرس الزعتر
يا فارس الليل أعطني أن أملك الليل

الشاعر

الذي خلقته الحرائق
يهبُ الجمر أسماله

زيتون

النوم
في النوم
تبكي في النوم
الطفلة تبكي في النوم
تبكي
ما الذي جعل الطفلة تبكي في النوم
ولا تحلم ؟

اعترافات الفضيحة

لا أنا ذاكرة الناس

ولا غيمة تسكن الجبل

أنا المحو المحو والتناسي

حيث ينفي هواي هواي

وأعفو على صحوة الناس

أعفو ولا أتذكر

تكوين

انحني ..
لأحنو

حصون

أجلس في لغة الماء

واستصرخ   من يحاور ؟

هذه المدينة ذات الآبار المسمومة

مسنونة الأسنان   تفتح الأحضان

تعال

وأنا / لا

من يحاور ؟

لغة الماء في وحشة المدينة

من يحاور ؟

لا أعرف الحروب

أعرف حروف الحنين كلها

ولا أحد يصغي

جيش الأطفال وهمس القواقع والقبرات

أسأل / يسأل الماء/ يصرخ

آه من العطش

اللغة

الطريق الوحيدة لكي يكون الشاعر هنا

وتأخذ إلى القتل هذه الطريق

وحين يصطفق قلب الشاعر باللغة

لا يصدّق أن الكلمات له

والوسادة له

والأسماك الملونة له

لا يصدق أنه / له

الشاعر لا يصدّق

وحدها اللغة تدفعه إلى الثقة و الوحشة

يلبس الماء

يجلس في لغة الماء

قميص يشف عن الإهاب الذي بقي

في المدينة ذات القلعة والقنديل الشرس

لا أحد يحاور

أجلس / ليس لي وهج المقصلة

والوقت لا يسع

وتضيق بي اللغات

المدينة قبر أو نعش يأخذ إلى القبر

يصرخ بي الشاعر الذي تحت الدم / من يحاور ؟

فأكتشف الصمت

ظلال

تشعّ فأصطادها

وأرى إلى الصور تهطل من السقف

رأسي مكشوف كعورة الجبل

والكواكب تحتشد في أصابعي

يغمر الماء المراكب

فتصير الرحلة مغامرة إلى حيث

لا يتصدق الحلم ولا تكذب

تشعّ وبعدها ينتهي كل شيء

حيث يبدأ

سيرة الألف المألوف /
محاولة ثالثة

بدأت

وحيدا

ولم أزل

الدخول الملكي

دخل الملوك

القرية قانعة بحصيرتها الوحيدة

تجلس وتسرّح أحلام أطفالها

طويلة   طويلة

مثل طريق الحرية

لم تكن تشبع

لكنها ليست للموت

تمر عليها العربات

تنقل المناديل الكثيرة

التي يتزوج فيها الزيت   والزنازن

والأساطير تتدافع بلا موانئ

تحرس القرية   لئلا تحمي نفسها

ودخل الملوك

فصارت القرية صافنات عوّجتها الخطائر
فقدت حصيرتها الوحيدة
تكسر المشط الخشبي
تنقلت المناديل بين الدم والدموع
والقصر يلوح بحرية الموت
في أقاليم النخل
صار الملوك في قرية كانت
وللملوك سطوة على الطقس
حتى فسد الهواء
دخل الملوك دخلوا دخلوا دخلوا
ولم تعد النملة تتنازل عن ثقبها لأحد
فالقرية لا تتسع لغير الملوك والخراب

عندما جد الجد

قال البحر :

ابحثوا عن وسائل .

سجادة الماء

يشتري ويعطي ويختفي
أسماكه تبعث الرسائل من حديقة الماء
يكسر الجسور ويهدم لذّة الصيد
ليس لاسمه حرف ولا علاقة له بالريح
السفينة التي أخذت سرها من البستان
حملتني كثيرا كثيرا
وهو لا يعبأ
يهدهد القيد في كاحلي
ويجس / لا تحزن
للأرض شروش من الغياب الكاسر
ينتظر من الساحل إلى الساحل
- من أنت؟
وحين تتعثر الرسائل في الصواري

يعرف   يرسل موجه
فأظن .
لكنه يدفع الياسمينة برفقٍ
يترفق بي   فيمر العمر برفقٍ

إغواء

رأيت الأخضر يغلب الجبل
ويغويه

الأرجوان

أرجوان له كتف لا يخالجه الخوف
وللبندقية كعب يكتمل بالاتكاء
يفتح نيرانه
ظهره للحائط وعيونه ترشد النار
ترش العطر السلاحيّ في الشهقة الأخيرة للأرض
حيث ينتشر الغبش في رجاج النهاية
آه تصرخ الأرض
والأرجوان المتدفق يتدفق
الأرض في الأرض
والناس ينتصرون على الأرجوان بالموت
لا تفتح النوافذ لا تقلب الورقة
لا تسأل الأطفال لا تضع الألوان في الآنية
آه لا تصرخ

الأرجوان سيد الطبيعة
بريده يأتي ولا يعود
آه   تصرخ الأرض في الأرض تصرخ
والأرجوان إصبع في الزناد   كعب في الكتف
و اندفاق يوزع الرسائل/ تصرخ الأرض آه
والناس في الموت لا يسمعون

صمت يجهر

أكثرُ يباساً من الهواء
هذا الكلام الذي يدور
أكثر مهانة هذا الصوت الطالع من قلب القتل
أتلفت في هجوع العالم
وأهرق صمتي مثل ناقوس مجنون

المغرب

محاصر بالرمح ..
والرمية

البحث

تتلاطم به الطرقات
ويتخلل الغبار أعضاءه باحثا عن محمود
محمود الذي يؤجج حزنه وفجيعته و بلواه
يتسارع كما الصاعقة الخائفة
محمود الذي يؤجج الحزن بلا ذريعة
قبل أن يخبو
لا يطيق الحزن خابيا
ومحمود لا يطل
يظل مجهولا تحت مشاغله اللجوجة
كأنه يبحث عن الشيء الذي لا يوجد
مأخوذا بما يسبب الفرح
وهو يبحث عن محمود
لكي يتأجج حزنه شلوا شلوا

نسل الفوضى

أدخلت الحروف في فوضاي
فوّضتها أمري
وفاضت روح الحروف في روحي

من يعدل الكون ويهندس المجرة
ميم
سين
ألف ياء
صاد
لام
ويكسر الخيط ويكسوني
شاهد ينتضي حلم فوضاي ويفضي إلي
أدخلتها وهي حولي جواسق

ومرايا و ترجسات وسبائك
تكتب للاسم اسما وللعربات أفراسا
وترسم الطريق
في الفوضى يلد الماء أخطاءه
ويغفر المخلوق للخالق
للوائق شكا وللربيع شكيمة
هنا ولا لجام ولا جنة
تجهل النطفة تاريخها
ولا ترائب
أصلابها الريب والرهينة
أدخلتها وارتحت في فوضاي
حيث الفضاء يضيق على الكون
ويبدأ في حروف مشحونة
يتهجى ، هذه الأبجدية

الفرح الأول

ضحك

لأنه مات

ماء له ، ماء لي

يغيّبك الغار الكثيف
مكشوفة لي
وأتيك مدججا باستعاراتي
معي الماء والنبات والآيات
لا قيد ولا قرمز
أنت العتبة والباب والمحراب
وأنت الصلاة
كشفك الشفيف
حيث اصطراع الرفقة يغري
واجتياحك
غار وغبار وماء له
وماء لي
أتيك أتيك

أجهلك أعرفك

أصطفيك

وأدخل الخديعة

العاشق

أنا ولدٌ تاهَ

وأغواني هوايَ

ولا أجدُ في نيةِ الحضور

آخر الانتخاب

يتفضحض
وهم يترعون القلب به
حتى إذا سكر الرأس
ضجت الطريق بالتهاليل
وأوشك الوضوح أن يتفضض
تخرج طفلة تترنح
تقول لهم : (ثمالته حَتّتْ فادخلوا
انتقوه)

أيقونة النار الحادثة

السلاحف

تعرف الطريق

أكثر مما تعرفه الأرانب

المهيمن

قلت للسيف   أيها المهيمن
سليل الخواضع والخواشع
مستبطن الخضوع والخوف والخديعة
خليل الخوارج والدواخل
مستنفر الوصول والصافنات
وارث الدم والسبايا   واهب الذبح والفتح
يا أيها المهيمن   هبني مهاميزك اختصرني
واحرث الجوع
يا سيف يا سيف : اكتب تراثي «
قلت للسيف

ولوج
محاولة رابعة

أملك الآن أن أحتفي بالكتابة

أملك الآن أن أحتفي

إذا

إذا فتحت لك لا تدخلي

لا

تنصلي من الوقت

أو فاعقدي المرائي

خلي هلهلات الدمع تنشق

واكذبي على أكاذيبي

إذا فتحت لا تفتحي

لا تفتحي

عشاء المحبة

مائدتي مفتوحة لعابري السبيل
للصعاليك والزنج والخوارج والدراويش واللصوص
والمتصوفة والقرامطة والقراصنة
والذين يسألون ويشكون
وليس لسيوفهم غرف غير الصدور
كسيفٍ من الله جاء
إلى الله يذهب

نجمة الدم

شاهقٌ مثل دمٍ يسير في الطرقات
له أقدام الأجراس وعنق الطريدة
لرأسه غيم ويطرق الباب
لا أحد سواه
دم وحيد في طرقٍ تغص بالفراغ
تظلله السماء
شاهقاً لاهجاً بالفرح الكوني
كان على المنحنى
يبحث عن مقاتلٍ وعدت به الأيام

لغة

فعل ناقص

ونحاة الكوفة
يستبسلون

الطريق

قدماه سكرانتان
في شارع الناس
يتلاطم كالطفل في الحلم
واحدة تتعثر في طين أفكاره
واحدة تتلمس في قصعة الجوع
وطريقه خندق في طرق الناس
في سكرة الخلق
وحش يستأنس الغابة
قل عن الرؤية   عن وجدها
عن قدميك مأسورتين
من أيّ خمرٍ تصدر
ويرصدك الجند في غفلة الناس
تتلاطم   لا أنت تيه ولا تحار

ولا تعرف

تسـأل عن حانة في ساحة الناس

والناس في غبار ولهج

يداه في الخلق   قدمان سكرانتان

فصل الحلم

أيها المستحيل الرابع

ارفق بي

وتحقق

جرح ... ونصال كثيرة

جرح واحد
وكل هذه السكاكين لي
طلعت من تاريخ الجثث
من يحصي جثثا ليس لها عدّ ؟
ليس البحر صادقاً
ولا أخبار الشجر محمولة بوعد
الجرح الوحيد الواحد
مرصود للنصال الكثيرة
والجثث شرفة القبور الطرية   الغامرة
ليست من الحروب ولا البرد
إنها من الأخبار التي تتعفن في الكتب العتيقة
صار أن تهجر المدارس
وتذبح الأساتذة الذين يجهلون

ونرسم للطفل قميصا تطاله الجراح

وتهتدي إليه النصال

جرح واحد وكل هذه السكاكين لي

ولي أن أفضح الموت واستعصي .

في التجربة

عندما كان الحارس يغفو
أمرّ

الأصدقاء يذكرون المشي

أيها الرفاق الذين ماتوا سريعا
ما هذه الخديعة
ماذا فعلتم بي
ذهبتم
فضاقت بي النهارات

الليل لا يسع
وسدنة العقم يخلطون

تكوين

زجاجة هذه الأرض

أين أضع قدمي ؟

أسرار

أرى في المرآة مرآة تكشف السر
وتهادن التواطؤات
أتزوج بها   تتلابس وتمحو أقدامنا
أرى إليها   ترى إلي
ولا تصدّق أسرارنا
فبعد المساء تتهاجم العساكر
ويهجو الملوك رعاياهم

محاولة خامسة/
النص

الورقة البيضاء
سيدة الكلام
وعبدة القراءة
بيضاء بعد الكتابة
وتظل بيضاء

يخرج ولا يرى

يخرج

يوزع لوتسا على الأصدقاء

ويستريح من الوجع الذي تغلغل

ينتظر النسل ويتلفت

فيطلع العوسج باسقا باسقا

باسقا

يتشبث بوجهه مذعورا

سيدخل قبل انتهاء اللوتس

الموؤودة

من قتل الصبية الحلوة
وخبّأها في سرير الأرض ؟
أيها البدوي القديم
لقد رأتك السماء   في تلك المساء
وأنت تمسح يديك في ردائك
هاهي الصبية الحلوة
تشير إليك من هناك :
(كان يقول لي : خبأت لك هدية هنا)
وراح يرفع عن غطاءٍ عن درج
عن سريرٍ عن وسادةٍ من الحجّر
ولم تكن هنا هدية ليّ
طوى ضفيرتي الطويلة التي ربيتها حول رقبتي
وربط بها يدي وقدمي

وقال : (انظري إلى هذا الوشاح)

ثم هال التراب

رأيت إلى السماء نظرة أخيرة

كأنها الأولى .

ولم أنس

الحكاية

العصفور يبني أراجيحه

صفاره للريح
والأفخاخ منصوبة

القنديل

أنا الغامض الذي لا يتوضّح
ولا يقبل التفسير
الغيم يقرأ المطر
الشجرة تحاور الريح
الرمل يحزم البحر و يزنر السواحل
الجرح يصادق النصل بغتة لكنه يفهم
وأنا الغامض الذي ليس للوضوح
أغوي النجوم أسوّيها أحذية لكلماتي
وأعيّن الجبل لدخول البيت
الصوت لي
والسيف لي
لكم الجرح والحنجرة
ولا أقبل التوضيح

قصيدة

من يقدر أن ينازل
قصيدة لا تنهزم ؟

أبانا الذي..

موجة تنتفض خائفة

من الموجة التي تركض بعدها

والبحر المتعاظم الجبار

غامر في الأفق والبؤبؤ

أصرخ به

أيها البحر الأب الذي لا يهتم بنسله

ارأف بها

إنها مشمولة بخوف عظيم   وتبكي

الخريطة

ينظر الأطفال إلى الوطن العربي

فيهلعون

شمس ليست لنا

أيها الرجال

تحسّسوا الصارية

والطقس والمناخ

ثمة شمس ليست لنا مرصودة للشرق

وتلك الريح الوحيدة التي تنتظرها

مربوطة بالضفائر الكثيرة

يا رجال

اتركوا صليل الجسد يذهن الدقة

ويحرس المرافئ

ويا نساء

أرخين أحلامكنّ أيضا وأيضا

فعندما تغتسل الأمواج بشهوة السفر

تصير الأشرعة تاجا للبحر

ويلتئم جرح السواحل الموحشة

أيها الرجال

لم يبق لأصدقائنا القراصنة خبز

ولم يبق ملح

فالشمس ليست لنا

والريح الوحيدة وحيدة

النساء في الزينة

ولهنّ الفزع والفجيعة

السفينة لرغبة الرحيل

والخليج ميناء لا يتسع

لتظل الصواري منثورة

كرماح راكضة نحو الأفق

أبعد من الشمس

الشمس التي ليست لنا

يا رجال تحسسوا

إن الشمس التي ليست لنا ليست لنا

الذبائح

أيها الأصدقاء الذين بعدي
لا تشربوا من ذات الكأس
ذات الخمرة
كانت خمرة فاخرة
سكرت بها سكرت
سكرت وتمتمت
وتعلمت أيضا
تعلمت أنها كادت
وأوشكت أن تفتك بي
فقد شربت من الكرم التي
لم أزرعها ولم أحرسها
ولا أعصرها بصبري
لا تشربوا ذات الكأس

ذات الخمرة

ازرعوا كرمة جديدة

واعصروها بأيديكم

وعبّئوا قنانيها ورصّوها

وعتّقوها طويلا

واصبروا عليها اصبروا

فالحفل لا يأتي على عجلٍ

والوقت يأتي في وقته

أيها الأصدقاء

أول الاحتمالات

مقتولة الأحلام
لا جنّية ولا تعشق الماء
تأتي من حيث لا تتوقع لها
ولها نخل وخيول وزعفران
مربوطة بالتذكر الصاعق
- هل أنت واحدة أم كثير ؟
ولا تأبه كأن لا أسئلة تستعصي
والشعر أجنحة وأفق وحنين لها
ولها الزينة وأسرارها
والمرايا مرصوفة للقوانين والقيد
ولا تأبه كأن لا حدود تستعصي
تقذف حبل أحلامها
وتظل مربوطة في عروة الريح

أحوال النهر والنساء

اكزّ على قلبي

والهلع في رأسي

أرى إلى الفرات هاربا من القتل

هاربا   هاربا من النهر ينز

أرى إلى الدم المدفوق في السواحل

والخليج نساء في الخدور

يغرقن في التعاويذ

أرى إليه راكضا   راكضا

والقتل في الطريق و الخطوة

افتحوا

افتحوا له الفضاء

أيتها النساء اخرجن

أطلقن سلاما لهذا الفرات

الهارب   المشرد

حليبا له كطفل

حليبا لئلا يموت

سلالة

قالت أمه

جئت من رجل مزج البحر بالحديد

حمل أسماكه من القواقع

حيث نجمة البحر تصير فرسا

ومن الدم يخرج الحبر و الكتابة

يطرق طويلا على الرمل

متأملا   مأخوذا

ويهديك خواتم وأختاما وشوما

لم يتعب

تعب الحديد منه   وتعبت الموج و العناصر

جئت من كل ذلك   فأين ذاهب الآن ؟

أهيم يا أمي

أحلم أن أكون شاعرا

امزج العناصر و أزهزه لها

أناقضها   أؤالفُها

وأبني جسورا مكتظة

لا لأحدٍ فسحة عليها

يا أمي

متى أصير شاعرا   متى

ولي أطفال و زوجة تقول :

جئتم من رجلٍ مزج الحلمة

بالحلم

الحارس

في عريشتي
لا أغفل عن ذلك العرش

المأخوذ

يشعل الشمعة الوحيدة في البيت
يفتح باب الغرفة الليلية
التي ورثها من الأجداد
يدفع قدمه الأولى ببطء
ويدخل المكان الذي بلا ضوء
يجوس بالشمعة الشاهدة   باحثا عن الظلام
تنطفئ ويشعلها   تنطفئ ويشعلها
الثقاب يكاد ينتهي   ولا يجد الظلام

القلق

هذا السـرير الشاسع

يجعلني أتعب كثيرا

قبل النوم   وبعده

اعتراف

دعوني أشرح شهادتي

(لقد قُتلت) .

الخبيئة

حزين

وبأسي يغمر البيت

فأولاد النمور يوارون عار الجنازة

لا أدخل في خشية الكشف

أفضح صورة يأس بأمل

أقول للجنازة يا جنازة

أفسد عرس البهائم وأخرب البيت

مدججا بالحزن واليأس

واثقا في خبيئة الرماد

للبحر تحولاته .. أفسحوا

من رأى بحرا ضيقا مثل هذا!
ضيق ضيق
مثل بؤبؤ العين
أعني من يرى ؟
رأيت
وبضيق / أصغر بحر رأيت
لا يكاد يتسع لسعلة نورس غريب
ولا تجد الأسماك الصغيرة فسحة
لكي تستدير
أديروا الكلام
وحدها اللغة تخلع الصور وتوزعها
لست / وحدها اللغة
فيدخل البحر في الأروقة

أصغر من غرغرة القواقع

مخنوقة

حتى لكأنه لا يكفي قبعة للجزيرة الوحيدة

في البرد تظل الجزيرة الوحيدة

مكشوفة الرأس وتظل وحيدة

ترسل الريح أخبارا لها

والعاصفة بلا معاطف ولا تصل

ضيق

ولا تملك أن تصنع منه قميصا لطفل

أصغر من منديل الوداع

بحر صغير ضيق مثل هذا

ماذا أفعل به

بحر له أظافر وأشرس من العصافير المذعورة

الذي يعرف البحر الصغير الضيق

يحق له أن ينشر قلوع البكاء

فالجزيرة أكبر من البحر

البحر أكبر أكبر

وأكثر اتساعا ومجدا

مفتوحة على سماء وأسماء

وسرائر ليست للعلانية

والبحر أضيق من الكتب والزنازن

ومن لقاءات السجين بالزوجة

هل البحر ميناء

هل هو وتد لخيمة القبيلة

هل دمعة الأرض المسورة بالصحراء

وأين تذهب السفن كيف تبحر

والمسافرون والرسائل

والأشرعة والأسماك القديمة

بحر؟

حتى إنه لا يغسل الحرف الأول من الكلمة

حتى إنه لا يوقظ الجبل

وليست للمآتم حظوة لديه

أخباره له

أخباره له له وحده

أي بحر بخيل هذا

لا يسعف الغريق

ليس يسمع ولا يرى

لسان ولا يفهم اللغات

أديروا الكلام

أعطوا البحر أن يرفضَ

أن ينهضَ

امنحوه سعة

وكثيرا من السواحل

نشيج

تشبثت بالحب

في الأفق جبانة

غزالة الليل والنهار

من العتمة إذن
تلك العتمة الموغلة في الضوء الواسع
جئت يا غزالة ساحلية
من هناك
حيث لا يرى في الضوء
غير الظلام الأبيض
من العتمة
حيث لا النهارات تسع العمل
ولا الليالي الطويلة تسع الحب
أيتها الغزالة التي من هناك
توغلي في النهار والليل .

تجليات العذاب/
محاولة أبدية

يفتح أوراقه   يمسك القلم

يسطع البياض في الشاطئ الفسيح

يقول سأكتب

كيف أكتب   متى أكتب

ويزيد الأوراق مساحة تلهج

في البياض

قلمه يرتجف بين إصبعين

يكتب / يمحو

لا يكتب

لا يعرف أن يكتب

لكننا نقرأ بياضه بانتشاء

صوت ينتصب للخارج

لست للنشيد

لكن للشارد من عتمة القبيلة

للخيل وهي تحرن

وتفرك الأرض

وتستبسل ضد السقيفة والفتنة

للخروج

ولست أعطي بكائي لتهويدة الوأد

صوتي لنهر يجنح عن عادة الماء

للحرف ضد القواميس

والنحو و الصرف

للشعر في النثر

أغني الشريد في صرخة الليل

أغنيه مستقبلا سوف يمضي

ذهب سعيداً في الموت

هو ذلك
كان صديقي
الذي فتح جسده يستقبل النصل
ليس مجنوناً ولا طائشاً

كان صديقي
الذي يفتح الكون باللغة
وضع شارة لمسيرة النخل
قال انتهى
ولم يكن يهجس بذلك ولا يستشرف
أسس لكلماته مناخاً
وألقى بجسده في طريق الأقدام الحماسية
قال أنتهي مع النخل

سمع المطر في بكاءٍ والأرض تنشج
يهاجم المدينة بالقرية
ويحزم الحجارة بالعشب
أحداقه كالوقت
مزج الحبيبة بالوطن
وأسس لها مجدا من الكلمات
يقتحم يهاجم
حواره لغة تعلم الكلام

هو ذاك
وكان صديقي
مولعا بافتتاح الأفق والفروق
سريعا يصوغ مخلوقاته
سريعا يقول سريعا يفعل
وسريعا يموت
التفت يسأل فأدركه النصل
فتح جسده ودخل القتل
كأنه لم يطق الموت بلا موتٍ فمات

هو ذاك
صديقي الذي كان
صغيرا على الحب والشعر والوطن
صغيرا على الموت

لكنه مات

هو ذاك

الذي كنت صديقه

والذي لم أزل

الحجر والقاموس

أبوح بأحجاري

متوسّلا بالرماد

وأغادر سلالتي مثل أقحوان الطبيعة

لغتي ملطخة بي ولا تفسرني القواميس

بيان قطاع الطرق

سنفضّض القدم العارية بتراب السماء
ونسوّي طريقا لا يهتدي إليها الغزاة
نفتح للأطفال سبل الخوف و الخشية
ولا نعد الحبلى بوضع آمنٍ
أو مخاض خالصٍ
لنا الجدار الوحيد أمام الغدارة
ولنا الخشبة التي من البصرة جاءت
مطلولة بالسيّاب ورسائله   بالحلاج وأخطائه
ولنا رماح الخليفة   مخلوقة لنا   لنا وحدنا
حيث القدم العارية لا تخجل من الريح
ولا تعبأ بالسماء
وحدنا الخشبة والخرقة والخرافة
والطريق التي تهيم وتخدع

الانتظار

أحيط بكل جراح الأصدقاء
صاهلا مثل يمامة
أحشو معطفي بالجراح الصديقة
وفي السفر
أضع كفي في معطفي
فتطير العصافير في لون أخضر
مثل قلب فراشة
أعرف أن جراحا جديدة
يهيّؤها أصدقائي
تنتظرني
فأنتظر بشغف شامل

صورة الجسر

للجسر الراقد

بين ميم المرارة ... وميم المأساة

حيث هنا ... أبعد من ... هناك

كتبت رسائل كثيرة

كلماتٍ لها شكيمة أقدامي

حيث الأسود الذهبي يصير بساطا

ويتواطأ مع الجند

كان الهدير والهراوات والهروب الذي لا يقف

الأقدام في رقصٍ ... والبحر يحرس

الرماة في الجهات والطلقة قيد للقدم

والخطوة تسبق الطريق

جسر المذابح كان

عن أي شيء كنت أبحث

من أي شيء كنت أهرب
من كان يصوغ الآخر
تهتف النوارس والمراكب والبيارق
والشمس كانت وحدها
وحدها تقدر على أقدامي
لصهل مغمورا بالرغائب
على كتف الجسر والجسر يحنو
يصير راحة وحريرا ومراوح وحرية للحلم
مكشوفا للسماء كان ،
وللرحيل الذي يأخذ إلى التجربة
أيها الجسر الذي علمني الخطوة
وقال للطريق : خذي هذه القدم
شبت عن الطوق والطريقة

في حضرة السيف

بين القتيل والآخر
يجلس على سرير أحلامه
يدفع القهوة إلى سيفه
- إشرب   إشرب
هذه قهوة تدفئ الأصابع
وتجعل الشفرة العادلة   أكثر عدلا
وتخلص الجبان من شهوة التراجع
إشرب   بين القتيل والقتيل
يبحث عن سرير وعن قهوة
وسيف لا يعرف الوهن

الأغنية

أبحث عن الرياح المائلة
التي تسعل لشدة العشق
تسعل وتطرش المناديل بشظايا الصدر
وهشيم الصندوق
في أدراج هذه الرياح
أطلق صوتي بالأغنية
حيث لا مناجب تقرض الصدى
وليس للستونو وحشة ولا يخاف
أجمع أشتاتي وأدخل المناديل
حيث المرض الصادق
الأقوى من العافية وأبعد
أدخل أدراج الرياح
والأغنية والسعال الصديق

بحر

لا يهدأ ولا ينام
أفراسه تتدافع في نشيج
تشج السواحل وتقلع المراسي
أفراسه البحر وأفراسه
والجنون الجميل
لا سرير له ولا يهدأ
يطلق الأزرق
يمزج صبر القواقع
بالرمل والرمل والرمل
الرمل في السرج
بحر له حصة في التعازم
بحر وأفراسه حرة

طلقٌ آخر

فليسمع المحشورون في صدوقة الكتفين
هذا النواح
وليحنِ كل ذي رأس رأسه
والمعارون من الكتب
والذين ألسنة كثيرة ليست قادرة
هذا النواح
ليفتح الهائمون في الغياب الأخير
ليكن لهم خيال الخبز
وحنجرة البجعة وقت الذبح
ليسمع المهانون بنحة الحياة
وأشراكها
هذا نواح
ليس محمولا ولم تطلقه امرأة

وليس له غصن ولا تاريخه كتابة
ومنه يتبرأ الهواء
ليسمع المخلوعون من أحداقهم
ومن له ساعد فليسمع
هذا النواح
النواح

الرمح

برته الأيام
نحيل   رهيف   مشحوذ
انظروا إلى هذا النصل
كم هو باسل   بارق   وينتظر

المائدة

له امرأة تنام في عريشة العنب
وكلما طال انتظارها
توغل النبيذ في التاريخ
فتضيف كأساً جديدة إلى المائدة
ليسكر حتى الصباح .. حين يأتي .

مثل يافا

بياض

بياض أخضر

مثل أفيالٍ كثيرةٍ تركض

والغابة لا تستيقظ

لا تعرف الكتابة

ولا تتعلم

ذاكرة ذلك كله

بوسعهم أن يغنموا القهوة والنوافذ والدفاتر
بوسعهم أن يسيجوا الأشجار والنهر والأساطير
بوسعهم أن يعبّئوا الغابات
في القوارير والأحزمة
بوسعهم أن يقطعوا الطرق
في وجه البريد والنحل
وهذه السواحل الرشيقة
لهم أن يحيلوها جبانات ومواقف للعناكب
ولقبضاتهم حرية الانتقال بين الريح
والضريح والمواكب
بوسعهم أن يفعلوا ذلك كله
ولكن بوسعنا أن لا ننسى
أنهم فعلوا ذلك كله

الفخ

على صهوة الماء فيضٌ جذّفت !؟
أمذي ولستُ لأهوائيَ الصحو
للريح لو تستريح
اعترضت وعارضت خيط الصلاة
هو الماء يهشل بالسرج ضعضعت ضلّت خطاي التقيت وللماء أشراكه
تلك عيناي في جلجات وفي غفوةٍ سوف تصحو تشكّ وتهذي لكي
تحتذي آه ضعضعت عظمي على صهوة الأرض يا شرك الماء خذني
تهالكت في ولع واندلعت ولا فيض لي مثل نهرٍ نبيّ سأمحو الطريقة
جذّفت أمحو الطّريقة جذّفت أمحوك أمحو الحنين إليك وأرتاح في
صهوةٍ أنت صوت ولا سطوة سوف أجتث أجثو ضريع وأجتازه ليس لي
ليس للمثقلين بإرثٍ ثريٍ ويكبو ترنحت في خمرتي ثم
جذّفت جذّفت جذّفت جذّفت جذّفت
لا قاربي في وصولٍ ولا الربُّ يعفو

الجنس المحايد

رأيت الجنس الحايد يحكم ويتحكم
يحتكم إليه الرجال والنساء
والحيوانات الملبونة
فيخرج نسل دميم مشوّه
ليس طفلا   ولم تلده النساء
ولا للرجال . من يقمع الجنس الحايد فينا

حضور الضمائر الغائبة

الغابة الجميلة الشرسة

تحتازني ،

سوار من الوحوش التي تغيب

ابحث عن وحش يعرف اللغة

ويفتح نوافذه لي

لي لي لي

فقد اتسعت الصحراء في قلبي

اتسعت

قلت يا أصدقائي الذين في الاحتمال

البسوا أظافر الضبع

وهيئة الذئب

وصراحة اللبن

وتعالوا

أيها الأصدقاء المشردون

في القرى والمدن والبراري

تعالوا

بذاكرة الكلاب المخلصة

برعونة الوعول وسياسة الثعالب

تعالوا فالغابة الجميلة تفقد طراوتها

ولا يصير الليل فضاءً

ولا الأحلام نوافذ ولا الوحل

الوحل العظيم الذي اغتسلنا به

تطهّرنا بقذارته المقدسة

من لي

والغابة ذات الجمال والحبائل

والقتال الضاري

صدرا عاريا

حيث لا قميص الطين

ولا أصدقائي المدججين بالماء

من لي من لي من لي

الوليمة

ذئاب وتقتتل
من يأكل الشاة
والشاة
فريسة الأساطير لحم التمائم ترجف
اقتتال ومن يأكل الشاة
استغاثت تحركت
ثم كادت
فدار الذئاب إليها وأشبت
ذئاب وشاة
فلا تحلموا بالفرار

الخروج من الطين

لست بريئا من القتل
قتلته
ذلك الدم المؤسّس في جسدي
الكثير التوله
قتلته
كان صوت له احتضرت
وقلت
لا يخرج من غفوة العشب
فأعطاني خرابه   والنزف المهودج
قتلته
فلم يتأرجح الشنق في بلاد مثل جسدي
شاهقا كان   عكازه النخل كان
وأكثر رعبا ورهبة من النوم

أصفاده في الطفولة مرصودة

هيأ القتل لي   واصطفاني

أحداقه في كاحلي

وفي كاحلي يسرج الجرع

متُ احتضرت

متُ شريدا   متُ وحيدا

ومتُ

صوت كان يتقمص الكلام

ويستغرق

قتلا   قتلته

شحذ العظم قيدي

وصار سيفا مكابرا

قتلته

لست بريئا

تبرأت من جسدٍ يمعن في التوله

أيها الغريب الغريب

صار في أقدامه شوك
ولا يأمن السمة
كل راحة فخ أو احتمال له
يستجيب لكل الغوايات
مرة قال له الغريب
(أيها المطمئن ذو اللسان الأعوج
تعال)
فلم يتأخر
ركض في طريق على كل الطرق
تقمّص الظلام فأبتكر ضوءاً
تاهت له الأبصار
قيل جنون
وقيل خرس يدب في اللغة

أيها الغريب الغريب   تأخر
يطرح أسئلة على الأجوبة
يستسهل المعجز
ويأخذ الجبل في رحيله
لم يقنع بالنهايات وأطراف الحروب
حروبه القتال الطويل والترصّد
عقد أحلافا مع المرايا
وراح يغرّز بعذارى الكلمات
ويزني بها   فتسمو
يبحث عن الواضح الذي صار ،
يؤالف بين الوحش والغريب
يقول للرمح   أنا نقيضك
يصغي إلى الطريدة التي تتدافع
وتتدارك   وتهفو   وتعثر على حليبة الطير
تنقاد لهوى السماء تداوي جراح النبيّين
تدنو   تتغافل   تغفو   وتتداح
لها   للتي ضاع ميراثها
تتناعس   وتلهو
لها   للتي ليس ميعادها في وصول
وتنجو من الحياة
يصغي إلى الطريدة يصغي
ويغلق الصحراء في وجهها
يقول لها   ارجعي

طاردي الرمح والرامي
لا رمية أنت
ولا فلاة مفتوحة
أضيق من خاتمٍ هذا المدى
أضيق
فاسترجعي وارجعي
واستعيدي عنصر المذابحة
له الغابة والغيم ويغوي
يهدهد القتلى ويحنو على الدم
عيونه تحضن الأفق
ولا باب جدير بالثقة
كل نافذةٍ تطلّ على سجنٍ
على قيدٍ وزنزانة
مفاتيحه الريح والراحة نعش له
أو ضريح
لا يطوي مزاليجه إلا عند طفل
وأطفاله طلع وطيور
يبسط الماء لأوهامه سجادة
مرّة قال له الغريب
(أيها الغريب الغريب
أجّج لغاتٍ
وافتح كتابة الماء
افتح صلاة بلا إله)

ولم يتأخر
ركض في طريقٍ طفلةٍ
وازهرت أقدامه شوكا
أيها الغريب الغريب
لا يتأخر العرس
تأبط أحزانا كثيرة وجاء
وكان قد اكتشف طرقا في الطريق
وأسئلة   وشكا في الأجوبة

مبعوث الكواكب

رأيت البيارق تملأ الأفق
تميل وتتدافع
ويرشح منها الأرجوان
أخضرها يحضن الرمل
والهوادج تهتز وتتغنج
مكنوزة بالهدايا
رأيت البيارق والبرق سقف لها
مثل عرس تماوجت
ربما كانت الخمرة كان النبيذ
والصبايا المحجولات يسترن نهودهن
بصدور الشباب ويصرخن
مهتاجة هذه الأرض
رأيت البيارق مغسولة بالغيم

وباب السماء

المبارق في أرق الخلق

ماذا / سألت

شهيد يتزوج الأرض

وهذا احتفاء له

إشعاعات

(1982)

إلى الصديق الشاعر عبداللطيف اللعبي
وإلى محمد .

أوراق الجاحظ الصغيرة

مخطوط

تقول لي جرادة الذهب
وكنت في الصلاة

تقول لي :
(طير من الفلاة
يجيء من عذابه
فافتح له الحياة)

رأيتُ
جاء الطائر الغريب
وكنت في اللهب .

رسالة

سمعتُ يا خاتون
قالوا بأني خاشع في طلل مسكون
وأنني خلعت ثوب الله
أظلّل الشمس
أسوّي شك هذي الأرض
في ترابها يقين
أعرف يا خاتون
تبقين لي وحدك مثل الوشم في العيون
سوف يقولون بأنك الصدى
للعاشق المجنون
أعرف يا خاتون .

صوت

قام أبو عثمان وصلى الفجر وحيداً
خطّ المخطوطات وحيداً
قام وجفّفها في شمس الله
وكان بقرب الله . . . وحيداً
قام ليرسل مخطوطات الشمس

لخالق الله

وكان الله يرى

أبو عثمان يقوم يصلي العصر وحيداً

ويعود جواب رسائله الشمسية

أسلحةً وجنوداً سجّانين

ومحترفين

وما زال الله يرى .

مخطوط

وحيد ليس لي أم ولا ولد

صلّوا معي

لكنهم في ركعة النيران لا أحد .

رسالة

صادفت الشمس ظهيرة يوم السبت

تعملق في مرصديَّ المنصوب

على سطح الدار

صادفت الشمس وكنت مريضاً من شكي
مريضاً حتى عظمة قلبي
والشمس المقذوفة في أفق المنظار محايدة
وأنا بالشك مريض
الشمس محايدة
أسألها

الشمس تضيء وتغمر بالضوء مسافات
بين النهر وبين البحر
أسألها

الشمس محايدة
تختال وترسل ضوءاً
لكن كلاماً لا تتكلم
أسألها لا تتكلم
فأروح أحملق في المنظار وأستقصي
فالشك يعذب روحي

والشمس محايدة لا تتكلم
فحملقت وحملقت وحملقت
حتى جحظت عيناي
جحظت عيناي
وظلّت شمس الناس محايدة .

صوت

يتقصّى لغة الرمل
يحثو عليه السؤالات
يحنو عليه ويحتال
والرمل يعطي قميص الغبار إلى الريح
الرمل يختال كالخيط في خرقة بالية
ماذا يقول الغبار عن الرمل
والريح تركض في صخرة خالية .

رسالة

يتدافع نسرين الكلمات و خاتون معذبة العينين تحاصرني بشهيق الشهوة . هذا الشيخ الموغل في عزلته . نسرين الكلمات و خاتون وشهوتها وأنا . نتدافع في جسد طفل . عينان معذبتان و خاتون تقاتلني بالنسرين . يضج الشيخ بجلدته ويقفز ينز وينضح ماء العشق . رأيت الشيخ يراهق في الستين . الشهوة يا خاتون ستفضحني . فهشيم الجسد الطفل يشيخ ارتدعي يا كلماتي .
لا ترتدع الكلمات
و خاتون معذبة العينين مراهقة بالجنس الناضج كالعينين الجاحظتين بفعل الحب . ارتدعي .

لا ترتدعي   يا كلمات النسرين

ويا خاتون   ويا شهوتها

لا ترتدعي

لا ترتدعي .

رسالة

مفتوحة فوهة هذي الأرض في يقظة

عطشانة للماء

والنهر قارورة

حبيبتي خاتون في زينة

امام مرآة على رأسها

زجاجة

والشمس مكسورة .

صوت

سمعت صوت الله

يأتي مع الغبار

الماء والغبار

يقول لي (وضعت سرّ القول

في حجر الفعل وماء الفعل)

سمعته وقال لي

وكنت في انتظار .

بدأت من ماء ومن غبار .

مخطوط

أنتخبُ الطينَ أسويهِ

في صورةٍ

لا تشبه الأسلافْ

لا يعقدُ الأحلافَ في مادبةٍ

والماء في فيهِ .

رسالة

مرّ أبو عثمان

وكانت أنخاب الدولة تنداح

وكان العرس يكاد

فمدّ يديه وشدّ رداء النعش

فبانت جثتها　　　تتفسخ في بطء

والعرس ، جريمة هذا العرس ، يكاد

ما زال أبو عثمان يمر على الأعراس العربية

يفضح جثتها　　　تتفسخ في بطء

والعرس　　　العرس الوحشي يكاد .

صوت

جلست إليه أحاوره

أسأله عن أسفار لم تبدأ

عن أسفار بدأت

عن أسفار تحلم بالبدء

وكان دوار يلعب بالرأس .

توسّد رملته

مدّ يديه　　　مرّغ خدّيّ بزرقته

رشّ الطمي الحي على شعري

قال :

(ارتاحي ، يا خاتون

فأجمل أسفاري ما بدأت بعد
ولديَّ رفاق ينتظرون
وكلُّ نخيل الصفة تحرس أشرعتي و رياحي

ارتاحي ارتاحي يا خاتون
ففي بغداد رفاق ينتظرون المركب
في بغداد المحصورة في قوسين
تسهر تحت شموع القلب
لتقرأ مخطوطاتي
هناك رفاق تعشق مخلوقاتي

يا خاتون ارتاحي
ارتاحي فوق وسادة هذي الرملة
والأسفار الحالمة المرصودة للفجر
لصلاة الفجر ، يحين الوقت لها
يا خاتون
يا خات)

تهدّج في الصوت عذاب حلو
واسترخى في ريش الرملة

كان النهر يصلّي في محراب العزلة
كان النهر يفيض .

صوت

أمتد بين الشك واليقين
أمتد كالمعين
أمدّ أضلاعي لفعل الفعل
لا ترخو ولا تلين
فلا تقولوا للذي نام على كتابه
إياك نستعين .

مخطوط

لاقيت وحش الغاب
كلّمته
كلّمت في لسانه البشر
أخبرته كيف يموت الناس في صمت
على فجيعة
وينطق الحجر
صادقت وحش الغاب
كأنني الريشة في مخطوطة
كأنه كتاب ..
يعلّم البشر .

صوت

جلست في غمدي
فليس سلطان بني العباس أو مروان
قضيتي
فقلت يا وحدي
فجاءني جيش وأغويته
بمائيّ المغسول بالقند
صرت كثير الجمر في عزلتي
كأنني ... كأنني وحدي .

رسالة

لست منسجماً
ولست مهيأً للانسجام .

مخطوط

جحظت عيناي وما سألوني يا خاتون

جحظت
والأسود في عيني حبر مسجون
فسهرت أوشوش أوراقي وأنقّحها
وأخيط الأرض بأحداقي
وأفتّقها
طفحت بالحزن
وما سألوني يا خاتون
فبأي عيون
سيراني الله ، وعيني في العقل المجنون
وما سألوني يا خاتون
ما سألوني .

صوت

قالوا :
(لقد ضاع أبو عثمان في ظنونه
وباع ثوب الله بالحجر)
وكنت مثل الماء في جنونه
قلت لهم :

(تشابه البقر) .

رسالة

من يقرأ تاريخ الكلمات العربية
من يسمع خاتون البحرية
صارخةً في برية هذا الشرق
من يجرؤ أن يسأل عن حجر يحمل طعم الحرق
من يعرف هذا الحجر العربي العاشق
يعرف خاتون .

صوت

- بالله يا شيخ أبا عثمان
أصِغ لنا طلّسم هذا الميل في الميزان
- أطلسم؟
تلفّتوا
فقد ترون عورة السلطان

- لكنه مدجج بالسيف والقرآن
- مدجج ؟
فلتكتبوا قصيدة الرمّان
- قصيدة الرمان ؟؟

مخطوط

هيّأتُ أشكالي
لأخلع الأرض التي تعفّنتْ في ثوبها البالي
وصفت أمثالي
لكنّني قُتلتُ قبل الموعد التالي .

مخطوط

لجأت للغفلة في سلالة البهيمة
أيقظتها
علّمتها
جادلت فيها الصلة القديمة
وقلت يا بهيمة
تدفقي بالقول والحكمة يا حكيمة .

صوت

قال اخرجوا من شرك السلطان

من دمائه النظيفة

من يقبل الحياة في جنازة

والموت في قطيفة

قال	خلعت سيدي

فلا يد على يدي

منتشر في ناري الأليفة

قال	ادخلوا

تيقنوا بالشك

صرت سيداً

ورؤيتي سقيفة .

مخطوط

أرّخت للدماء في سرادق العروس

وقلت للطاووس :

تصير غرباناً على الذبيحة

أرّخت

كنت الكتب الجريحة

مصابةً بالكتب الفؤوس

بعثت أوراقي الى رفاقي

أرّخت

صارت جنتي بغداد

آه على بغداد

محزومة بالماء و الزنازن الفسيحة

أرّخت للعروس

لو أرّخت غير الكتب الكسيحة .

صوت

مرّوا على خاتون

وعالجوا فؤادها بالشعر

قولوا لها :

يا نرجس العيون

مات أبو عثمان قبل الماء

ولم يفكّ السر .

يونيو 1979

إشراقات طرفة بن الوردة

(1)

خذيني

فرحة الأطفال في لعبتي

وفي أحلى سنيني

موغل في البحر

خيط الشعر أشرعتي

ولي سفن موشّاة بأزهار الحنين

خذيني واقتحي شبّاك هذا الكون

مجنون أنا والعشق قافيتي

وطفل في جنوني

افتحي

ولتأخذي حلماً تقصّد في دمي

كالياسمين .

(2)

أتوهج في السجن رهيفاً كالسيف
أحاور حزن الصحراء
فحين تصير الزنزانة ضيِّقةً
تتوسع في قلبي الأرجاء
فأدخل بالشعر مغامرةً وأصير حروفاً في الأسماء .

(3)

بحرٌ أنا
وسفينة قلبي ، تسافر في المدى
وموانئي تعبت من التلويح
هذي الريح تأخذني ، وأبحر .
في عيون حبيبتي أفق
وأمشي فوق كتف الماء
لا غرق وصدري يقبل التجريح .

(4)

في هذا السجن الداخل في برد الليل

أحاور صمتي
أنتظر البرق القادم في كلمات العشق المرتعشات
وأنت ، حلمي الأبديّ المأمول
الموصول ببطء الوقت
أستوحش في البرد
وكل رفاق الوجد معي
وكأني وحدي
فالنار صديقة ليل لا تأتي .

(5)

قرأت بأني أموت قتيلاً
وأن بلادي تؤرقها الكلمات
ولكن عرسي الحزين يصير ضئيلاً
لأن بلادي محاصرة بالغزاة .

(6)

من بين نساء العالم واحدة
أدخلت الكون بقلبي : حبيبة قلبي
من بين بلاد العالم أرض
أجمل من كل الجنات :
أرض الوطن الساكن في قلبي .

(7)

عطرٌ أنا
وكل حديقة مني ستأخذ لونها
وتصير مثل اللغز في الأسوار
هذا الرمز لكن الغموض نوافذ مفتوحة
كالجمر نحو النار
تيجان من الكلمات ، كل مغامر يختار
تاج الغار أو تاجاً من الأزهار

(8)

أعذّب الزيف بالصدق
والحقد بالحب
والجرح بالفرح واليأس بالأمل
والوقت بالفعل
أوحّد بين النقيض وبين النقيض
أعذّب الوضوح بالغموض وأستغرق .

(9)

موحش وحش
شحيح ليل هذا البحر

لكن البحار حديقتي
وحبيبتي ، قمر يطل من النوافذ كالنهار ،
في انتظاري عائداً
واللؤلؤ الناريّ كل هديتي ودم ازدهاري
فيصير هذا الليل ماءً ليناً كالحلم
تزهر جنتي يوم انتصاري .

(10)

يا سيدة الحزن الشاهق
هاتي فالشوق الخائر عذّبني
والصدر الراهق يرهقني
غنّي وخذي بيدي
يا سيدة الصوت الواثق .

(11)

مخيّر يا وردة الغموض
ما بين ذل الموت والشهادة
مقاتل وفارس وفي دمي أخوض

لست الذي يحار في الخيار
ما بين هذا السيف والوسادة .

(12)

حين تجيئين إليّ ملاكاً في الحلم
يرتعش الفرح الطفلي بقلبي
وعند الصباح تكون بقايا الأزهار الليلية
فوق كتابي
فيساورني الشك بأن الحلم . . .

(13)

بكيت بكيت من الصبح حتى المساء
لأنيّ حين تبرعت باللون للأرض
أعطيت للماء نبضي
فقيل بأن البحار التي من وريديّ
ليست دماء
لقد كان بعضي يشك ببعضي
فقلت بأن دمائيّ ماء .

(14)

يا الذي كان يغني العشب شعراً وتحوّل
وطني يدعوك للرقص الجماعيّ
فهل بالرقص تقبل فتأمل

رغم حد السيف والصيف الشتائي
فإن العشب في الأحلام أجمل .

(15)

غارق في الهموم
أنقل خطوي رعشاً
وأحمل حزناً عميقاً ، فتبدو كأن الغيوم
بلاد مهيأةٌ للزوال
كأن الجبال
تماثيل ممسوخة ، والنجوم
عصافير مرسومة في الخيال
فمن يحمل الهم عني قليلاً
لكي أنفصد السم من ساعدي في دمائي السموم .

(16)

أتوزّع كالعطر الثوري بأفق الأحلام
وأجمع ما بين الوردة والنار
وما بين الجمرة والثلجة
أوحّد بين عناصر هذا الكون
هل أحد يعرف سر العطر الثوري
وهل أحد . . . ؟

(17)

لغمٌ أنا
فمن ذا سيشعل رأس الفتيل ؟
افجّر هذي القبائل بالشعر
أعرف   سوف يقال بأني الغلام القتيل
لأني رفضت القبول
ارفضوا   وانهضوا   إن موتاً كموتي
جميل   جميل   جميل

(18)

لا تثقوا بحياد الماء .

مارس 1978

التداعي الثاني

يا حبيبي
قتلوني خمس مرات و أعطوا جثتي للأغنيات
يا حبيبي   خمس مرات
وصوتي في تضاريس اللغات
يا حبيبي
أذكر الآن :   (صباح الخير يا ذات العيون الخضر
يا طعم السفر)
وتماديت :   (أطلي
شرفتي تتسع اليوم لاثنين يحبان السهر)
اذكر الآن   ولم يكتمل الحب
تعرضت لنصف الخنجر السري قضاءً وقدر
وتبادلت مع الموت الصور
وضعوا الطلقة في عيني وقالوا

قلت : لا   وتحملت الألم .

يا حبيبي

جئتني لا تعرف التاريخ والعنوان

فاعذرني

ففي فبراير الثلجي ضيعت احتضاري

مطر ثوري أعطى معطفي لوناً

وقلبي في جواري

واقفاً أرتجل الأشعار في فبراير الشعبي مختالاً

ومولى في انتظاري .

يا حبيبي

أعلنوا أن الشتاء

خارج القانون والأشعار ضد الشمس

أعطوا قصتي للانفجار

فتحاملت على الأشلاء في صمت

ولونت انتصاري

يا حبيبي

قلت : لا   وتحملت الألم .

يا حبيبي

عندما يستيقظ الماء من النهر

سأبكي فرحاً

فلقد حاولت أن أنتشل الماء من الغفلة

كنت الخيط

كنت السمك الأزرق والزورق

أرخيت شجون الماء

أوشكت ولكن يا حبيبي

أدركوني سمكاً جف

وخلوا خشب الزورق في حلقي

وقالوا قلت : لا وتحملت الألم .

يا حبيبي

ما الذي أدخلني في نرجس الأسرار

والصوء البعيد

والذي أسس ريش الجوع في قلبي

وأعطى للنشيد

والذي . أذكر

من يدخل في مستقبل الأيام لا ينسى

وما كنت وحيد

يا حبيبي

كانت الدقات لا تأتي مع الإيقاع

والساعة في منتصف الليل

وطفلي في حرير الحلم منساباً

وكنا يا حبيبي

كانت الدقات في دربي

وكانت تذبح الأطفال

فانداحت يدي في الوقت

ضد الوقت

كانت يا حبيبي
آخر الدقات في قلبي
وقالوا إن وقت الدولة الرسمي
قالوا يا حبيبي
قلت : لا وتحملت الألم .

يا حبيبي
خمس مرات وعمال المطار
رفضوا أن يفتحوا الأرض لغزو الطائرات
رفضوا واستقبلوني
وأعانوني على رسم النهار
ضاحكاً في خبز أطفالي
وأفراح الجنون
خمس مرات وقلبي في انتظار
والتي تسهر في راحاتها حتى الندى
كانت عيوني
وتذكرت
وعمال المطار
أخذوا من وجع الإسفلت في المدرج درساً
و أحالوني على مستقبل الأيام
مخفوراً بهتف القبّرات
يا حبيبي

قبل أن أدرج في أرض المطار
صادروا كل الفراشات وقانون السفر
ادركوني قبل أن أحكي لعمال المطار
رجع الطير الذي قال (صباح الخير) للأطفال
قبل الصبح واجتاز النهر
أدركوني وأنا منتعش في طرف الفعل
قضاء وقدر
وضعوا السكين في الجرح
وقالوا فتحملت الألم .

يا حبيبي
أذكر الآن رحيلي عاصفاً ذات مساء
وطني مختبئ في الجسد المرضوض
في صدريَ في قلبيَ
في خفقته الأولى قبيل الموت
وحدي هادئاً ذات مساء
يا حبيبي
لم تضق بي هذه الآفاق
لكن المغني
يبحث الآن عن الدفء ويدعو للغناء
لم أجد في ذلك الليل سوى ثقب صغير
خلته بوابة العالم
فانهالت خطاي الباردات .

يا حبيبي

ما الذي يفعله المهدور غير الركض رعباً

في تضاريس اللغات

يا حبيبي

لم أكن وحدي وحيداً   هادئاً أعصف في ذات مساء

وطني في اللهث

في الخطوة نحو الثقب

كان الثقب باب الكون في عيني

فألقيت بكل التعب الدهري في الركض

رأيت الثقب ماء

يا حبيبي

ما الذي يفعله العاشق مقتولاً

سوى الرقص مع الموت المؤدي للحياة

واقتربت

الثقب في عيني   ووحدي في عيون الثقب

وحدي للحياة

يا حبيبي خلته . .

لكنه كان عيون البندقية

.. وتناسيت البقية .

مارس 1979

البحر

(1)

مازال معتزلاً يموج
وزنبق في عينه
يده ملطخة بماء الوقت
في يده حرير الخيل
بعد دقيقتين عميقتين يطل في كلماتكم
للغصن تاريخ ومرآة   وقبل نجومكم حبلت
فلا تتأخروا
ما زال مشدوهاً ومحترقاً
وتصحبه القواقع والمحارات التي شهقت
وسوف .   دقيقتان غزيرتان
وآه   آه   البحر

لا تتناثروا

قد ينهض البحر المسجّى في السواحل

راكضاً فرحاً

وأحياناً ترافقه .

ويسمع .   قالت الأخبار

إن بيوتكم ضاقت وإن السجن أوسع ما يكون

مهيأ ،

والموج كان   يكون فوج الرفقة

المتطاولين على النخيل

يطل بعد دقيقتين صغيرتين

الفتية المستهترون بموتهم

نهضوا يطالون المدى الرملي في يدهم

ولا يستسلمون

الفتية اللاهون بالصلصال يعتمرون ثلج الوقت

يبنون الذي هدمته عين الليل

لا تتأخروا

سيطل ، ما زال اللجام الأخضر المغزول من وبر

على كتف الصهيل

يسمعكم ،

تمر دقيقتان مريرتان

الشارع العربي يكسر قلب عبد الله

والمدن الغياب وسيعة

ضاقت بمن فيها

نوافذ هذه الأرض الطرية تستوي حجراً
فلا تتكسروا
للأرض ألف طريقة كي تولدوا
فهنا الدقائق ليس في يدها مفاتيح القصائد
قلب عبد الماء مائيٌ ورمل مولع
والأرض تطلع في القصائد مثل وشم
فاكتبوا عن عشقها السريّ
لا ماتت ولا عرف العساكر سرها
قتلت و ها تمشي فلا تتأخروا
سيظل تعرفه البحار
وتعشق الأرض اضطراب يديه
قبل دقيقتين ثقيلتين ليبدأ التكوين
تعرفه القواقع والسواحل
تهجس الأحجار (سوف يجيء)
هذا الواسع المنزوع من شمق
(يجيء . .) وتهمس الآفاق
هذا النافر المجبول من قلق
يغيم الواضح المألوف في العينين
أحياناً .

(2)

معتزل و متدفق العواطف مثل عاصفة

ولا تتق العواصف

كل دقيقة سفر

يغادر حالة البّحار

يحشو فوهةً بالنار

يعجنها ويكسر كل صارية ستترجع

يمسح الميناء يصمت ينطق الأشياء

هذا الموج معتزل فلا تتساءلوا

سيطل بعد دقيقتين صديقتين

يجيء

كل دقيقة شجر

سمعنا قالت الأشجار :

هذا الشارع العربيّ

هذي الخيمة الأوتاد

هذا الأسود الذهبيّ

هذا الموت ..

سوف يموت .

قالت : سوف ترتادون .

لا سفن ولكن موجة كالخيل

حمحمة صهيل زرقة الصحراء

جامحة خيول البحر

لا أحداقه ضاقت

ولا في العتبة المرحين من يسهو

عن الشجر الذي يمشي

وكانت قالت الأشعار :

هل شجر يمشي ؟

لم تصدّق قامت الصحراء .

(3)

مازال معتزلاً

يداعب خرقة في كتفه اهترأت

طواها مرةً صارت رسائل للمغنّين

استحالت بلبلاً نضراً

وأحياناً ينشرها مناخاً كالوشيعة

فتية كالملح فوق الجرح والأرض الوسيعة

فارس ومغامرون .

خرقة في كتفه

خيط من الرايات

داعبها دنت رسل القبائل

فاحتذى في عزلة

صاغ الكواكب وشوش الأخبار

والصور القديمة والجديدة

فز قلب الفتية اللاهين في وله

دنوا فانداحت الواحات

داعب فتيةً قدّرين من شبق الصحارى

عفرت أطرافهم في الرمل

كان الرمل يلبسهم
وكانوا مهرةً شقراء
داعبها .
أمعتزل؟
ويخرج من سرير الساحل الشرقيّ
خرقته انتظارات
وعزلته انتشار وامتزاج
يجمع الشطآن
داعب فتيةً ليجيء فيهم
آه لا تتأخروا
فالعمر محض دقيقتين دقيقتين
الغصن صارية وتاريخ له
ويقوم من ومض الرماد
الدفة المعجونة الكتفين بالنيران
والموج احتمال الغامض المألوف
في العينين زنبقتان أحياناً .

(4)

بكى من لوعة في قاع حسرته
ولم تسمعه
غير الدفة المكسورة الودجين
لم تسمعه شقراء الجدائل وردة العينين

لم تسمعه غير الريح مسرعةً
بكى من زرقة في القلب
لا تعب ولا خذلان
لكن
ربما شهقت شجيرات البنفسج
في دم الإنسان أحياناً .

(5)

أمعتذر ؟
يد في حمحمات الخيل
سوف يطل بعد دقيقتين غريبتين
الشعر متدفق وموج لا ينام
ولا نوارس في عيون الأفق
إلا واسمها في دفتر الصحراء
معتذر؟
بنفسجتان في خدّيه
هذا البحر هل يبكي ؟
سمعنا جاء في الأخبار
والصور القديمة والحديدة
موغل عار مضى
مازال مرتدياً رسائلكم ويسهر عند باب الماء
لا تتأخروا

فدقيقتان جريحتان ويمنح القتلى دفاترهم

وينتشرون

يهدي البحر زرقته

فتبدو هذه الصحراء عاشقة ونرجستين

لا تستوحشوا

ما كان مختضبا بماء كان في دمه

ويلبس صخب هذا الموج

مختلجاً

كأن دقيقتين دقيقتين

وسوف يدحل

فاتركوا أثراً على ماء الصحارى

قالت الأشجار : إن الأرض من ماء هنا

والموج سيدها

اتركوا أثراً

فهذا الشارع العربي سوف يعود

في خشب من السفن الكريهة

فارقبوا الميناء

والشجر الذي يمشي ويكمن خلف هذي الأرض

لا تثقوا

فكل مدينة بعثت رسائلها إلى الصحراء

لسنا وحدنا

(ما ضيعونا

إنا ضاعوا بلا ماء على الصحراء) .

(6)

للمصن تاريخ ونافذتان

للمتناقضين رسائل

خجلٌ بتفسجتان

سوف يطل

لا متوحد في عزلة

هل مات ؟

أو كسرت قوادمه الشموس ؟

يداه في غبش

ونافذة تطل على شمال القلب

نافذةٌ فلا تتكسروا كالعطر

لا تتوزعوا مثل الزجاج الأزرق البحري

فوق الرمل

فالأعداء يختلسون نرجسةً

ويختبئون في شجر

وتكمن في السواحل آخر الأسماك

لا تتكابروا

للأرض ألف طريقة والبحر درب واحد

هل مات ؟

بعد دقيقتين غريقتين يطل من غسق الليالي

آه نافذتان   نافذتان

أوسع ما يكون الأزرق القلبيُّ

نصغي   همسات؟

ربما يبكي

فللبحر احتمال

ربما يبكي

فموج شاهق ترك احتراف الركض

خلف الأفق

موج هاجر الأعماق والظلمات

موج مات

لو يبكي

لكي ينثال رمل الأرض

في يده شجيرات من الخجل الإلهي

افتحوا كفيه   متعبتان

فيه الشهق   فيه البرق

فيها الأزرق المقتول

في يده

دعوا يده   فسوف تقول .

(7)

- من أي البحار أتيت يا خيلاً بموج

كأنه وطني ؟

- من البحر الذي سجنوه في وهم
من الأسفار والسفن .

(8)

بعد دقيقتين حريقتين يجيء بالنيران
للسفن الرماديات
ها موج يهاجر شرفة الميناء
يفتح ثغرةً في الرمل
ها موج إلى الصحراء
بعد دقيقتين بعيدتين
الفتية الغاوون يرتاحون في تعب
هناك قبيلة ضربت خيام الرجع في الإسفلت
فوق الشارع العربي
مقتول ومعتزل
يهيّئ في يديه الأفق والجمرات
يعن يحرق الميناء والسفن التي تغري
استديروا ها بريد البحر منطلق
ويرق في عروق الفتية اللاهين
هذي النار توقظهم
أطلّوا .
قالت الأشجار : بعد البحر تمتدون مجتاحون
تبنون الكواكب في جذور الرمل

معتزل

يد في فتية عشقوا

يد في فتية شهقوا

يد في حلّم بحارين يعتزلون

قد تركوا سفين البحر

لا ابتلّوا ولا غرقوا

يداعب

كان عبد الماء .

(9)

مات أو قتلوه

أو ماتوا على أشلائه

سيظل متكئاً على أضلاعه المتآكلات

رموه في جب

مشت عنه القوافل

له عبد الماء

قبل دقيقتين طويلتين

تسرك ممتزجا بأقواس البدايات

انتضوا وطناً وسموه

وأنت مغامر في الحلم

ممتزج يصير الحب ناقفةً على الأسماء

هل قتلوه ؟

عبد الماء   سوف يموت أحياناً .

(10)

- أي معتزل سيفتح مغلق الصحراء ؟
- عبد الماء
- وأي مقتول سيفضح لعبة الأسماء ؟
- عبد الماء
عبد الماء منتشر تضيق به الفضاءات
وعبد الماء محتمل تناقصه القناعات
وعبد الماء مكسور القوادم
    يصبغ الطرقات من دمه
وعبد الماء يجري الماء في دمه
فلا تتمهلوا الراحات
من جب
ومن حجر شجاع يخرج البحر الذي غسل المدينة
آه عبد الماء من وجع المدينة
مغلق الصحراء منذور
فلا تستمهلوا أفقاً تضج به السموات .

(11)

تأمّل في سراب الأفق مأخوذاً

– هي الأشجار
حدّق في رمال الشارع العربي
في الأسفلت
في . لكنها تمشي تدب
فمن يصدّق ؟

كانت الأشجار
تمشي نحو عاصمة مضيّمة
وكان العتبة اللاهون منفعلين
مالأشجار قادمة
وبحر خارج في راية زرقاء .
مأخوذ
وكان الشارع العربي مسفوحاً
مداثنه محاصرة بأشجار العدو
الكامن للكشوف أحياناً .
فلا تتكاسروا
ردوا الوشيعة في رسائل خيله
والبحر أعماق وأعشاب ونافذتان :
واحدة تؤسس للمرايا غرفةً للعرس
واحدة تهاجر في احتمال الشمس

للمتناقضين رسائل وجبل
و زنبقتان

لا تتأثروا بعواطف القرصان
كل سفينة ستعود في هزم
ستحرقنا
احرقوها
من رماد الدفة المكسورة الودجين
بعد دقيقتين جريئتين يغادر الإسفلت
شارعه
يصير الأسود الذهبي عوسجة وذكرى
يغسل البحر الصحارى
شارع عربي
لا رَجْعٌ ولا مستسلمون ولا حيارى
كل مرآة من التاريخ
موج حوّلَ الرملَ احتفالاً
خرقة في كتف عبد الماء
لا تستغربوا
قتلوه .
أو ماتوا على أشلائه
للبحر أضلاع تآكلت اهتراء
فاستوت للوقت متكأ
له كتف قديم خرقة
يتدفأ العارون والغرباء يكتشف الحيارى
يرتخي في خيطها المتطاولون على النخيل
يداعب خرقة فتصير خلقاً .

(12)

آه عبد الماء
يجهلك القراصنة المعارون
(التهوا بالليل)
تعرفك الصبايا الموغلات بعطرهن
الدافق البحري
بحار سلا البحر القديم
عساكر الميناء تسأل عنك
هل بحر ويحرق في اندفاق الحلم
كل سفينة كي يهجر الشطآن ؟
مروا فتية مروا
وكانت آخر الأخبار
والصور القديمة والجديدة في معاطفهم
(قديماً رعوا كهفاً وسموه سماء)
قالت الأخبار
فانداحوا تدافع بعضهم
– ماذا تسمون السواحل دوننا بحر ؟

(13)

مشى في الشارع العربيّ مختلجاً
يجرجر ساعدين تكسّرا

والصدر مفتوح لحرب ساومت أعداءها
في الشارع العربي : (مقتول وأعرف قاتلي)
هل مات ؟
سوف يموت أحياناً .

(14)

سلاماً زرقة الصحراء
داعب خرقة في كتفه اهترأت
فصار الماء والصبوات
معتذر
يد في غرة شقراء في كتف
يد تنداح في دعة
على الجسد المموّج
والحرير السارح المراح
يد ترتاح في حلم من الوبر المطيع
معتزل ومعتذر ومقتول
ويهلع حين ترتعش الخيول كأنها ألق
ويلهج مثل أجنحة وينبثق
أمعتذر
وصهل المهرة الشقراء يشعل في خيوط
الخرقة التاريخ نيراناً من الشهوات
داعبها تضرّج خصرها خجلاً

سلاماً زرقة الصحراء

يلهج أي موجٍ موغل في اللج لا يبتلّ ؟

(15)

ما زال يخرج من هزائمه الكثيرة

بعض أشلاء وبعض رفاة

لا حي ولا أمواته المرحون قد ذهبوا

وما زالت هزائمه الكثيرة تصبغ الإسفلت بالأزرق

يلملم بعض أشلاء وينهض

سوف يلقاه العساكر عندما يأتون

هذا البحر معتزل ومقتول

ولكن حارب الصحراء أحياناً .

(16)

وقت

وبعد دقيقتين شقيقتين

يرافق صافنات الخيل

(لا وحدي ولا سفن سترجع بي ولا ميناء)

بعد دقيقتين شريدتين يشف هذا الأفق

إن عادت فسوف تعود أخشاباً بلا أسماء

لا تتحيّروا فالفتية اختضبوا مشوا في راحة

ما زال معتزلاً وقد تعبوا
وكل نوارس الميناء فوق نوافذ الصحراء
ترتادون
لا عطش فعبد الماء مندفق
وليست شهوة سفراً إلى خشب
دموع الشارع العربي في الأهداب
معتذر وزند في صرير الباب
لا رمل بلا لغة
ولا اقتمد العشيق الدار
لم يتأخروا مروا على رمل على حجر
فباب الماء أوسع ما يكون
الفتية المرحون يحتمرون جمر الوقت
أغنية النوارس
إنه كالدمّ منبثق
ونافذة على البحر الذي احترقت أصابعه
ونافذة على الصحراء
عبد الماء هل موج ولا يبتلّ ؟
مختلج كأن الخلق بعد دقيقتين رهيفتين
سيبدأ افتتحوا
وكان الشارع العربي يكتب اسم عبد الماء
هذا الوقت مائي سيمحو .

يونيو 1979

المدينة

(كلما ازداد الإنسان معرفة ازداد أسى)

العهد القديم

كيف أترجم نفسي ؟

فتح الغيم و اثال رمل بخطوي

دماء اللغات استضافت

أهيّئ ،

ماشياً في شظايا الرجوع

أدحرج . أسست للنار نهراً يطوف ويغوي

أدحرج . غير الصدى في المدينة

غير المراثي وغير الخشوع

اللغات استضافت

أترجم

والحرف يمشي ويكبو
والحرف طفل سيحبو
دخلت المدينة صادقت أحجارها . صرت فيها
هات أطرافها
لثغة واكتشفت
نام أو أيقظ الطين أو . . .
يا أيها الغيم غيّر لغات لها عوسج عاقر
لها أمنيات قبيحة
لها مدية للضحايا الجريحة
دمي رافض
غير هذي القيود بلادي
وغير الشهيق يداي وغيري
أتخطاك يا نقطة الضوء
أمشي على شهوة الغيم
أمشي أهيّئ
هاتي . أسميّك لي شرفةً في الحدائق .
رملي فسيح وشبّاك عينيك يغوي
أديري خلاياك واستنهضيني
أسميك أمس الغبار
يا نقطة الضوء يا شيء قلبي أسميك
أعطي خطاي الوصايا .
هل أنت
يا نقطة الضوء

يا شوكةً في يقيني

أمشي فسيحا وناري حدود المدينة

مدّي خلاياك واستهدفيني

أسمي وأغوي تواريحك في ترائي

وأغويك مدي يديك إلى جثتي وازرعيني

أسميك أمحو شهيق المدينة

أكتب حلم المدينة

مدّي ، تعالي تلاشي على طينتي واحصديني

يا نقطة الضوء

ما أتخطاك أترك لا تتركيني .

كيف أترجم نفسي ؟

ناديت ليل السكوت

اللغات استضافت

ولكنها حين ناديت رمل الخطى

قلت للقيد

قلت : السكوت الذي في المدينة

قلت : البيوت المآتم

تركض نحو العيون الحزينة

أترجم ؟

ماذا تقول السماء عن الدم ؟

ماذا أغيّر ؟

يخرج من جرحه هجرةً

في يقين من الشك
يخرج أرسمه خيمةً للنهار
فمن يمتطي صهوة في المدينة
ماذا تقول الدماء عن الدم ؟
صادقتها صرت فيها
اكتشفت المدينة
حدّقت هذا صديقي
وهذا الذي رأسه يبرق للنشيد
وهذا الذي في الحديد
وهذا الجديد
حدّقت هذا صديقي الذي . . .
ولكنه لا يحيد .

نافذة البحر تصحو
كأن الخطى طفلة
كأن الشوارع تسأل
كأن النوارس في عرسها ترجمان
فيا أيها المقيم غير
(يمشي ولا ينسى
يلملم جرحه السريّ
حزناً شاهقاً يمشي ولا ينسى
دم في أول الكلمات
لا يسهو ولا مرتاحة عيناه

في حلم
وأسماء العذارى نزهة في القلب
ممتدٌ كخيط الحب بين الماء والمعنى
يواري جرحه السري عن عينيه
لا مرتاحة عيناه ، لا يبكي
دم في آخر الكلمات
لا يغفو   ويمشي في بياض الوقت
لا تعب ولا ينسى
وقبل الموت يرفع باقةً للثلج
يا فبراير الثلجيّ
هل ينسى ؟)

أترجم نفسي ؟
من يسأل الجرح عن نزفه ؟
انحدرت إلى السهل
هذي المدينة كهف
وهذي الشوارع مرصوفة بالحراب
انحدرت   وفي كل باب من البيت جبّانة
ليس بيتي   ولكنه سهرة للخراب
انحدرت   ولي هجرة في الحقول
النهارات موصولة في دمي كالصراخ
اصرخ الآن يا ماء قلبي
سؤالاتهم مثل باب السماء

اصرخ الآن ، قل كلمةً
قل لهم ، فالدماء . . .
من يسأل العرس عن عزفه ؟
قلت : ها أنت
وانثال كالرمل صوتي
كأن المدينة تخلع قمصانها
(لست بيتي)
وهاجرتها (لست صوتي)
وهاجمتها (أنت موتي)
.
عرفت المدينة ؟
علّم سواحلها وانشطر في مداها
عرفت المدينة ؟
ها أنت . . .
أخلع ماء المدينة أصلها بالهموم
وأصعد أصعد
أحزمها بالسواحل والعشب
أركض فيها كأن الغيوم .
نهضت ، وشلت المدينة
هيّأت للأرض شمسي
من أنت ؟
اخترقت المتاريس
كانت بلادي وكنت

أترجم
أمشي على مهل في ضحايا الخضوع
وأفزع .
المتاريس محشوة بالضحايا
حدّقت هذا صديقي
وهذا الذي يحتسي بأسه
وهذا الذي رأسه
وهذا الذي وردة في طريقي
حدّقت هذا ... صديقي .
رأيت العذارى المصحوكات في القتل
يلبســن عطر الجدائل
أمشي على مهل في دمي
كنت أمشي
وكانت توزّع أزياءها في الأغاني
كأن الرسائل
عرفت الذي ينتمي
والذي يحتمي
والذي حين يحتاج كأساً
سيشرب حتّى دمي
(فيا أيها الماء غادر فمي
واحتملني)
فهذي المدينة يا سيد الومض
تنوّر قلبي

وقلّس رمادي
أنادي المدى والشظية
هذي بلادي
فدعني أكون الصدى والهدية
ها أنت .. هيّن

(هل أمشي على خيط من الرمل
اتحملت الموجة المنذورة العينين
هل أمشي على حزن الحليب الشارد العينين
هل أمشي
ولي إشراقة الطلقات في فجر المرايا
لي هدايا الشمس
هل أمشي ونصغي واقف في الهمس
نصغي هارب .

ماذا يقول الدم
هل أمشي
ولي حلم يسوّر جثتي
وضياع أطفالي بقلب الناس
لي في رفقة الأحلام
لي أيام
لي أمشي ولا أنسى
بلادي خمرة في الكأس)

يا أيها الغيم غير ،
ولكنها يممت نحو ماء الرماد
فيا سيد الومض قدّس رمادي
تعلمت أن الغموض الذي في زنادي
وفي لهجتي   وردة في وسادي
تعلمت أن البلاد التي أعلنت صمتها في الميادين
ليست بلادي
ويا سيد الومض قدّس
وزيّن جراح الصبيات
حول فساتينهن احتفالاً
وأسرارهن الخجولات
إشراقةً في سوادي
ويا سيد الومض
امض
تعلمت ؟   علّمْ سمائي وأرضي
أجّج غموضي   وكن جامحاً في قيادي
يا أيها الغيم
لكنها ضيعتني شريداً
أترجم ؟
ماذا تقول الدماء عن الدم ؟
أعطيتها للعصافير
أعطيت قمصانيَ الخارجات من الدم
للحلم

هات أطرافها
فالغيم يغوي
يا رملها يا مداها
احتملني غريباً
ليَ الصافنات التي تشبه البرق
لي عطرها
صحت يا صوتها   هات لي تاج أسرارها
هات لي الشكل واللب والاحتمال
احتملني . احتضني شريداً
وترجم لغاتي
ولا تحتفل باكياً في عاتي
دخلت المدينة   صادقتها
صارلي سجنها

صحت يا صمتها أنت موتي
وأعلى من الحلم صرت
وأحلى من السنبلة
جميل غناء بلادي
سأعشقها حيث يصحو النخيل
وحيث تصير الحدائق ريفاً من الأسئلة
وأحلى من الفرح البرتقاليّ
أعلى من الاخضرار الفدائيّ عرسي
هنا أول المرحلة .

كيف أترجم نفسي ؟

اللغات استضافت وخافت

في فضاء العناقات صوتي يهيم

اللغات المسافات ضاقت

رأيت الحريق

فهل أحتمي بالمدينة ؟

يعرف سر المدينة

يحمل مفتاحها

ويؤرجح ميزانها

طاعن في رماد التقاليد

يفضح فيها ويهزمها في التلافيف

يكمن في صمتها مثل لغم

ويهزأ من خوفها

طاعن في المدينة

(افتح القفل تَلْقَ المدينة

تَلْقَ شرايينها مثل فحم)

ويعرف سر المدينة .

بوابةٌ للرجوع وسجادةٌ للركوع

يغشى ويحرق سور المدينة

يرسل نيرانه للرؤوس التي لم تعد

للصدور التي لم تعد

يختفي ثم يبدو كأن الفصول

تؤلِّب راحاتها بالضحايا

يغني كأن السيول
ويهتك سر المدينة
يسكر في نارها ثم ..
من يحتمي بالمدينة ؟؟

(اتصلت
حولت ذاك الشفق الشقيق
مستقبلاً
دفأته بالحب
أو أخفيته في الأمل العميق
فتحت ثوب الوله المزدان بالأحزان
وقلت : هذا الكون مكسور
فذبّ القلق الصديق
في راحة القبول
وشكّت الحقول في الأغصان
والنخل في البستان
ولم أقل لو أنني أقول
حرّضت يأس الجمر والأنهار
أغريتها بالنار والأمطار
وقلت للآفاق اتسعي
اتسعي ،
لي لغة ،
لكنها تضيق)

من يسأل الشاعر عن أحلامه ؟

- أين ذهبت ؟

- توزعت في كتب الليل

في أرق القلب

اعطيت صوتيَ شكل العصافير

وزعت في الطين والياسمين احتفالي

توهجت مثل اتساع الرمال

تداخلت في خفقة في الحجر

تلفّت تراني

أقسّم نبضيَ في كل رفض

أشكّل عبر المرايا الصور

تساءلت كيف أترجمها

فامتزجت

وهاجت على كاهلي رجفة الكون

هاجت دموع المساكين في داخلي

وامتزجت

وما الفرق بيني وبين الحنين

وما الفرق بين الهدايا التي أجهضت

والهدايا التي تشبه الياسمين

وما الفرق

ما الفرق بيني وبين المدينة

توّجت برد المسافات بالنار

خلّيته بيرقاً يحتفي

شلته في غنائي
وهبات للحرق نفسيَ
مرّغت قلبي على بابها   وانتظرت
لكنها غادرتني
فقلت انتهى حبها   واعتذرت
لكنها راودتني
فأغريتها بالحدائق
أدخلتها في سرير الحرائق
أرهقتها   واختلجت .
دخلت المدينة
رافقت أحجارها
صار بيني وبين الحجر
شرفة واحتضان
صرت جزءاً من الطرقات السخية
حاكيت تربتها في الفصول الوفية
أشجارها في شجون العشاقات
صرت .
- ومن أنت ؟
- ليست بلاديَ
ليست مراثي المآتم
ليست صديد القرابين
ليست بكاء التمائم
ماذا جرى للمدينة ؟

سألت الحجر

قال : إن الحروب التي   وانكسر

و ها أنت

لكنها وردة في الطريق

تحركت   واتثال رملٌ بخطوي

وغادرت سهوي

ماذا جرى للمدينة ؟

سألت الطريق

قال : إن الحريق الذي   واستعر

فناديت   يا غيم غيّر

وأعطيت للطين تكوينه

قلت ماذا جرى للمدينة ؟

سألت الخطى

قالت : اتبع خطاي

فهيأت للسور نفسي .

الغيم ينثال في الأفق

ترجمْ ،

سألت اللغات ولكنها أحجمت

واستدارت

– ومن أنت ؟

– كيف أترجم نفسي ؟

وكل اللغات التي صغتها حاربتني

تبطنت همس الغصون إلى الماء
حاورت رمل المواعيد
حولت هتف الكواكب
سجادةً للمواكب .
- ومن أنت ؟

- كيف أترجم نفسي ؟
وكل السهام التي ...
قد رمتنيّ
- هل كنت غيماً ؟
- كشفت الليالي
وسميت هذي العباءات حزناً
دعوت الرياح وخبأتها في الطفولة
قلت : (انتهى عهدكم)
ثم سميت بدء النهايات سجناً
- وهل صرت ماءً ؟
- قطعت الحبال
وغادرت كل الموانئ
خوّضت موجاً خجولاً
وأرخيت للريح شوق المراكب
- هل أنت ؟
- صرت الصريخ الذي يحزم الأرض بالبحر
غيّرت شكل الأنين

وحوّلته رايةً في دم الياسمين
سميت أطفال قلبي نجوماً على الحلم
أعطيت شهق الرفاق احتمال الكواكب .
– وهل . . . ؟
– كنت أمشي وكان . . .
فسميت وقتي خليج الصواري
وغيّرت صوتي
وشكل احتراقي وقتلي
وغيّرت خبز الجحيم
انتقلت امتزجت
وغيّرت إيقاع عشقي
وغيّرت غيّرت غيّرت
لكنني في مداري .

تلعثمت
كل الدموع التي حين جاوبتها
سالمتني
تلفتُّ كل الدماء التي حين سالمتها
جاوبتني
وها أنت
كيف أترجم نفسي ؟
لبست المدينة زيّنتها بالقتال
أرخيت شعر الليالي على صدرها

وارتعشت

ولكنها عسكرت في دمائي

اختلجت

حملت المدينة في رقصتي

درت   عانقت فيها

وهندستها

أرهقتني اللغات التي في السؤال استضافت

تيقّنت أني . . .

فأسلمتها لهجتي

ويممت نحو السهول

كأن الخيول استعارت صهيلي

توسمت بالغيم   والغيم بوابتي ودليلي .

لبست المدينة   وذوبتها في الخيال

غسلت المدينة   وحولتها في رحيلي

وأغرقتها في حليب الطفولة

صبغت بها الدم   أنشدتها في العناقات

أسستها في السؤال

وأصغيت .

لبست المدينة

دخلت بها في دماء المساكين

مغسولةً بالضحايا

كتبت اسمها في البقايا

مشيت لينثال خطوي وترجمتها
صرت لهج المدينة
واصغيت للبحر أصغيت
لعل العصافير في البحر
لعل القواقع في القاع تذكرني وتجيء
لعل الرحيل البطيء يؤجج هجرته
في المدينة .

قلت كيف أترجم نفسي ؟
لعل العصافير تسمع إصغاء قلبي
لعل العصافير
كيف أترجم نفسي
وكيف . . . كان الضجيج الذي في دمائي مواسم
كأن الإشارات واللافتات التي في طريقي
واضحة كالطلاسم
كأني أقول لكل اللغات استثيري
أقول لشمس الليالي أطلّي على مقتلي
واستديري .

مارس 1978

الخلق يبدأ

أبدأ

من قاع الهجس
ومن قاعات النرجس
من يأس الوطن المتألق كاللوتس في النهر
كسحر الصهد بنهد مراهقة ولدت من زبد الشمس
أبدأ من حلمتها كالحلم
أبدأ كالحلم الخارج من كل الأحلام الحلوة
أهذي   أهتزّ
أهزّ سرير الوطن المستغرق
أغرق

من يرسم قربي قارب قوس
ينتشل الماء ويتركني
في الركن الساخن في وطني

في الركن البادئ في وطني
إبتدئ الآن
فأبدأ من هلهلة الطفل الهائل
من هول الهمّ الواقف للطفل وراء الباب
أبوح بحرقة أيام الحيرة
من ساعات الأمل المائل
من ملل الليل الزائل
من مبتدأ الخبر الخائر في أحداق
سؤال الأم المنذورة للفقد
فقدت قياد يدي ودمي وهذيت
وهذي ذال ذكورة كل الكلمات المكسورة
تخلع نقطتها وتغطي عورتها
بالعار وزهو العار
وتصهل دعني دعني
هذا وطني يبدأ
فابدأ
من أسنان السور السرية
في سجن ليس له سعة
أبدأ من قانون يعزف زعزعةً وزعاماً
من زفرة شعب يعجز عنه الهزم
فيعبر جلجلةَ اللجّ ويسمو
أبدأ من موت صديق صاح بصمت الكون
(أكون صدىً لصرير الباب المفتوح

بكسر وحشي لأحشاء شهيد نعرفه)

نبدأ
من لعلعة اللغة المغلولة
من غرغرة الدمّ بنحر شهيد
نحمله حمل الحب
فيصرخ فينا :هذا وطن يبدأ فيّ
وأبدأ في بيدره
من شهق العرس الشاخص
حيث تشق عروس ثوب الزيف الزائف
من عرق يتموج كالمجد الجبلي الجامح
في عمال بلادي المرضوضة بالضيم

أبدأ
لا أعرف حداً للكلمة
أعرف حداً للسيف
ابدأ من رعش حنين النرجس للجنس
فترجف تنهد حالمةً كل مدائن قلبي
من قلعة شعبي
من أسرار البحر
وأقلع في سفن الدهشة
أخرج من هذي المدن الهشة
أدخل في هذي المدن الرثة

في رئة الوطن الساكر في محراب الضوء

الضوء وهذا وطني يتوضأ بالضوء

وهذا وطني يتدفق في هذيان الوجد

ويدخلني

يصرخ بي دمي

أبتدىء الآن كوقت يأتي

أبدأ من ذهب الذل الذاهب

من حدب الحاء بحريات بلادي

من قصص الحب

وحلو حنان الأم المنذور

لحضن شهيد الحنطة

أبدأ من تكوين المكون

وأرخي لحروفي أتركها تبدأ بي

تدخل بي قاعات النرجس والسندس

حيث ابتدأ السحر الساحر

فوق سرير السين

وأستأنس وحش اللغة الشارد

أدخله في هذياني

وأزاوج بين الحزن الحائر في عين بلادي

في الليل

وبين الوادي في السيل

وأربط أطراف الطرقات المغمورة

والمهجورة والمحظورة

بالقدمين

أبدأ من دفتر أطفال بلادي

أقرأ في اللبن المرسوم عليها

بأياد حلبتها المرأة

من ضرع الزمن الزائغ كالنصل

ومن كل حروف الوصل

من نافذة ينفذ منها فلّ الفـتيّات

المزدانة بالسهد

والغضب الوردي يلون خد مراهقة

نسيت قبلتها في لهف عشيق شق القرطاس

وخط الحب على القلب

وصاح (هذا وطن يبدأ)

أبدأ من كل بدايات الشجر الشاهد

بالشوك ويصرخ

أبدأ من خيبات الخلق الأول

والثاني والثالث

من خلخلة الخوف وخلط الأوراق

ورقرقة الوهم الهاطل

في كف الهم الهـسهاس وهمس

القرط المنزوع

وخيط الدم على كتف المرأة

والمرأة المرتجفة والمشروخة بالغيم

من ذهل الهدهد في حضرة بلقيس

وبالعيس الظامئ والنهر على كتفيه

ويهيم

أبداً من خيمة بنك المسهرة

فوق رصيف بلادي

من قصر يتمرغ في وحل يتحول أو يتزوع

في أرصفة التنويعات

وفي وهج الجرح يشف الواقع

عن حلم يحلو ويباغت

لوعة غصن مغبون

أبداً بالحرف المجنون الجامح

كالجرس المسنون

يصيح بنوم العالم

(هذا وطني

أعرفه كالأحمر في الدمِّ ويعرفني)

يا كل نشيج العالم

أنشج دمع الباكين وأبكي بالكون

واكتب في كراس الكفر

سلاماً للساهين عن الحب

وسرّ الحب

أبداً من لوعة برد النظرة

من نظرة أمٍ للباب لكي يفتح

عن ولد غاب

وأبداً من غيب يسفر عن ساق الحرية

مهما طال

من أطفال كبروا قبل الوقت

ومن وقت يتخلف عن وقته

من وقت لاه

من سعة ضاقت بي

أبداً من خطوة جيل آت

من جيل مات

وجيل كاد

من صبر امرأة أرهقها الحب

وراقت في عينيها الكلمات المشدودة

بين الحب وبين القلب

فتشرق في حنجرة الفجأة

أبداً من رجل صادق أحجار الشمس

وراقق همس جهات خمس

من عرش القمر المتفعل الفاعل

في عرس الليل طقوساً قاسية

كالقوس القادم من قزح

من فرح

من تعب يوصل بين الترب وبين السحب

يوزّع في الأرض مواعيد

يهيّئ عيداً للتفاح

يشد الغصن إذا طاح

ويصرخ :

(هذا وطني
أعرفه
كالبلح الغاضب في حدّ الصيف
يكسر طمي النهر الناضب في القفل
وبدأ)

أبدأ من أشلاء الشكل الشائع
من وهج رماد الأمس المحطوم
من الهمّ المفطوم
كثلج الفجر الناهض
والوجل الباهظ
أبدأ من رايات العتمة
في قداس الضحك الراكد
في كدر الفرقة كالدنّ
يدندن في أذن نبيذ الذبح
لينبذ قصعته ويطير .
أبدأ من خلع قوافٍ ليست لي
من قلع القاف الواقفة الآن كترس
في صدر حروفي
أبدأ من جسر الغامض والمعجز
واللغز وسنّ الواقع والجامد واللّين
والصعب السهل الآتي الذاهب
في زورق غمز لا يغرق

في ماء القلب الأزرق

ويكون البحر سلاماً للشعر الحلم الوهم السهم

البادئ من لا حيث بدأت

ويصرخ (هذا وطني يبدأ) .

من لوتس أيام التحديق بحزن الإبريسم

من برسيم الدمع الداكن في منديل الدولة

من إبريق الكلمات البرّاقة كالبرق

وقرص القند

من نهنهة الرضع تلجّ بجوهرة في النهد القادر

في إصبع ساحرة تغزل للعشاق مواعيد

ولا ينقصها غير التحقيق

أبدأ من بدء الخلق الغامر بالقنديل القاني

من عصفور دجّجه الجوع بجرح جمريّ

أبدأ من رغوة أوتاني

من هذياني المذهول بذات الوطن الذائب

في ذاتي

أهمس

كالناسك يشبح ماء صلاة الخشع .

ما أكبر هذا الوطن الشاهق

في السطح

وما أصغرني .

شتاء 1978

النهروان

1988

الإهداء

يالك

إذ تأتين منمنمة بحليب النهار ، نهار كائنات اللذة المتناحرة في غبطة ، تقودين الظلال البيضاء . ظلال مدينة غافلة تاهت في جسد الماء .
مثل ذئبة تسعر إثم العشق وتبجل الارتواء .

إذ تطلين كالندى وتسفحين الابتسامة في عذوبة القبل ، تنتشلين الإشراقة من نافذة المرجان وترصعين بها صدغ اليأس والتعب . هاتي هذيانك عاليا ، يا المضيئة ، كي يزهو العالم بهزائمه .

إذ تلتحمين بي . أيتها النبيلة ، يا الموغلة في الحب . تشهد معا مهرجان الروح ، وأشهد أنك وحدك في قلب الحلم أميرة .

الوردة الرصاصية

(1)

في البدء كانت جثة الرؤيا
أرى فيما أرى
تبكي صنوبرة على صحن المدينة ، والخيام تجلّل الرؤيا
أرى طرقاً ستأخذني إلى طرق ستأخذني الى طرق ،
وبحراً كالمدى فيما أرى
كانت ستعشقني العذارى .
سوف أصبح لجمة في شرفة .
لو نشرة المذياع قالت آخر الأخبار قبل الهجرة الأولى
رأيت وما رأيت
مدينة تمشي و علراواتها يفقدن عشاقاً ويفتقن القميص
ويحترفن الغزل كي يفتقن ثانية

رايت كما رأيت

لهنَّ شاهقة الرؤى / لي منتهى شجر سيجنو فوق

جنَّتيَ الحاصرة المباحة / هل رأتْ تفاحة الفصحى قلنسوة

البلاغة غيمة الشعراء / كانت جنة الرؤيا بدايتيَ الأخيرة

هل رأتْ فيما رأيتُ

نهاية الهجرات / كلّ مدينة وَجْرٌ ومنعطفُ السلالة

جيفةٌ ترث الجزيرة

هل أرى وطناً يُعيدُ الشكلَ ، يمزج جنة الرؤيا بفوضاي

الجميلة ، يخطو المعنى معي ، يهتاج في لهب السبايا

قالت الأخبار هجرتيَ الكسيرة في طريق كلها طرق مطرّقة

بعذراوات يحرسن الخيم بالدم العاري

و يسطعن انتشاء في دم لي أو دم لغموض أخباري

لهن خفائف يحمفن فوق مخيم وكنيسة تنأى

رأيت صلاتهن جنازة

يعشقن فرساناً ويفتقن القميص

لكي يطيب الغزل . يفتحن الصدور .

لهنَّ جرحٌ وردة في القلب . يفضحن العواصم بالخيم

هل أرى فيما أرى

مرآتيَ انهارت على حجر الطريق ونسوة ينصبن أشراكا

يسمّين الخراب حديقة والماء مأوى

يبتكرن نهودهن ، يضعن في شرفات أحلامي خناجرهن

لي عشق مغامرة بلاد هيأت أسرارها

لذبيحة الرؤيا

أرى فيما أرى
مدنا تجرجر عارها ومدينة تستنفر الأسرى
ترضَعُ جمرها مختالة ونصيح بي في هودج الهجرات
لي ماءٌ يقاومني لكي أنسى
لها ماء يسمّى ملجأ وخديعة تئد النساء يطأنَ قلبي
كل ما ينسي يسمى جنة الرؤيا
لهن تميمة في طينة الجسد الطري / وكلّما أسى
اسمي وردة الفوضى عشيقتي الصغيرة . كلّما أنسل
من ليل المدائن ، من سلالة جيفة ترث الجزيرة ،
كلّما .. في جنة الرؤيا أرى مستقبلا وأرى حفيرة .

(2)

أسعفته اللغات ليحتمل الموت
كي يشهد الشرق مستسلما للغروب
حوله جوقة / ليس للشرق ، لم يبق إلا صدى للقيود
التي تنحت العظم / إني بريء من الشرق
من قلعة من كهوف
بريء من الصمت مختبئا في الكلام .
اللغات التي أسعفتني إلى الموت غادرتها
ألجأ الآن للخيمة الحرة المشتهاة
ألجأ الآن للتيه للمنتهى / ليس لي
للبيوت التي طاردتني

لجبّانة ضاق بي قبرها
للمدى يحضن الطائرات المغيرة ليلا
ويغتالني .

(3)

مشى في شهوة الفوضى
يواري كل شيء في فضاء الشرق في شكل له
لا يقبل الترميم
مشى في وحشة التهويم
لن يصل الكلام إليه
يمضي شاهقا يفضي لجنّته التي اشتهى
يؤالف أم يخالف
أم يؤدي طاعة للطقس في ردهات هذا الكهف
لا تسأل
فقد أضحى بعيدا نحو جنّته
وحيدا صار في حل من التنظيم
لن يصغي لمنعطف اللغات ، تراثه تيه
ويخرج من جمال رماده شعب الشظايا
شهقة القنديل
جلجلة الكتابة والصدى
وفضيحة التنجيم
يمشي خارج التقويم

(4)

أسعفته / ولكنّها خاصرتي
رمته على كوكب الليل / هاجرت كي أفضح الليل
في الشرق
لكنها /
في غبار التراتيل كانت له
للذي نكهة الخبز في ساعديه
الذي يبدأ الشرق من لثغة في يديه
الذي   أسعفته اللغات وصلّت عليه
التي أسعفتني شكتني لشرق النهايات / تحنو عليه
بشمس رصاصية / ودّعته / دعته لكي يقبل القتل ،
كي يحسن اللغو و اللهو
كي يستفيق الحطام الإلهي /
لكنها خاصرتي

(5)

سألوه
واشتبكتْ جيوشٌ فوقَ جثته :
تُلائمُ   أو تقاوم
طينةُ الجسد الرماديَ احتمتْ بسلالة الشُورى
تُقاومُ   أو   تلائمُ:

طينة الجسد الطريّ تجاسرتْ

عبرتْ بلادا كالشواهد ، راودتها شهوة المنفى

تلائم ؟!:

عندما سألوه كانت نحلة الرؤيا تغيم بمقلتيه

وكان تاريخٌ يضلّله الوضوح

سألوه

كان موزعا بين السقيفة واحتمالات الخلافة

واضطراب النص والفتوى ومختلف الشروح

سألوه في شفق الوقيعة والمشانقُ كلها كانت له

قاوَمتَ ؟!:

لكن ما الذي يبقى

تقام لأجلك الرايات

موتكَ سيّدٌ

ستكون عبداً عندما لا تنحني في ظل قوس النصر

يبقى ، ما الذي يبقى

تقاوم أو تلائم

جنة الرؤيا يداك

وكاحلاك على رماد باردٍ ،

قاومتَ أو لامستَ

كانوا يسألون الفقه والقانون والمتن الذي

كتبوا هوامشه وسدّوه بجلدة كاسرٍ

وجميع ما يبقى لك الآن الكتابةُ والغياب

هذيتَ أو كاشفتَ ، إن سألوكَ قُلْ لهم الجواب

هذيتَ   أو حاصرتَ أسرارَ الذبيحةِ
سّيدٌ في الموتِ
لا دَمُكَ الذي يُغري بانتخابٍ دَمٌ عبدٌ
ولا العربية الفصحى ستبتكر البلاغةَ عندما ترثيك
قاوم   واحفظ الطين الطريَّ   ولا تلائم
كلّما سألوك   قاوم
سوف تهذي سيداً ويموت موتك
عندما نصبوا السرادق خارج الأسوار وانتظروا
لكي ينهار وقتك
أين صوتك
دَعْ لهم سعةً لكي تصلَ القوافلُ مكةً بالقدس
تمتد القبائلُ
دع لهم ، يطأون جثتك المطيـة
كلما واصلت صمتك
فاتّـئـد .

سيكون في الطين الذي ليديك شاهدة
لتسمع عندما تهذي
يقاوم   أو   يلائم:
عندما تغوي يديك سفينة التيه
انفصل
دع فسحة كي لا تغادر جنة الرؤيا
وقاوم .

(6)

رأيت يدين تشتبكان في جسد
رأيتهما ملطختين بالتلوين
صلصال وصورة عاشق وتفجّع الحبلى/
حفائفها الجميلة سوف تسقط / من لها .
ويدان تشتبكان في الجسد الطري . وجنة في الطين
رأيتهما ، عشيق شارد
ومخاضها يغري اللغات / خطيئة العربية الفصحى لها
ولها خفائفها الجميلة . كدت من خوف عليها /
من لها مغدورة ويدان تشتبكان في جسد تقصّته
الحروب . رأيتها ورأيت فيها لحظة التكوين

(7)

أسرار فاكهة المساء ، سريرة المأوى
ومحتملان : موت للذي ينسى
وموت للتذكر
سيّد في القيد أرخى للمدائن من مدينته
سيهذي مثل شعب
من له / من لي بهاوية ليهذي
جنّتي نعش على رئتيه
من لي / من له

طرق ستأخذني إلى طرق ستأخذني إلى طرق
وأحجار الطريق ستلبس اللحم الذي / قدمان عاريتان
في برد ، وكل الأسلحة
تكتظ في أثر طريد

ربما حلما / شريد

ربما ولما

لها ، قدمان
جنّات ، جحيم ، ربما تنسى جميع الأضرحة
قدمان
هل قدم مقدسة الخطايا والخطى ابتهلت
لشيء ليس يسمع   ليس يغفر
خيمة أم خرقة في شهقة الصوفي
أسرار لفاكهة
ستنسى عندما تهتاج في شغف وترتطم الحجارة
بالمدائن والمدى   من للصدى
من لي بصارية تسلمها المرافئ
للمرافئ   للمرافئ
إنه يهذي
يجانس أو يطابق أو يناقض
إنه يهوي إلى لغة الشرائك
من له قلب ستكسره المناديل الصديقة
أو له شعب ستخلعه الخوازيق الشقيقة
جنتي عرش على قدميه

محتملان :

موت للذي ينسى

وموت للتذكر

سيِّد في القوس

يصغي للقرى ويقايض المدن الحبيسة بالأغاني

عندما ضاقت به ، اتسعت له

وسِعَتْ لأكثر من دم

يمشي ويهذي

لم يكن قلبا له / جرحا

وكل رصاصة تأتي بظهر رصاصة

والقلب ، هذا الجرح لا ينسى ، ولا يتذكر القتلى

لعلّي صرخة في أمة ثكلى

لعلّي أمّةٌ ثكلى

لها من لي بذاكرة تحاصرني .. ولا تبلى

أتوا من فجوة في البحر

جاءوا من جنوب الوقت

كان الله لا يسهو

ولكن الجهات أتت مدججة

بما لا يذكر الجندي أو ينسى .

(8)

وردة للبحر

أشكال لموت الأرض
عرش للذي يغزو
قلت واحتمت بالخنجر الدامي
لها قتل وللشعراء فاجعة الكلام
وللذي يرتد قبر
لم يعد قبراً .
هي الأرض التي للموت
للبحر المراكب وللدى ، وممالك مالت على رئة لشعب
شبّ عن قفص اللغات
لها لأطفال لها ،
لغامر يجو . لهودجة المدائن وهي تكبو غير عابئة .
لشعب شطّ في تيه ويستثني ويغفو ،
غير عابئة وتكبو
من لها من لي
أرى جثثا تسير وتحمل الرايات
تهتف في عباءات مغمسة بزيت الله . تهتف . والمساجد
لم تزل في سجدة الخوف الكئيبة . لم تزل في وهدة
ورأيت نعشا سيّدا .
لغة وبحر
والذي يرتد مرصود
له قيد و قبر
سيدي ملك على بحر
وذاكرة ستنسى عرشها ، وعريشة أشهى

ومختبلون مأخوذون بالبحر المدجج
بالمدى العربيّ مثل القيد ، بالقتلى
يحتمل العواصم وهي في كيس الخراج
بأمة مصلوبة تهفو لموت سيد
ومفاصل أقسى .. وأعلى
لم تزل مخدورة تهتاج في قوسين
شامخة بوجه الذبح ، تصرخ
كالذبيحة في المدى العربيّ .. كلاّ

قال لي : ما أجمل القتلى
هناك موزعين على المداخل يحرسون قبورهم
وأنا على قيدي هنا
هل كنت محتلجا يواري عاره
أم كنت مثل الوقت محتلاً
من لي بذاكرة تحاصرني .. ولا تبلى

(9)

هودجها يميل /
عدل الفرسان هودجها / يميل
مليكة في غربة الشطآن
موغلة تعذبها القبائل
واحتمال الليل ، والسفر الطويل

تختال في وجع

له في كل أرض خنجر

ومأتم منصوبة وفم قتيل

مرصودة للهتك ، أطفال لها ،

ولها الصحارى والمدى العربي في قيد

وهودجها يميل

وحشة تبكي على وحش

وهودجها مليك الأفق

أعراس لها في مأتم القتلى

ولن تغفو

ولن يهتز بعد الآن هودجها الثقيل

(10)

رأيت رماده يرتد يهزج يستعيد نثاره شجراً وتاريخاً

ومحتملان : دار للذي دمه بروج الوقت

دائرة لمن ينسى

رأيت رماده إرثاً لمراح الصدى . درجاً لشعب شارد في غربة الأمواج مثل الثلج . كان رماده تاجاً على شرق النهاية وهي تبدأ . لم يكن ينسى عناصره . حريق غامر وعرائس القتلى وبلدان لها مدن تقاتل أهلها وتحاصر الشهداء ، مرتداً من الأنقاض يخرج ، لم يكن هذيانه تعباً ولا فوضاه تذكرة الخديعة ، كان في وله رماداً سيداً . ملك على كلماته . غنيّ . رأيت كلامه شجراً وتاريخاً ومحتملان :

زوج للصبية حينما يتضاحك النهدان في خجل ويكتظان بالشوق الشهيّ .

زجاجة الرؤيا لمن يسى ويغفو عندما يهذي بصوغ رماده وطنا ، وطينته الطرية أول التكوين .

(11)

شكل البرتقال وزينة الفوضى وخندقة القتال وعاشق
يحظى بعاشقة وقافلة من الأعداء
شامخة كأن نقيضة الأسماء
تذكاراتها لغة
وللكلمات في أشكالها جنس الذبيحة وابتهالات
الغبار وصورة للماء .
خلّوها دماً فينا
يداها دورة الأفلاك
أبراج لها تاج وهودجها يغطينا
دعوها تحصن الجرحى وتنتخب الضحايا
تفتدي ، وتحاسب الموتى إذا ماتوا
دعوها حرّة فينا
ستعطينا دمائتها لتشعل زيتها فينا .
يداها برتقالة دارنا وحديقة لتهالك الأسماء .
كانت عندما كانت هوت في حوضها مدن وأعراس
ونجم شاحب وشرارة الأنواء .

(12)

فضحتنا مثلما سكّينة تندس
هذا حلم وحش ونختال به
نسأل من أين إلى أين ولا نسأل عن تاريخها الآتي
ولا تهتز في أحجارنا سنبلة للشك . لا نشكو من الوحش
فجاءت مثلما جنية تهذي لكي تلهو بنا
فضحتنا
فتركنا للذي ينثال من أحلامنا حرية الموتى
تركنا كوكبا في جسد الشرق لكي يختار من أيامنا
وتركنا ماءنا الغالي لكي نشرب من بئر المقابر
فضحتنا والذي ينهار لن نرأف به .

للفضح هذا الجسد الهالك
هذا الجذث للهالك
لم يبق لهذا الشرق من وقت
سنبكي عندما يخطفه الهدم
افضحينا

(13)

أحجارها تاجٌ على ذهب المدائن
صورة للماء

أخبار الحدائق في خبيئتها وليست جنة للنار
مدت لليتامى للمصابين ابتلاءا بالردى
مدت يداً
كانت تحاصر آخر الرايات في شرف القبيلة
من رأى مدناً مكدسة
رأيت هوادج القتلى على خشب عتيق
ربما العرب الذين /
مدينة صارت وتختصر المدن
تمحو وتكتب
من رأى امرأة تلملم ظلها لتصد جيشاً
من رآها – في قميص واحد –
حلماً ووحشاً
من رأى عربا على عرب
سلالات ، لغات
من رآها أمة منذورة عرشاً ونعشاً

(14)

لهن قيمة الذكرى ومدخراتها
يمشين مضطربات
ثاكلة وعذراوات
في قمصانهن غزالة مذعورة وجـارة الأسرى
سيتـين الكلام . خيامهن الهتك . من أعطى

لفاكهة المساء سفينة مكسورة ومحا الهواء

وصادر الميناء

من أعطى النساء نوافذ الرؤيا وأطما لجمة الأملاك

من دمنا على يده   ومن يده على دمنا

ومن منا سيرسم آخر الأشراك

من للنسوة اللاتي بتّين النهر والمجرى

لهن خديعة الذكرى

لهن الفقد والنسيان

من لي بعدهن ومن لهن عريشة بعدي

وحيدات على خشب الخيم

والمدائن تشحذ المنفى

ويرجع لي الصدى   وحدي

لهن القبر   لي قيد وللفلوات أختام الطرائد

للموائد نخبة الأقداح

للرسل الكثيرة فجوة في التيه

مصطيرات   لا يمشين لا يمشي بهن الماء

عذراوات

من لي / ما الذي أسرى لمنعطف الخريطة

مشرقا كحمامة البشرى

قريباً غائباً

ومضرجاً بتمائم الذكرى .

أحايد بين موتين :

انتهاء الأرض حتى قهوة المأوى

وخاتمة النشيد
بكت لي أو بكت في جنة تهوي على القدمين
قالت ، ربما ، وتشبثت بتهدج الفرسان :
(من لي بعدكم . خلوا خيولكم
تخب ، وخيّموا عندي . دعوها
تحرس اللغة الجريحة
كي أموت وحيدة في حضن
فارسي الوحيد)
بدأت خاتمة النشيد . بدأت في الذكرى .
دعوني خائفاً .
لو أنهم تركوا لقلبي حسرة الفقد الذي ينسى ،
نسوني في نساء ، خبأوني في سرير الغدر . لو أن السقائف
كلّها ضاقت لكان القتل أجمل من يد مغلولة في وحشة الصحراء .
بكت عند الرحيل وكنت في الذكرى

(15)

بغتة تبرق أسرارنا
في دماء الكوامن في آخر الليل
من ليلة هيّأتها التأويل ، من قاتل ،
من مليك ملاك من هناك
حيث أسماؤنا في بلاد
وأحبابنا القاتلون احتموا في بلاد

ونحن بلا مدخل للسماء
سيبقى على الموت أن يفتدينا
سيبقى لنا في القبور وأسرارنا فسحة للفضيحة
يبقى هلاك لنا
هل رأيت الجنائز تخرج محتجة
ورأيت الدماء المهانة في موتها
ورأيت السماء
تضيق بعصفورة الأنبياء
سيبقى هلاك
لنا بغتة هذه المزدهاة بتاريخها
طفلة في السبايا
لها في اللغات انتحار
وفي الشجر المستهام انكسار الغصون
لها في الجنون احتمال البقايا
ترى من لها في السفائن في غربة البحر في جثة
وزعتها القبائل في شهقة حرة . . أن تموت ؟
طفلة صدرها في السيوف وأخبارها شغف للحياة
وقمصانها مثل شمس تطوف ملطخة مترعة
ببقايا الصباح وقهوتها للضيوف الغزاة
و ميزانها غابة الأشرعة
طفلة راهقت
والسلاح تميمتها
ظهرها في الخيم والأمة الراجمة .

(16)

نهضَ الرمادُ كأنه ينأى
كأن شهيقه في زينة البحر .
انتهى وقت   سيأتي آخر
فدخلت في نار العناق
سيذهبون الآن
من لي
من لهذي الخيمة المكسورة الوتدين
من يبقى يصدّ رصاصة الموت الأخير
بكيت في التذكار
كان البحر وحشيا وكنت ملطخا بالفقد
مازال الدم المهدور في كأس الشوارع في رؤى خشب
بمنعطف المواكب
كانت الرايات تجهش : سوف تذهب ؟ !
من سيبقى ! ؟
كنت في شفقٍ من الذكرى
كأنّ السبي فيأً مرة أخرى
كأنّ البحر لن يسع المواكب ، و النوارس
سوف تغرينا بمقتبل الضياع
كأنما ينأى
ويحتكمون للفوضى
لهم أسرارهم ولهم بلاد

جنة الجرح التي رسم الملائك حولها سورا
سيحتكمون للفوضى
بلاد لم ترل   وحجارة تمشي
وقلب أثقلته كثافة الرؤيا / بكت لي :
(دع جوادك يرتوي
من زرقة النهدين
دعني
ربما بعدي ستحتدم الرماح
وبعدك الصحراء)
قالت : (كلما تنأى . . .)
سيحتكمون / تبدأ هذه الفوضى
يد في صخرة الوديان ، سوسنة تسنُّ براءة الأمواج
كنا فتية في وردة الفوضى
يعيدون الملامح للذبيحة
يستعيدون الطريدة
فتية للفقد منتصرون في أشلائهم
ويد على جرح   يد في جنّة
ساروا على أسرارهم
كان الطريق يعيرهم ليد فترسمهم على حجر الطريق
ملك على الفوضى   وسيدة بلا عرش
وقافلة توزّع جمرة الرايات ، يخلعها الصديق
خطيئة الرؤيا

(ستذهب؟)

من لها / من لي

ستهرع عادة القتلى إلى حجر/ دعوه

ذلك الحجر الجميل / دعوه

يبنون البلاد عليه / فوضاهم وجنّتهم

لهم أسرار فاكهة ونهر سوف يكسر عادة المجرى

ويركض أو يشط . .   وربما ينأى

لنافذة تخبئ لجمة لليل

هل تسع المراكب كل هذا الموج ؟

دعني   دع دمي في وردة الفوضى

يفيض ويحتمي

كطريدة النيران خلف الغابة / البركان

يحتكمون

قائمة القضاة   منصة الحكم

المحامون   الذبيحة والطريدة

شاهد الرؤيا   وحراس المدينة

لم يزل ينأى   تلاحقه المنابع

من له / من لي .

يوليو 1983

النهروان

(I) تاريخ الومض

هذا هو الشاحب الصوت
يشحذ تاريخه
شاخصا في خراب يؤرّخ
يرخي رواياته
يستعيد الوميض الذي لم يمت
الوميض الذي لا يموت
شاخصا في السكوت
الحنين الرماديّ مستنفر
قيل ماتوا / وقيل انتهوا
من يؤرّخ / كان الرماد
بروجا من الماء مرخية / من يؤرّخ للماء

من يحتفي
والنهر مستغرق في نشيج البيوت
شاخصا في السكوت المؤجج
مستسلماً للوميض
حكوا / سوف يحكون
وحدك الآن في غابة / صادق الوحش
وافتح له قلبك المستريب
وحدك الآن فاهدر وسلسل خليجاً من النخل
وحدك الآن مستوحش
والفوارس مشغولة ، تخلع الوقت
تاريخها خاضع
سوف يحكون / فاصغ ..

(2) قولي له الخروج

في هذا اللهب المستريب الذي يعانق
تتعلم الأشجار كيف تشحذ السيوف الكسولة
وتجلس الخميرة في رواق
تقول للأصابع المضطربة : ابدأي
فتبدأ
مثل النهايات الأولى لخروج يغتصب الرمل
حيث جنية النخل تخلع أعضاءها
فيغمرها الحليب

افتحي لجمرة النهر نهديك
لك سرير الأسرار . هذا اللهب
حين يجتازك الفارس الغريب
ينتشر الأطفال في ردائك الأخضر
فتخرج النوارس من أحلامك
أجنحة وأصدافاً وكواكب
افتحي طريقا ، حيث الخميرة تدوزن القتل في النهاية الاولى
وتبدأ ذكريات المستقبل في التدفق
لا تقولي للغريب الكلمات قولي له القبل
قولي له الكأس والوسادة
قول له الشهيق الضاري الذي

لا يخجل
حيث الجحيم الذي يتناسل
والأحجار تحتسي درسها الأخير الأول
قولي هو السيف عاريا .

(3) حكمة الماء

يبدأ النهر من غيمة مشتهاة
من الطمي يطفو بلمع
من النخل مستغرقا في صلاة
من الصمت يبحث/
من أين

قمصانهم من رماد الأساطير
يبكون من فرح / يبدأ النهر
من أين مرّوا
بسطنا لهم من صليل الحجارة سجادة
واحتكمنا إلى الماء / كان الرماد بروجا
فمرّوا على الأفق والرمل في غفلة
كيف مرّوا /
مشى النهر في هودج الأرض مستبسلا
واحتسى خمرة آلهته
بسطنا لهم خندقا/
كيف مروا
رأينا علاماتهم في النخيل الذي ظل مستغرقا
في صلاة وفي خمرة
هم الآن مستوحشون
الصحارى تباعث أطرافهم / كيف
ليس ما بيننا من لغات/ دم بيننا
واحتمال وماء
وما بيننا
حكمة الماء مسقوفة بالسيوف التي تسبق الدم
يبدأ النهر من صخرة الليل
من حجر أسود
كيف مرّوا
لهم عند كل انحناءة حرف بقايا

لهم في الحجارة تعويذة
كيف مرّوا ، و هذي الشوارع
هذي التواريخ مكتظة بالوصايا
هم الآن مستفردون
البلاد التي قاتلت حلمهم أمة في سبات
فمرّوا
بسطنا وضوءا وسجادة واحتكمنا
هو الماء فاصغوا . . .

(4) وحشة الفارس

السيد النهر مستوحش / وحده في النخيلة
فرسانه يسأمون
يعبّون من ضجر الاحتمال
وحده يجمع الوحش ، يسقيه
يبسط أسطورة من حرير على كتفه
وحده / والفوارس مهدورة في انتظار الهزائم
رمل النخيلة مستنفر
سوف ينتابني الرعب من حافر سوف يرجّ منه دم
هارب سوف يهتاج مستنجدا من غد سوف ينتابني
الاحتمال الذي رافق الله في خلقه
وحده النهر مستفرد بالفريسة
قولوا يد سوف تمتد تطوي سرير السماء المطرز بالجوع

قولوا حسام سيخرج عن غمده البدويّ ويفضي إلى الجسر

ظمآن

قولوا الدماء التي في اخضرار النخيل رماد له خاتم لا يسمى

وقولوا الرسائل لن تحمل الحب بين النخيلة و النهروان

انتهوا / سوف نبدأ . . .

(5) حالات الحروف والأسماء

(الحروف كلها مرضى إلا الألف

أما ترى كل حرف مائلاً

أما ترى الألف قائما غير مائل

إنما المرض الميل

و إنما الميل للسقام

فلا تمل)

مريض من الحب والاحتمال

شريد وينساب في الأرض / والكلمات احتفال قتيل

ويهلع في وحشة الرمل

أسراره الجنس والموت

أخباره في النساء اللواتي اختبلن اشتياقا / وينساب

أحلامه بيرق الليل ، والحرف والبرق أسرى له

يحتذي هدأة السرج في صهوة مصطفاة / ويشرد

ليست مدائنه الأمنات

يرتدي صمته الصارم المستثار
هو الوحش مستفرد هارب
كان في سجنه آمنا كان مستغرقا في حرير الزنازن
مستعصيا كان في قتله مستحيلا له الليل سجادة
والصلاة احتفالا له / كان حرًا
هو الآن في قيده المستطيل
أخباره في النساء اللواتي اغتسلن اشتهاءا بأمواجه
والحروف المنارات والسر والسلسبيل . اسقني
كان لا تفرغ الكأس من خمرة الأصدقاء . اسقني
كل حرف مريض سينهض بالكأس . هات اسقني
نشوة العرس تاج لأسراره ، فاسقني
هو الآن في قتله المستحيل

(سيأتيك الحرف وما فيه
سيأتيك منه اسمي وأسمائي
سيأتيك منه العلم
وفي العلم عهودي إليك ووصاياتي
سيأتيك منه السر
وفي السر محادثتي لك وإعاني
وسيدفعونك عنه
فادفعهم عن نفسك)

هذا هو النهر مستسلما لابسا قتله المستحيل

ناسجا من حرير انتظاراته كوكبا
فاستجيروا به
من رماد / له الخلق / من طينة
فاستجيروا
له الخلق / من زعفران المرارات / من نهروان
حكوا / سوف يحكون
قالوا انتهى / قيل بدء له في قميص من الطمي
في صخرة طفلة /   سوف يحكون
هذا هو النهر مستغرقا عابرا قبره المستطيل
يؤرّخ للجوع يحنو عليه ، ويمنح أطفاله وردة للخروج
استجيروا / هم الآن في ظاهر النخل
لم يحمل الرمل أخبارهم / جاءوا مع الماء
من يقطع الماء بالسيف
مرّوا
رأينا الجياد الجميلة مزدانة بالكلام الجميل
أسمع الأرض تهذي بأطفالها ، تتعب
افتح الخندق الرحب / تهذي
مشى فاغر على جرحها / أول النهر / محزومة بالبكاء
انتهت / سوف يحكون / تهذي
وجيش النخيلة يمضي لنتوءة الموت /
يمضي وتهذي
تأبينها مشتهاة دما واحتقان
فتهتز في مهدها الرحب والنهر مستبسل

انا زعفران الصلاة الأخيرة

انا زعفران الصلاة الصغيرة

والأرض تهذي إلى النهر مهتوكة

.. فرأيت عليًا يتبنى التراب ويحثوه على التاريخ بدمع رأيته يجثو إلى النخل يرويه يروي له عن شهيد سيخرج عن سبايا عن الضحايا المصطفاة . عن الخيل تحجل في المعظم يحكي له عن خجل الموت . عن رفض سيملأ الأفق . عن الخاتمة وهي تفتح الأرض لخروج أبدي ، عن الفاتحة وهي تغلق التاريخ في الوجه ، عن الرماد المؤرخ والماء والنهر مستسلما للبدايات ...

النهر في نهروان الخليفة مستغرق

سوف يحكون عن عروة الومض / يحكون

عن خارج في حسام له سطوة الرعب في الأرض

عن عاشق يعبر الشارع العربي / يؤرخ

للقتل مائدة

للكتاب الأخير افتتاحية/

صاح غيلان في السوق :

(من يشتري كل هذا التراث الموشى بدمع)

حكوا / سوف يحكون

لكنه مثل حرف نبي

له السمت والصوت والصولجان

سيغزوا بهم في رماد التراث الذي في يسار الكلام

(فالحرف ناري

الحرف قدري
الحرف حتمي في أمري
والحرف خزانة سرّي)

سيدفعهم في حريق الشوارع
في الجوع والجرح والجمرات .

(6) الكلام الأول

موغل في يسار الكلام
ليس لي صورة في الوقيعة
لي خمرة طفلة حرة أحتسيها وأرتاح من وجعي بالوجيعة
بلاد هي الآن مفتوحة / نهرها في سرير من الأرض
في خندق في خداع خنوع
هي الآن مخلوعة للخليقة . منذورة للخراب
هي الآن منحولة في صلاة هي الآن
يا خمرة أحتسيها وأرتاح من وجعي بالفجيعة
حكوا / سوف يحكون .
مضى في عذاب له
حاملا من تراث الهزائم أسطورة
مثقلا مثل رمل النخيلة قبل الكلام الجميل
تراتيله جوقة فوق عشب البدايات
أطفاله /

من يغني له في عذاب له شرفة الماء مزهوة
سيفه الأول المستهام/
المدينة مفتوحة للصهيل الغريب
فمن يشتري كل هذا التراث . .

(7) تراث المدينة

عروة قيل يدعى . وقيل الذي موته نافر . قيل غيلان
يدعى . وسموه ماء الكلام الجميل . سموه ما لا يسمى .
حكوا / سوف يحكون

هذا تراث من العري / من يشتري موته باحتمال
ومن يعبر النهر للنخل ، حيث النخيلة بوابة
للسرادق أو للجواسق أو غرفة مشتهاة
لسوق مفتوحة كالمدينة
قال لي : بع لهم من تراث القبيلة / واسكت
فرأيت المعري يعري الصلاة الطويلة
(أفيقوا أفيقوا)
ولم يستفق نائم في قبور الجزيرة
لم يتعظ هائم في فضاء الخليج
فمن يشتري كل هذا النشيج
قال لي : بع لهم وابسط المسجد الأموي بصمت
فيا جثتي في رماد الصلاة الأخيرة .

(8) طفل يؤسس الماء

زهرة . نهروان . وفسقية من دم
أيهذا الرماد الذي مثل ماء ويغوي
أدر واسقنا
واسق هذا النخيل الرشيق
هو النهر /
هذا دم أسس الماء فيه بلادا وأسرى / له الخلق
فافتح له القلب / هذا الغموض ازدهار وفوضى
له الخلق / فوضى
حكوا / سوف يحكون
فاستسلم النهر مستعذبا موته
كل مسقوفة موته
كل موت له نطعة سوف تجتاح .
...وقيل إن الماء لم يتكوّن بعد . فرسم الفرات وغطاه بحزن وشّحه
بتراث الذبح ، ثم قال :
أيها الطفل تموت ظمأ ، ومات .
مستسلم للغموض الرمادي
والزعفران المقاتل مستبسل / خارج عن حدود السماء
له الخلق في خرقة فاستجيروا
سماء له الأرض يبني عليها المدائن
يبني الفراديس
قمصانه كوكبات وتيجانه سعفة النخل

هذا هو النهر مستسلم للخليج
اختلاجاته راية لطختها انتظاراته
فانحنى
له لو ينحني مثل غصن
ولكنه ينحني هاتفا بالقتيل
سلام له
سلام على القدم الخارجة ..

(9) الصلاة الصغيرة

حين انتفضت الخطوات سريرة الأرض
انشطر الوقت عن طفلتين
قالت الأولى كلاما
وأنشأت الأخرى حديث الخوف
فاسترجع الطريق طبيعته الأولى
حكوا / سوف يحكون
فارأف بهذا الوطن
ارأف به
أنت عذبته بالمرايا المريبة ، هيأت أشجاره للحدائق حينا
وأحرقتها
أنت / فارأف به من حوافر أحلامك الغادرة
هو النرجس الشارد القلب ، فارأف بأطفاله
بالعظام التي تلبس الجلد ، بالزعفران الموشى

غدا سوف يغشاك حزن يسمونه الذكريات
التفت للمرايا المريبة /   وارأف به
أي نهر سيغسل أحزان هذا الوطن .

(10) هو النخل

قيل . سمعنا النهر يبكي عند باب الرمل
قيل الرمل لا يصغي
وقيل النهر مقتول قبيل الموت
هل ميت ويبكي
قيل . أسرار له . والرمل لا يكتم سر القتل
لو يحكون .
رأيت أحزانه التي لا تحصى مسفوفة بالتضرع
رأيتها قلادات تتأرجح في كتابة ليست للكتب
رأيت دمعا كقوس قزح يحتضن الطبيعة
رأيته في قتل كثير ولا يموت
مر طفل جريح وظمآن
فارتجّ ماء الرماد احتفاء / له الخلق /
مستسلم للرؤى
لا رمل له حول عليه ولا له قتل
له سجادة من همهمات العشب والألوان
مأخوذ / له جيش يؤرخ للصحارى
قل هو النخل .

(11) الوشيعة

..رأيته يتداعى و يتداح في بريق نصل غير ملجوم
رأيته يوزع أطفاله للسم والعطش ، ولا ينحني لغير
الصلاة
على الأرض يطوي وشيعته ، والوشيعة تهذي وتنسج
أحلامه . ورأيت الفجيعة تركض في بيت عليٍّ
سمعت الفجيعة سجادة للصلاة
حكوا / سوف يحكون
عن نهروان يجر السقيفة في موكب خارج
عن رماد مشى في تراث الخليفة
عن سدرة المنتهى وهي تهذي / ويحكون
فاصغوا ولكن أعدوا جوابا لموؤودة سوف تسأل .

يوليو 1980

إشارات :

1 . كل ما بين قوسين ، من النفري .

2 . عروة بن أدية . أول سيف يشهر في ثورة الخوارج

3 . غيلان الدمشقي : الفقيه القدري الذي سمح له عمر ابن عبدالعزيز ببيع متاع الخلفاء الأمويين في المزاد العلني .

الفهرست